ميدوم

رواية

عمرو مرزوق

إهداء خاص

إلى السنوات العجاف التي مرَّت عليَّ كأصعب ما يكون..

أشكركم فقد صنعتموني..

مقدمة

اليوم أعود إليكم بعمل جديد، ولكنه من نوع آخر. ففي القصة التي بين أيديكم سعيت لإبراز بعض جوانب الشخصية الإنسانية بصفة عامة، والشخصية المصرية بصفة خاصة.

لقد كان التاريخ الفرعوني ولا يزال يستهويني جدًا مما دفعني للبحث فيه والقراءة عنه حتى وجدت حقبة تاريخية دسمة، حاولت وضعها في قالب روائي، مُزج فيه التشويق والمغامرة بالإثارة، والحمد لله فقد ظهرت على هذا الشكل الذي أتمنى أن يرضيكم قبل أن يرضيني.

فتلك الرواية هي محاولة لاستحضار الماضي ليتقاطع مع الحاضر مظهرًا تلك الشخصية المصرية بكل متناقضاتها.. الشجاعة والجبن.. الحب والكراهية.. العنف والوداعة.. الإقدام والإحجام.. الرقي والتخلف.. العلم والجهل.. النبل والخسة..

هي محاولة للتعرف على أنفسنا.. أين كنا ؟.. وأين أصبحنا؟ .. وأين نتجه؟

فمن خلال شخصيات القصة التي بين أيدينا سنرى معًا تلك المتناقضات، سنرى بطل القصة وما يحمله داخله من شغف وإصرار وعقل قد تفتّح لينطلق به للآفاق حتى اللامعقول، وقلب لإنسان يحاول مواجهة نفسه ومخاوفه حتى يصل لهدفه في تحدٍّ، حتى ولو كان وحده .

سنرى فريقه الذي انقسم بين مؤيد ومصدق وغير مصدق، فمنهم من توقف عقله عن إدراك أي شيء سوى الواقع، والواقع فقط، حيث لا مجال للخيال والحلم، ومنهم من لا يؤمن سوى بالماديات والوقائع، ومنهم من يقف في الوسط بين حرية العقل وانطلاقه لآفاق أبعد وبين جمود الحقائق والماديات، ومنهم تلك الشخصية البسيطة التي تحاول التأقلم مع كل ذلك دون أن تحاول فهم ما يدور حولها .

سنرى أن التاريخ ما زال يحمل بين طياته الكثير مما لم نعرفه بعد وما لن نعرفه أبدًا، وأن الحقيقة قد توأد يومًا طمعًا في إخفائها، في الوقت الذي تنبت فيه وتضرب بجذورها في الأرض لتخبر الأجيال القادمة بما لا نعرفه.. وربما لن نعرفه نحن ولكنه لن يخفى عنها في وقت ما.

لقد تطرقت القصة التي بين أيديكم لحقيقة تاريخية حيرت الباحثين على مدار العصور ألا وهي كتاب أو "برديات تحوت"، وهل هو حقيقة أم مجرد أسطورة تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، وما هي قصته مع أبناء رمسيس الثاني، وما هي قصة اللعنة، واعتمدت في ذلك على المراجع التاريخية في هذا الشأن والتي ستجدونها في نهاية تلك القصة الذي بين أيديكم، كما وضعت أصول تلك الكتب لمن أراد الاطلاع عليها على صفحتي الأدبية في الفيسبوك والتي هي معنونة باسمي كما ورد في آخر الرواية.

في تلك القصة سنغوص في أعماق النفس البشرية، سنعيش بعض من لحظات الخوف الذي هو جزء منها، ذلك الألم الكامن بين طيات ذلك الخوف الذي لا ينتهي..

سيتجسد ذلك الخوف في بدزميران..

وستشعر بهذا الألم في عقلك..

ولكنك ستحصل في النهاية على كنزك المدفون، حينما تواجه الاثنين في أعماقك..

حينما يمتزج سحر الماضي بألق الحاضر..

حينما تتجسد الأسطورة لتلقي بظلالها على الحقيقة..

حينما يفوق الواقع الخيال..

حينما يكون الألم هو وسيلة الوصول للحقيقة..

حينما تتجسد أعظم مخاوفك أمام عينيك لتعبر بك إلى عالم آخر..

عالم لن تراه أو تشعر به إلا حينما تعيش معنا تلك اللعنة..

لعنة ميدوم.. بدزميران..

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أهدي تلك القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر في تشجيعي، والذين وقفوا بجانبي في كل الأوقات، فعذرًا لكم، ولكني أود أن أشاركهم لحظات النجاح..

أستاذي الفاضل المستشار والأديب أشرف العشماوي..

د / إيمان الدواخلي..

أسرتي الكبيرة من دار ن..

صديقي محمد عصمت..

أختي الجميلة برديس محمد ومراجعتها النص مرات عديدة..

صديقتي الرائعة والتي لولاها ما ظهر العمل بهذا الشكل المتميز د/ميرفت صلاح..

الأديبة العزيزة والأمل السوري.. دينا نسريني..

أصدقائي الغاليين.. نور مانجا أم توبا.. دعاءالحناوي.. غادة قناوي.. هند البنا.. رشا الشهاوي.. محمد محسن..سمر الباز.. محمد أحمد إبراهيم.. د/حسين السيد.. غاده نجيب.. هيثم حسن ..رحمة أنور..

وجميع أعضاء جروب عصير الكتب

شكرًا لدعمكم المستمر ليلًا ونهارًا..

وأخيرًا وليس آخرًا أستاذنا ومعلمنا ووالدنا الروحي.. حسام حسين صاحب الفضل الأكبر.

أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع..

عمرو م. مرزوق

آه يامصر..

لن يبقى من دينك شيء سوي لغو فارغ..

ولن يلقى تصديقًا حتى من أبنائك أنت نفسك..

لن يبقى شيء يروي عن حكمتك إلا على شواهد القبور القديمة..

سيتعب الناس من الحياة..

ويكفون عن رؤية الكون كشيء جدير بالعجب المقدس..

ولسوف تصبح الروحانية التي هي أعظم بركات الله مهددة بالفناء..

وعبئًا ثقيلًا يثير احتقار الغير..

سيدمغ الصالح بالبلاهة..

وسيكرم الفاسق كأنه حكيم..

وسينظر إلى الأحمق كأنه شجاع..

وسيعتبر الفاسد من أهل الخير..

وتصبح معرفة الروح الخالدة عرضة للسخرية والإنكار..

ولاتسمع ولاتصدق كلمات تجيل وثناء تتجه إلى السماء..

من كتاب تحوت

(حكمة الفراعنة المفقودة)

عصر الأسرة التاسعة عشر.. فترة ولاية رمسيس الثاني تحديداً في بداية عام ١٢٤٠ ق م.. في مدينة منف تحت ولاية الأمير "خا أم واس" ولي العهد وكاهن بتاح الأعظم.

* * *

(سأطوي لك صفحة الزمان لتمر أمامك وكأنها لحظة بين عينيك.. سترى ما تعجز عن تصديقه.. لتتكلم بلسان أبناء الآلهة.. لكني سأطمس على عقلك حتى لا تبوح بسر الكهنة المقدّس).

دارت هذه الكلمات في عقل «خاي».. ذلك الصبي الذي لم يتعدّ السادسة عشر من العمر.. ولا زالت ترن في أذنيه مصيبة إياه بألمٍ هائل.. جعله يتأوه مرة أخرى.. قبل أن يهرع إليه أحدهم:

- خاي..خاي.. استيقظ يا ولدي.. أأنت بخير؟

- أين أنا ؟لا أدري أي شيء.. من أنت؟

- أنا «حتوم خنب».. لا عليك يا ولدي فليشفك الإله الأعظم.. ها هي تلك الحالة تصيبك مرة أخرى.. لقد أفزعت والدك عليك.. فلتجلس قليلًا حتى أخبره.. إنه في المعبد منذ أربع ليالٍ، انه لا يزال يتلو صلواته لشفائك، سيفرح أشد الفرح حين يعلم..

تركه «حتوم خنب» مهرولًا إلى الخارج، أما «خاي» فقام من جلسته ليجد نفسه وسط غرفة حجرية الجدران، وقد زُينَت بالنقوش والرسوم الملونة بألوان بديعة بجوار سريره والذي كان مغطى بستائر مخملية ذات ألوان هادئة، وقد تصاعدت رائحة البخور من أحد أركان الغرفة..

دار «خاي» في أنحاء الغرفة محاولًا تذكُّر أي شيء، ولكن هيهات، فقط ذلك الصداع القاتل الذي يكتنف رأسه، وبعض الأفكار المشوشة التي لا يدرك كنهها، فهو لا يتذكر حتى من هو أو حتى شكل والده.. فقط بعض الجمل الغريبة والتي تزيد من حيرته، وما زالت تتردد في رأسه .

خرج إلى الشرفة ليجد أجمل منظر قد تقع عليه عيناه، فشرفته تطل على النيل مباشرة وقد انطلق ليشق الأرض الخضراء على جانبيه مشكِّلًا لوحة جمالية فاتنة، وكان الفلاحون يعملون في الأراضي القريبة بكل جدٍّ ونشاط.. فتنفس ملء رئتيه بذلك الهواء المشبع برائحة الخُضرة الطيبة..

- «خاي».. «خاي».. ولدي الحبيب .

إلتفت «خاي» ليجد «حتوم خنب» الذي رآه عندما أفاق ومعه شخصان، أحدهما تبدو عليه المهابة يهرول نحوه ويضمه إليه بشدة مقبلًا إياه قائلًا:

- يا إلهي الأعظم الحمد لك على استجابتك دعائي وعودة عافية ولدي الوحيد.. ما بك يا «خاي».. ألا زلت لا تتذكرني يا ولدي؟

حاول «خاي» جاهدًا أن يبدو طبيعيًا، وقد أدرك من كلام الرجل أنه أبيه، فأردف قائلًا بصوت بدا واهنًا:

- معذرة يا أبي.. لكني فعلًا لا أتذكر أي شيء أو حتى من أكون .

نظر إليه أبوه بحنان وهو يربت على كتفه قائلًا:

- لا عليك.. فهذا المرض يعود إليك كل فترة.. ولكنك ستتعافى يا ولدي لا تقلق..

- لن أقلق ما دمت إلى جانبي يا أبي.. ولكني أريد أن ألهو قليلًا خارج المنزل..

ضحك الرجال الثلاثة من براءة الصبي، وأردف أبوه ضاحكًا:

- ها أنت تبدأ في التذكر سريعًا.

والتفت إلى «حتوم خنب»قائلًا:

- يا «حتوم خنب»عليك بـ «خاي» فلتخرج معه إلى خارج القصر ولاتتركه أبدًا ولا تجعله يغيب عن ناظريك.. حتى يأمرك بالرجوع .

- أمرك يا سيدي.. تفضل يا «خاي»..

وأمسك بيده ليخرجا من الغرفة ووالده لا يزال يتبعه بنظراته قائلًا في حسرة:"كم أخشى أن أفقدك يا ولدي العزيز كما فقدت والدتك من قبل.. فأنت كل ما لدي الآن في الحياة.. أنت ولدي الوحيد.. وأنت من سترث كهنوتية المعبد.. فأنا أؤهلك لتأخذ مكاني بعدما أبدأ رحلتي الأبدية".

نظر إليه «رام»مساعده قائلًا في إشفاق:

- لا تخف يا مولاي المبجل «تب رع».. سيشفى بحق الإله الأعظم، فهذه حالة طارئة سرعان ما ستزول.

- لا يا «رام».. لقد تكررت في الأسابيع الأخيرة كثيرًا ولازلنا لا نجد أي تبرير لتكرر تلك الحالة على الرغم من عرضه على أمهر أطباء بلاط ولي العهد..

- يا سيدي لقد أخبرتك من قبل أنها تشبه تلك الأعراض الملعونة التي أصابت مولانا ابن ولي العهد الأمير خا...

قاطعه الكاهن «تب رع»والد «خاي» بإشارة من يده:

- لا تجعلني أتذكر تلك السنوات القاسية، ووفاة ابن الأمير "خا أم واس"، لا أريد تذكر هذه القصة مجددًا..

أومأ «رام»برأسه في تبجيل:

- سمعًا وطاعة يا سيدى.. فلنقم بصلواتنا سريعًا.. فأنت تعلم أن ميعاد مجلس الكهنة اليوم في انتظار موكب «نفرو»الكاهن الأكبر وحامل كأس ولي العهد الأمير
«خا أم واس»ابن رمسيس الثاني ابن الإله الأعظم آتون..

تنهد «تب رع»قائلًا:

- لا تذكِّرني بهذا الميعاد يا «رام».. لقد حدثني الكاهن الأكبر "نفرو" صباحًا، أن جلالة ولي العهد «خا أم واس»يطلب ذلك الكاهن العجوز الغريب اليوم.. والذي أتاه من أقصى أنحاء مصر كما يدعي، وذلك بعد مقابلة أول أمس.. لقد تركه ليستريح من رحلته ليبدأ إجاباته لمولانا الأمير.

- أتصدقه يا سيدي؟

- لم أحضر اللقاء الأول يا «رام»، فقد كان سري بينهم كما علمت ولم يحضره سوى مولانا الأمير وابنه الأمير «أوزير» وكذلك الكاهن الأكبر «نفرو».. ولا يسعني إلا تصديقه.. فلا توجد لديه أي مصلحة في الكذب.. هو عجوز لدرجة أننا نخشى على حياته قبل أن يدلنا على المكان المنشود.. وأنت تعلم كم من الزمن مرَّ حتى ظهر هذا العجوز..

- إن مولانا الأمير يستقبله استقبال الملوك، ولا أدري أيغضب ذلك الفرعون الأعظم سليل الآلهة مولانا رمسيس الثاني؟

- وما يغضب مولانا رمسيس الثاني؟

- أنت تعلم يا سيدي أنه بعيد أشد البُعد عن تلك الأفكار.. هو يبني ويشيّد ويحارب في نفس الوقت ولا وقت لديه إلا لإنشاء مصر الحديثة، وأنت ترى ابنه الامير «مرنبتاح» الأخ الأصغر لمولاى الأمير ولى العهد يدفعه لقتال "قبائل الليبو" المعتدية على الحدود..

- أعلم ذلك.. لكن أنت تعلم أن مولاي الأمير «خا أم واس»هو اكبر أبناء رمسيس الثاني وهو ولي العهد وله منزلة خاصة بين جميع أبنائه..

أتبع الكاهن «تب رع»قوله هذا بقيامه مستعدًا للانصراف وقد التفت إلى مساعده قائلًا:

- اسمع يا «رام».. ليس ذلك من شأننا.. سأذهب إلى المعبد لأكمل صلواتي حتى يحين ميعاد الاجتماع، وسوف أخبرك بما حدث..

* * *

- مَن أنا ؟ ومن أنت يا " حتوم نخت"؟

ضحك «حتوم خنب»وهو يجيب «خاي» قائلًا:

- أنا «حتوم خنب»يا «خاي».. وليس نخت فلست قويًا حتى تطلق عليَّ نخت التي لا تُطلَق إلا على الأقوياء، أما أنا فعجوز كما ترى.. وأنت مولاي الصغير «خاي» ابن تب رع.. كاهن المعبد الجنائزي وكبير مساعدي كاهن بتاح الأكبر«نفرو»حارس المعبد وحامل كأس مولاي الأمير «خا أم واس»..

- ومن يكون هذا المواس؟

- هو مولاي الأمير حاكم منف وكاهن بتاح الأعظم وولي عهد الملك المعظم رمسيس الثاني ابن سيتي الأول..
- نعم.. نعم.. رمسيس.. أعتقد أني سمعت عنه..
- صه أيها الصبى..!!، هو مولانا الملك الأكبر المعظَّم لا تنطق اسمه هكذا.
- إذن من أنت؟ أخبرني اكثر..
- أنا معلمك العجوز يا «خاي»..من يعلّمك جميع العلوم الحديثة من لغة وأدب وثقافة ليتم تأهيلك لأخذ مكانة أبيك «تب رع»بعد رحلته الأبدية..
- وكيف أنطق تلك اللغة الصعبة يا «حتوم خنب»؟
- أي لغة يا «خاي»؟ إنها لغتك يا ولدي..!!، أنت تعلم أن هناك عدة لغات في مصر الفرعونية، ولقد علمتك اللغة الهيراطيقية كما أمرني والدك فهي لغة رجال الدين فقط..
- والهيروغلفية؟ نعم أتذكر أن اسمها كذلك..
- الهيروغلفية هي لغتنا المقدسة، وهي تستخدم في النقش على الجدران لتشييد مجد الآلهة، وسوف تتعلمها لاحقًا بمجرد ترسيمك ككاهن في المعبد المقدس.. وهناك اللغة الديموطيقية التي سأقوم بتعليمك إياها أيضًا.. فهي اللغة الدارجة في تعامُل المصريين في حياتهم الخاصة..
- أنا لا أعي نصف كلماتك يا حتوم.. نفسي مندهش من أني أتقن تلك اللغة، كيف؟ لا أدري، ولكن لنرى..

قطع «خاي» كلامه فجأة وهو يشير بيده على صبي يقترب منهم قائلًا:

- انظر..!!، من هذا الصبي الأقرع الذي يقترب منا في سرعة وبجواره عدة حراس؟

استدار «حتوم خنب»، وما إن وقعت عيناه إلى حيث أشار «خاي» حتى خرَّ ساجدًا على ركبيته على أرض الحديقة مستندًا على كفيه بعد أن جذب يد «خاي» ليحذو حذوه عندما اقترب الصبي من «خاي» مهللًا:

- «خاي» صديقي العزيز.. حمدًا للآلهة على نجاتك هذه المرة أيضًا .

نظر إليه «خاي» بحيرة متسائلًا:

- من أنت؟

ضحك الصبي وهو يداعب «خاي» قائلًا:

- ها نحن نعيد الكرة مرة أخرى.. هيًا.. هيًا إلى قصر أبي، وسوف نتحدث ونلهو سويًا كعادتنا..

نظر «خاي» متسائلًا إلى «حتوم خنب»الذي وقف قائلًا بهمس:

- هو مولاي الأمير «أوزير» يا «خاي» ابن مولاي الأمير «خا أم واس»..
- أيجب أن أذهب معه؟
- فلتذهب يا «خاي» هذا وقت لهوك وأعتقد أن ليس هناك أي دروس اليوم سألقيها عليك حتى تستعيد عافيتك، ولنذهب سويًا ولننتظر والدك قبل ميعاده المحدد في بهو مولانا الأمير..
- أي ميعاد؟

ربت «حتوم خنب»على كتف «خاي» قائلًا:

- «خاي» أنت كثير الأسئلة.. فلتذهب في موكب الأمير «أوزير»وسوف ألحق بكم..

هتف به الأمير أوزير:

- هيًا هيًا يا «خاي».. لدي الكثير لأقصه عليك منذ فقدك للوعي قبل عدة أيام .

* * *

في إحدى ليالي شتاء ديسمبر ٢٠١٣ بمدينة نيويورك وعلى قارعة الطريق.

كان "جيمس إدوراد" يهرول بعد أن هبط سريعًا من سيارته وهو في أشد حالات الفزع والرعب، ناظرًا إلى المخلوق الجالس على المقعد الخلفي، فقد كان لشيء أسود اللون مغطى بالشعر دون أن يتبين حقيقة ملامحه.. مما جعله يترك السيارة في منتصف الشارع ليعدو بأقصى سرعة إلى بيته..

كانت يداه ترتعشان وهو يفتح الباب الخارجي لمنزله بعد أن أخذ يبحث عن المفتاح الاحتياطي الذي اعتاد أن يضعه تحت سجادة المدخل حتى وجده وهو ينظر خلفه بمنتهى الرعب..

دلف إلى الداخل وهو يجري في جميع أنحاء المنزل ليتأكد من غلق كافة النوافذ، ثم تناول مسدسه من أحد أدراج مكتبه وجلس أمام الحاسوب الخاص به ليفتح بريده الإلكتروني على عنوان أحدهم ساطرًا عدة كلمات:

(ماتسون.. إنهم حقيقة.. أوقف جميع خطوات البحث عن البرديات.. وأتِم الصفقة مع المصري بخصوص التابوت بأي شكل.. لعنة الله على أنتوني.. نهايتي تبدو كنهاية زميلك.. لعنة الله على الكتاب وعلى تحوت.. فلتصلي من أجلي.. اللعنة..) .

توقفت كلماته عند هذا الحد بعد أن تمكن من ضغط زر إرسال.. وقد شعر في هذه اللحظة أن هناك كائنًا أسود اللون كان يجلس أعلى المكتبة الخشبية يحدق إليه بعينٍ بيضاء..

تناول جيمس مسدسه وهو في قمة الفزع، ولكن بدلًا من أن يوجهه إلى الكائن وجد أن يده لا تشير ناحية الكائن بل تقترب من رأسه وهو يصرخ ويحاول أن يقاوم يده ولكن..

ودوي انفجار شديد في رأس جيمس..

* * *

القاهرة في إحدى ليالي حظر التجوال بعد ثورة ٢٥ يناير٢٠١١.

* * *

انطلقت سيارة الإسعاف بسرعة هائلة في ذلك الوقت من يوم الأربعاء الثاني من فبراير لعام ٢٠١١.. كانت دقات الساعة تشير إلى الحادية عشر في يد السائق الذي كان متوترًا بشكلٍ ملحوظ وهو ينظر تارة إلى الطريق الذي يخلو من المارة بسبب حظر التجوال والذي كان قد بدأ في السريان.. ويختلس نظرة داخل كابينة السيارة والتي يوجد بها ثلاث رجال أشداء وبجوارهم رجل غريب الشكل في الستين من عمره يرتدي عباءة سوداء قاتمة، وبجوار طفل مستلقٍ بشكل يوحي أنه في غيبوبة تامة، وقد أخرج الرجل من بين طيات ملابسه زجاجة صغيرة تحتوي على سائل أحمر اللون ليسقي الطفل بضع رشفات منها ويضعها ثانية في جيبه ليطلق بخور غريب الرائحة في السيارة، ويتمتم ببعض الطلاسم والرجال من حوله يهمهمون معه في تضرع..

وبجوار السائق جلس رجل يبدو من ملامحه وهيئته أنه أجنبي عن البلاد.. كان ينظر للسائق في برود ولا يميز وجهه سوى ندبة غائرة تمتد من حاجبه حتى أسفل عينه، وكان هو الآخر ينظر إلى الخلف في مرآة السيارة ليلمح عربة كبيرة تتبعهم عن بُعد.. وقد امتدت يده لتتحسس حقيبته في هدوء وهو ينظر إلى السائق مرة أخرى والذي انشغل بذلك المدخل الصخري الذي يقع بين وديان الجبل..

كان هرم "ميدوم" يلوح في الأفق في هذه النقطة التي تبعد عن القاهرة حوالي مائة كيلو متر، وبدلًا من الاتجاه نحو الهرم مباشرة،اتجه السائق

يمينًا وظل يسير لمدة خمس عشرة دقيقة وبدأ في تخفيض سرعته متجهًا نحو منزل من تلك المنازل التي ولدت بجوار الجبل إثر إشارة ثلاث مرات من بطارية أحدهم.. ليصل إلى المنزل المنشود ثم يتوقف أمامه بهدوء، وبمجرد أن وقفت السيارة خرج رجلان من المنزل ليفتحا باب الإسعاف الخلفي ويحملان الطفل الممدد يتبعهم العجوز، والآخر يحمل حقيبة بها أشياء أثارت اشمئزاز الأجنبي.. وقد هبط السائق يحمل مصباحًا كهربائيًا ليضيء الطريق أمامهم.

كان «ديفيد» هو آخر من نزل من السيارة وكأنه يتأكد أن تلك العربة الزرقاء لا زالت تتبعه عن قرب هذه المرة.. ولكن دون ان يشعر بها رفاقه

دخل الجميع إلى المنزل وجلسوا مستندين إلى الحائط بعد أن وضعوا الطفل على منضدة خشبية، وكان العجوز في ذلك الوقت يدور حول المنضدة التي عليها الطفل ذو السبعة أعوام، وأمامها كانت حفرة كبيرة في الأرض وبجوارها أدوات للحفر..

ترك العجوز الطفل وأخذ جعبته ليخرج منها غرابٌ مقيدٌ من أرجله وبدأ في نزع ريشه ووضعه داخل مبخرة لتتصاعد معها رائحة كريهة ويعطيه لأحد مساعديه انتظارًا لمصيره المحتوم..

وقد بدأ العجوز برسم مربع كبير الشكل في جهة معينة من أرضية الغرفة، وأخذ في رش بعض من الملح الخشن على الخطوط المرسومة، ثم أخذ في كتابة أرقام كثيرة ورموز داخل المربع، وقد أخرج من جعبته أربعة أحجار في حجم قبضة اليد ليضعها على رؤوس المربع..

وبدأ في الهمهمة وقد مدَّ يده ليأخذ الغراب من مساعده، حيث قام بذبحه بسكين حاد ليريق دمه على الأربع أركان، وقد بدأ في الارتعاد مرددًا: "برقان.. ميططرون.. ميمون.. أبانوخ.."

وظل العجوز يهتف في كل طرف من أطراف المربع: "برقان.. ميططرون.. ميمون.. أبانوخ.."

ارتعد الرجال من حوله ومع تصاعد الأبخرة بقسوة بدأ العجوز في الدوران حول نفسه بطريقة مخيفة..

اقشعر بدن «ديفيد» من تلك الطقوس، فخرج ليتنفس بعض من الهواء النقي وقد ازدادت نبرة العجوز وهو يتمتم بشكل مخيف:"برقان.. ميططرون.. ميمون.. أبانوخ..برقان.. ميططرون.. ميمون.. أبانوخ.."

وعندما حانت اللحظة المناسبة،اقترب العجوز من الطفل في بطء ليجذب رأسه إلى طرف المنضدة ليجعلها مائلة باتجاه المربع المرسوم في الأرض، وبكل برود يقرّب السكين من رقبة الطفل لينحره بكل هدوء.. ويتركه لتسيل دماؤه على الأرضية، وقد بدأ في التضرع والصراخ وجثا على ركبتيه آخذًا وضع التوسل والنحيب، بعد أن أخذ يرسم علامات بدم الطفل على المربع الموجود.. "طيكل طيكل.. كمطم مازر.. طيكل طيكل.. كمطم مازر.."

وبعد فترة من الصراخ والتضرع والعويل، أعطى لهم العجوز الإشارة ببدء الحفر حول المربع المرسوم فبدأ الرجال في العمل حتى ظهر لهم أخيرًا ما كانوا يبحثون عنه.. فقد ظهر لهم حجر كبير على شكل مربع،

تعاونوا جميعًا حتى أزاحوه ليظهر من تحته الغرفة أوالمقبرة المنتظرة والتي تصل إلى غرفة الحفر عن طريق سلم حجري.

وكان «ديفيد» قد اكتشف المقبرة منذ فترة كبيرة، ولكن كان لابد من انتظار الإذن لفك الرصد، الذي لم يكن سوى الطلاسم والتعاويذ ودم الطفل، وذلك على حسب التقاليد المتبعة في بعض الأماكن..

أما سائق الإسعاف فقد كان يراقب من بعيد كل تلك الطقوس، وعندما ظهر السلم الحجري أمسك بمصباح كهربائي واقترب من المقبرة ليدلي المصباح ويقترب برأسه ليطل إلى أسفل حيث المقبرة ويشهق ويرفع رأسه سريعًا قائلًا في فرح:

- التابوت..

أخذ منه العجوز المصباح وأطل برأسه ليرفعها بعد دقيقة وقد بدت عليه الفرحة الشديدة عندما لمح شيئًاما في ركن الغرفة.

خرج أحد العمال إلى خارج المنزل سريعًا ليبحث عن الخواجة هاتفًا:

- يا خواجة ديفيد.. يا خواجة ديفيد.. البشارة..

يركض «ديفيد» مسرعًا إلى الداخل ليصدم بمنظر الطفل التي الذي بدا منحورًا من رقبته وقد سال دمه على الأرض.. فينظر باشمئزاز للجميع الذين بدوا وكأنهم لم يكترثوا لوجوده معهم في الغرفة، ويهتف في العجوز بعصبية:

- لماذا هذه الهمجية يا شيخ حسن؟ لقد وجدنا مسبقًا التابوت منذ ثلاثة أيام فما ذنب الطفل في كل ذلك؟

فيرد عليه سائق الإسعاف بهدوء:

- يا خواجة هذه طقوس لابد من القيام بها حتى نستخرج الآثار دون مشاكل.. نحن نعلم أن لكل أثر من آثار الفراعنة حراس من الجن نطلق عليهم الرصاد يقومون بحراستها ليل نهار ولابد من أخذ الإذن منهم قبل القيام بأي عمل لاستخراج ما هو مدفون، لقد توارثنا هذه الطقوس منذ عشرات السنين..

نظر إليه «ديفيد» باشمئزاز قائلًا:

- لا أفهم مما تقول [illegible] أنه فقط صورة من صور التخلف.. المهم أنكم قد أدّيتم ما أردته ولكم مكافآتكم السخية.. ولكن بعد نقل محتويات المقبرة سريعًا قبل بزوغ النهار..

التفت «ديفيد» إلى حيث المقبرة، ولكنه لاحظ اختفاء العجوز فالتفت إلى السائق مرة أخرى متسائلًا:

- ولكن أين ذهب الشيخ حسن؟

- إنه في الغرفة السفلية، كان عليه أن يكمل ما بدأه هنا ويلقي بقية الطلاسم في المقبرة، وإلا فلن نقدر على الدخول فيها أو النزول حتى على أولى درجات السلم.

- في الأسفل...!!!!! ألن تنتهي أبدًا من تلك التخاريف؟

قالها وهو ينزل للمقبرة وقد انتابه شعور بالنشوة والانبهار، فقد كانت المقبرة بحالتها الأصلية لم تمتد إليها يد بعد.. فامتدت يده تتحسس

التابوت.. ها هو حُلمه الذي بدأه منذ عدة سنوات وقد أصبح حقيقة بين يديه..

استغرق «ديفيد» في تفكيره حتى إنه لم يشعر بالشيخ حسن الذي كان في ركن الغرفة يجلس القرفصاء مستندًا إلى حائط المقبرة وهو لا يزال يطلق البخور ويتمتم بتلك التعاويذ..

ظل «ديفيد» يدور حول التابوت الأثري والذي تراصت بجواره العديد من الصناديق والجرات الممتلئة بالآثار الفرعونية والتي لم يعرها أي اهتمام، بل تناول المصباح من أمام العجوز واقترب من التابوت، والذي كان بطول حوالي مترين وعرضه قرابة النصف متر والمصنوع من الخشب الأبنوس الثمين والمكسو برقائق من الذهب، وأخذ يقرأ الكتابات الموجودة على التابوت وقد انتابته سعادة عارمة..

في هذا الوقت انتبه العجوز لديفيد والتفت ناحيته وهو لا يزال يدور بسعادة حول التابوت وهتف به غاضبًا:

- اسمع يا خواجة.. الفراعنة لديهم حراس ولابد من احترام قدسيتهم، فلا تفكر حتى فيما تنوي القيام به.. فأنا أدرك جيدًا ما تفكر فيه.

ضحك «ديفيد» في سخرية وهو ينظر باستهزاء للعجوز الذي ترك مكانه أخيرًا وأخذ مبخرته ليصعد على السلم الحجري متمتمًا بكلمات بدا كأنها تبث الرعب في القلوب..

أما سائق الإسعاف فقد كان لايزال متابعًا للموقف من أعلى فقد مد يده إلى العجوز ليعاونه على الصعود وهمس له بعدة كلمات اضطرب العجوز على إثرها..

وبدأ «ديفيد» في النداء على الرجال الذين هبطوا جميعًا إلى المقبرة لينصتوا إلى أوامر «ديفيد» وهو يبين لهم خطوات النقل.. فبدأوا بنقل الأشياء الخفيفة من الصندوقين الخشبيين الموجودين وبعض الجرات إلى عربة الإسعاف التي ما زالت تنتظر في الخارج .

استمر الرجال في ذلك حتى لم يتبقَ سوى التابوت، والذي بذل الجميع جهدًا خارقًا حتى لا يتأذى التابوت والمومياء بداخله، إلى أن تم رفعه أخيرًا داخل عربة الإسعاف..

وما إن انتهى الرجال من نقل محتويات المقبرة حتى التفَّ الجميع حول «ديفيد»:انتظارًا لأوامره، والذي تناول حقيبته من داخل سيارة الإسعاف قائلًا لهم بلا مبالاة:

- لقد أديتم ما عليكم وقد حان وقت مكافآتكم التي كنت قد وعدتكم بها.

انفرجت أسارير الرجال حينما أتى على ذِكر المكافأة، لكن «ديفيد» بدا كمن تذكر شيئًا ما وهو يلتفت حوله قائلًا:

- ولكن أين الشيخ حسن؟

فهتف أحدهم:

- إنه في الداخل يا خواجة لم يستطع مساعدتنا في رفع الحمولة، إذا كنت تريده سأذهب لإحضاره.. وأعتقد أن السائق أيضًا معه .

- لا.. دعهم الآن سأذهب إليهم لاحقًا.. فلتمهلوني دقيقة فقط.

وترجم قوله بأن فتح حقيبته وتناول منها مسدسًا كاتمًا للصوت ليسقط الخمسة رجال صرعى في أقل من عشر ثوانٍ.. بعدها أطلق أنوار مصابيح

السيارة بإشارة متفق عليها وما لبث أن برز من بين المنازل أربعة رجال في ملابس سوداء اتجه أحدهم لسيارة الإسعاف ليجلس على مقعد القيادة منتظرًا أوامر «ديفيد» بالتحرك، والذي هتف ببقية الرجال الثلاثة:

- اقضوا على العجوز المخرف والسائق.. فما زالا داخل المنزل وتخلصوا بسرعة من الجثث، وأمحوا أي أثرٍ لنا..

بعد عشرين دقيقة تمامًا كانت السيارة الزرقاء الكبيرة والتي تحمل أرقامًا دبلوماسية تنهب الطريق إلى القاهرة، وخلفها سيارة الإسعاف وبها «ديفيد» بعد أن ظفر الجميع بالغنيمة تاركًا في ذلك المنزل مجزرة تم ارتكابها من أجل ذلك التابوت الذي يختلف عن جميع التوابيت الذي رآها في حياته..

كانت عملية ناجحة بكل المقاييس إلا من شيء واحد.. فعندما دخل رجاله المنزل لم يجدوا أي أثرٍ للعجوز أو السائق رغم بحثهم في كل أرجائه.. وقد كان هذا الاختفاء الغامض ما يقلق ديفيد..

أو مستر «جيمس إدوارد» العالم بالآثار المصرية.

* * *

بعد هذه الواقعة بعدة شهور وتحديدًا في منتصف يوليو ٢٠١١ في العاصمة الإنجليزية، كان «جيمس إدورد» يجلس أمام «أنتوني شافال» الذي استشاط غضبًا وهو يقلب نظره في تلك البردية والتي غُلِّفَت بورق من البلاستيك الشفاف ثم يلقها داخل حقيبة جلدية، صارخًا في جيمس:

- ما أنت إلا فقاعة يا جيمس.. مجرد فقاعة.. كيف تفسر هذا الفشل الذريع؟

انكمش جيمس أكثر في مقعده وحاول أن يتماسك محاولًا تهدئته ولكن كلماته خرجت متحشرجة رغمًا عنه:

- سيد أنتوني..لم أقترف خطأ، فالمقبرة التي وجدناها هي لذلك الكاهن المجهول، وقد نقلنا محتويات المقبرة بالكامل لمكان سري بالقاهرة تمهيدًا لسفرها .

قاطعه أنتوني وقد نفد صبره:

- أي غباءٍ تتفوه به يا جيمس؟ هناك آلاف من التوابيت التي لازالت مدفونة في مختلف أنحاء مصر.. إننا نبحث عن تلك المقبرة منذ أكثر من خمس سنوات من أجل الحصول على ذلك الكتاب.. وأنا لازلت أتحمل فشلك مرة بعد أخرى.. وهذه المرة بدلًا من أن تعثر لي على تلك البرديات والتي تشكل كتاب تحوت، تعثر على جميع محتويات المقبرة بما فيها هذه البردية الملعونة ومومياء الكاهن الذي يبدو أنه كان من الكهنة المتصلين بالجن حتى تصيبنا تلك اللعنة..

كل تلك السنوات وأنا أتحمل نتائج مغامراتك الفاشلة مقابل مومياء لكاهن من كهنة الجن؟ كل هذه النفقات ثمنًا لفشلك أيها الغبي؟

- سيدي، لا أظن أنك تؤمن بهذه الخزعبلات.. فأنا أؤكد لك أن هذه هي كل محتويات المقبرة وأنه لا وجود لمثل هذا الكتاب، وأن قصة اللعنة هذه لا أساس لها من الصحة.. فلماذا تصورت أنه كاهن من كهنة الجن.. سيدي لا وجود للجن و..

قاطعه أنتوني بإشارة من يده وهو يتناول سيجار من على مكتبه ويشعله وقد جلس على كرسيه أمام جيمس لأول مرة منذ بداية اللقاء وتحدث بهدوء وهو ينفث دخان سيجارته بكل برود:

- اسمعني جيدًا أيها الأحمق وتعلم، ولا تظن أنه بكونك من علماء المصريات أنك تستطيع مجادلتي..

لقد أضعت سنوات عمري في البحث عن الآثار المصرية والتعرف على الكهنة وأساليبهم وأفكارهم وتقدمهم العلمي في كافة المجالات، حتى وقعت في يدي بردية تشير فعلًا إلى حقيقة وجود كتاب تحوت.. والذي احتفظ به كاهن من كهنة المعبد المقدس والذي كان على اتصال بالجن، بعد أن عهد إليه ابن رمسيس الثاني "مرنبتاح"بأن يحرق الكتاب بعد أن تأكد من خطورته في السحر والشعوذة فاحتفظ به لنفسه، ليوصي بدفنه معه عند موته .

- ولكن يا سيدي كل هذا مجرد خرافات وأساطير قديمة، فلا وجود لكهنة كانوا متصلين بالجان، حتى كتاب تحوت هذا فقد اختلف العلماء في فرضية وجوده، وإن كان يظهر من وقت لاخر بعض الدجالين الذين يدعون معرفتهم واطلاعهم على الكتاب ....

تناول أنتوني نفسًا آخر من السيجار قائلًا:

- اسمعني جيدًا أيها الغبي ولا تقاطعني.. فبحكم خبرتك كعالم آثار فلا بد أن تعلم الفارق بين كاهن المعبد وكاهن المعبد الجنائزي وكاهن المقابر فلكل كاهن اختصاصه، ومن بين هؤلاء الكهنة من كان مختصًا بعالم اللامرئيات، وهو ما كان يعتبر همزة الوصل، وليس معنى هذا أن كل من

كان متصلًا بعالم الجن في الكهنة كان قديرًا في معاملته معهم، فقد كان منهم القوى والحاكم على تلك العشائر ومنهم من كان ضعيفًا يسيطر عليه ذلك المخلوق ومنهم من كان على صلة بين العالمين وتلك الطائفة من الكهنة كانوا يعدون أقوى كهنة في الدولة المصرية القديمة..

توقف فجأة عن الحديث ليطفئ سيجارته ويشعل أخرى وهو يستدرك:

- أما الجن فقد كان منهم من كان يتسم بالملامح الإيمانية العالية ومنهم من كان شديد الكُفر وشديدالعنف، فكان اتصال الكهنة مع تلك الطائفة من الجن يستلزم منهم أوقاتًا طويلة جدًا حتى يتم الاتصال بينهم، وتلك الطائفة هي نوع من أنواع الجن الراقي الذي كان يتسم بالقوة والتقدم الفني والحضاري القوي، ولا يتصل بها إلا من وصل لدرجة عالية من الإيمان والزهد..

وقد كان اتصال الكهنة بالجن لحماية توابيت الفراعنة وآثارهم، لذلك كان لابد من إجراء طقوس معينة لفتح المقابر واستخراج كنوزها ومعرفة أسرارها، وهو ما حدث معك عند فتح تلك المقبرة..

وليس معنى هذا أنه بتلك الطقوس التي اتبعتموها في فتح المقبرة أنكم قد آمنتم شرها وغضب من يحرسها من الجان، بل قد تكونوا فتحتم باب لعنة لا أحد يعرف متى وكيف ستنتهي، وهو ما حذرتك منه منذ البداية، ولكنك لم تستمع إليّ، والدليل على ذلك موت اثنين من مساعديك بتلك الطريقة البشعة.

- سيدي.. أعرف كل ما قلته بالفعل ولكني غير مقتنع بتلك الخرافات، فموت مساعديّ كان حادثًا عرضيًا، ولا أعتقد أنك تظن أن صاحب تلك المومياء كان متصلًا بالجن وأنه قادر على حمايتها.

- استمع إليّ جيدًا يا جيمس فلا أعرف كيف درست علم المصريات دون أن تدرك أهمية الدور الذي لعبه السحر في الحياة الآخرة عند المصريين القدماء..

- حتى إذا سلمنا بما تقول فها هي البردية الملعونة التي كنت تبحث عنها والتي وجدناها بداخل التابوت والتي لم تكن تحتوي سوى على بعض التعاويذ واللعنات والويلات لمن يقترب من مومياء ذلك الكاهن.

تنهد أنتونى في نفاذ صبر قائلًا:

- وهذه البردية الملعونة التي جلبتها ستجلب علينا شرورًا كثيرة لا علاقة لي بها، ما يهمني هو إحضار ما اتفقنا عليه، وهو تلك المجموعة من برديات تحوت، والتي أشارت إليها تلك البردية والتي وضعت في مقبرة ذلك الكاهن، حيث قالت (ولا تمسوا بسوء ما دون هنا بكلمات من فم الآلهة)، وهذا هو ما أنفقت مالي من أجله أيها المأفون وليس ذلك التابوت ولا تلك البردية الملعونة.

توقف أنتوني فجأة عن الكلام بشكل يوحي بأنه تذكر شيئًا ما فجأة، مما جعله يستدرك:

- هل أنت متأكد أنك بحثت جيدًا في المقبرة؟!

- نعم يا سيدي، وقمت بنقل جميع الصناديق والجرات ولم يكن هناك أي أثر لأي شيء آخر.

- فأين ذهبت تلك البرديات أيها الغبي؟

- فلتهدأ يا سيد أنتوني.. أعتقد أن هناك في الأمر خطأ ما.

- خطأ ما.. !!، جيمس.. أغرب عن وجهي وخذ تلك البردية الملعونة معك.. لكن نصيحة أخيرة أعد تلك البردية إلى مكانها وابتعد عن ذلك التابوت الملعون.

قام جيمس ليضع ورقة البردي المغلفة التي عثر عليها في ذلك التابوت داخل حقيبته، وقد ابتسم بسخرية وهو يلقي نظرة أخيرة على أنتوني الذي وقف يتطلع في شرود من نافذة مكتبه، وقد همّ جيمس بالانصراف حين استوقفه أنتوني الذي وقف لينفث دخان سيجارته في شرود:

- جيمس.. أين ذهب ذلك الشيخ الذي قام بفتح المقبرة..

- أعتقد أنه عاد لقريته بعد أن اختفى بعد فتح المقبرة هو ومساعده.

- عد إلى مصر وابحث عنه فربما يكون لديه الإجابة عما نريد..

انصرف جيمس وقد ترك أنتوني الذي عاد لشروده وحيرته متمتمًا في حنق:

- اللعنة على تحوت وكتاب تحوت.. كيف أصبحت أسيرًا لهذا الكتاب.. فليرحمني إله السماوات..

غادر جيمس المبنى الذي يقع به مكتب أنتوني.. واستقل سيارته في طريقه لمنزله وهو يحدث نفسه:

تبًا لهذا العجوز الخرف.. خمس سنوات وقد أصابني بالجنون بحديثه المستمر عن الجن والأرواح الفرعونية والأساطير التي لا يروجها إلا

الجهلة خمس سنوات وأنا أجوب الصحراء القاحلة من أجل البحث عمّا يريده ذلك المأفون وهو منعم في مكتبه المكيف.. خمس سنوات وأنا أعاني من الأساليب المصرية البدائية المتخلفة في التنقيب.. سئمت من عجرفته وأوامره التي لا تنتهي.. ولكني أنتظر فقط حتى أصل إلى هذا الكتاب الذي يحوي أسرار السحر الأسود، والذي سوف يغيّر كل شيء سأملك كل شيء بامتلاكي لهذا الكتاب، والذي يظن ذلك العجوز المخرف أني لا أؤمن به..

ولكن أين ذهبت البرديات؟ أي يدٍ امتدت إليها قبلي.. سأجن بالتأكيد.

ضحك بسخرية مريرة وهو يواصل طريقه لمنزله والذي بدا له ممتدًا إلى ما لا نهاية.

* * *

منتصف يوليو ٢٠١٢ داخل إحدى بنايات القاهرة..

* * *

وقفت «منى بدران» الطبيبة بمصلحة الطب الشرعي وهي تستمع إلى عمها الطبيب ومدير المصلحة السابق وهو ينظر في عدة صور لجثة قامت بتشريحها مؤخرًا.. والذي خلع نظارته وابتسم مخاطبًا إياها:

- كما أخبرتك يا منى.. هذا الموضوع في منتهى الغرابة، لم أكن أظن أني سأرى هذه الجثث مرة أخرى في حياتي .

- إذن كما أخبرتني هاتفيًا لقد رأيت مثل هذه الحالة من قبل؟ متى وأين وكيف؟ هذه أول مرة في حياتي أرى جثة بهذا الشكل والتي تبدو أنها منذ عشرات السنين.

- فعلًا يا ابنتي.. رأيتهم قبل ذلك.. منذ وقت قريب.. فقد كان ذلك آخر عمل لي في المصلحة.. وتقريبًا قبل إحالتي للمعاش بأسبوع حيث تم انتدابي لتشريح جثتين في مستشفى بني سويف العام، وذلك بعد فشل الأطباء في معرفة السبب فكان لابد من انتداب لجنة من القاهرة برئاستي لمعرفة السبب الأصلي، وعلمت أن هاتين الجثتين تم العثور عليهما في أحد البيوت الريفية بنفس هذا الشكل المحنط، وعند وصولي إلى المستشفى كانت الدهشة هي كل ما وجدته هناك حيث لا سبب واضح لتلك الظاهرة أبدًا .

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- عند مشاهدتي للجثتين كانت هيئتهما تمامًا مثل هذه الجثة التي قمتي بتشريحها، واندهشت جدًا وقتها لأنهما من الخارج كانتا مجففتين تمامًا، وكأن هناك من قام بشفط الأجهزة الداخلية، والتي لم يكن لها أي أثر..

- تمامًا يا عمي.. هذا ما حدث معي، فعند معايتني للجثة كانت سليمة من الخارج تمامًا، ولا يوجد أي أثر خارجي للوفاة، فاستشرت كل من بالمصلحة من أطباء حتى د/ عادل كبير الأطباء، فلم أجد أي إجابة شافية لي، ولم أجد سببًا علميًا مقبولًا لحدوث الوفاة، وهذا ما جعلني أكتب في تقريري النهائي أن الوفاة قد نتجت عن هبوط حاد في عضلة القلب كنتيجة لمرض مفاجئ أو ذبحة أو أي أثر أدى إلى ذلك، وعندما اتصلت بك لأسألك وعلمت منك أنك سبق ورأيت مثل هذه الحالة من قبل، سعدت جدًا، وجئت إليك على الفور لعلّي أجد لديك تفسيرًا لهذه الحالة .

- لقد أخبرتك أني رأيت مثل حالتك تلك ولم أقل لك إني فسرتها إلى الآن، لأني عندما قمت بتشريح الجثتين من الداخل وجدت أن الأجهزة الداخلية معظمها متهتك بصورة كبيرة، كما لو كان هناك من ضغط عليها بشدة، لدرجة أني وجدت بعض الأجهزة منفجرة داخل الجسم مثل الطحال مثلًا .

- هذا هو ما حدث معي بالفعل، وهو أمر في غاية الغرابة، مما جعلني أعود للمراجع الطبية والأبحاث العلمية الحديثة فلم أجد شيئًا مشابهًا، ولكن عند رؤيتي لتلك الجثة من أول وهلة لا أعرف لماذا تذكرت مومياوات الفراعنة.. ربما لأن الحالة التي وجدتها عليها تذكّرك بطريقة التحنيط عند الفراعنة، والتي كانت تتم عن طريق شفط الأجهزة

الداخلية للجسم عن طريق الأنف، وهو ما يحدث تقريبًا نفس هذه الأعراض الخارجية.. ولذلك كانت تحفظ المومياوات لآلاف السنين.

- فعلًا.. وهذا ما أثار حيرتي أكثر.. فالجثتان اللتان قمتِ بتشريحهما كانت إحداها لأحد الأشخاص المشهورين بالتنقيب عن الآثار في تلك المنطقة، ويبدو أنه توصَّل إلى شيء ما عن طريق الصدفة فحدث لهم ما لا نستطيع التكهن به.

- لا أدري بعد يا عمي.. أيضًا أشعر أن هناك شيئًا ما خارج عن المألوف في هذه القصة.

كانت منى في منتهى السعادة الآن وقد أحست أن في الأمر مغامرة ما.. كل ما عليها فقط أن تبلغ فريقها جاسر وماجد وآدم.. وتنتظر.

فجاسر من أشد المهتمين بالظواهر الخارقة للطبيعة والخارجة عن المألوف وهو شغوف بالبحث دائمًا عن الغموض والإثارة وقد ساعده على ذلك احترافه للكتابة عن تلك الظواهر الغير مألوفة ومحاولته لتفسيرها وحلها، وهو ما جعله يفتتح موقعًا خاصًا بذلك على الإنترنت، وهو موقع ناجح يجذب إليه كل من يهتم بذلك المجال.

أما ماجد.. فبالرغم من أنه شقيق جاسر الأصغر وخطيب منى، إلا أنه وبحكم دراسته وعمله كمعيد في إحدى الكليات العملية واحتكاكه بالعمل في مضمار الأدلة الجنائية وأدوات الجريمة في مصلحة الطب الشرعي كخبير كيميائي، إلا أنه على نقيض جاسر فهو لا يؤمن بالغيبيات ولا يؤمن بكل ما هو خارق، فهو يؤمن دائمًا أنه إذا كان العِلم لم يتطرق إلى موضوع ما ونسبه إلى الماورانيات.. فعليه هو وكل من يهتم

بالماديات أن يقوم بتفسيره بخطوات علمية حتى يصل إلى الحقيقة المجردة، وهو ما جعله ينكر بشدة تأثير أي من العوالم الأخرى على مجريات الأحداث في عالمنا هذا، كما ينكر أيَّ تفسير غير علمي لا يستوعبه عقله..

أما آدم فهو آخر فرد في الفريق، فهو شخصية طيبة ودودة يتمتع بالذكاء الفطري، بالرغم من أن تعليمه قد توقف عند المرحلة المتوسطة، والتي اكتفى بها ليدير الكافيه الخاص به والذي ورثه عن والده والذي يجتمع فيه أفراد الفريق، ويعتبره الجميع أخًا لهم لإخلاصه وحبه الشديد لجاسر صديق الطفولة.. ودائمًا ما يحتاجونه في المهام التي تتطلب جهدًا..

* * *

بعد عدة أيام من لقاء منى وعمها.. كان راشد العسال ضابط أمن الدولة السابق ونائب مدير الأدلة الجنائية بالمديرية وصديق جاسر منذ الطفولة.. يحتسي كوبًا زجاجيًا من البن الغامق كما اعتادوا أن يقدمونه له يوميًا في ذلك الكافيه الذي يمتلكه آدم.. وأخذ يتطلع بلا مبالاة في تلك الصور التي قدمها له جاسر منذ دقائق.. وتناول رشفة أخرى ليزيد من حنق جاسر الذي يجلس أمامه في انتظاره أن يتكلم:

- منى هي من قامت بإعطائك هذه الصور أليس كذلك؟

- راشد.. لا تجعلني أفقد صبري من فضلك.. لقد أخبرتك بذلك هاتفيًا وأخبرتني أنه ربما يكون لديك بعض المعلومات التي قد تساعدنا.. سؤالي

إليك للمرة الثانية، هل لديك ما تعرفه عن هذه الجثث أو عن الشكل الذي وجدت عليه؟

ابتسم راشد في برود:

- سبحان الله.. أنت دائمًا يا جاسر ما تحدثني وكأنك أنت الضابط الذي يستجوبني وأنا الذي من المفترض أن أبوح لك بكل ما تريده من إجابات عن أغلب القضايا التي تهتم بحلها..

قاطعه جاسر متأففًا:

- بالله عليك يا راشد.. فلتتناسي عملك قليلًا هذه المرة ولتؤجل تلك المقدمة التي تقصها عليَّ كل مرة، وكأنها الافتتاحية المقدسة لديك.. أعرف أن لك فضلًا كبيرًا في إمدادنا بالمعلومات التي نحتاجها في كل ما يصادفنا من قضايا غامضة، ولا أحتاج أن تذكرني بهذا كلما احتجت إليك، والآن هيًا أخبرني بما أريد ولا تثِر فضولي أكثر من ذلك..

ضحك راشد باستفزاز، وتناول رشفة أخرى من القهوة قائلًا:

- فلتهدأ قليلًا يا جاسر.. احتسِ قليلًا من القهوة، إنها في منتهى الروعة.. أتعلم أن في هذا النا...

قاطعه جاسر في حنق وهو يهم قائمًا:

- يا إلهي..

ولكن راشد استوقفه ضاحكًا:

- أعلم أني لن أتخلص منك.. إنها صداقة الطفولة هي من تجعلني أحتملك حتى الآن..

- راشد.. لا تنسَ أنك أيضًا تلجأ إليَّ أحيانًا.. أتذكر حينما لجأت إليَّ في وقت من الأوقات لمساعدتك في ما حدث لك في أعقاب الثورة مباشرة ولولا...

قاطعه راشد مبتسمًا:

- لست بحاجة لأن تذكرني بذلك، وإن كنت أعتقد أنك لن تسكت حتى تعلم الجميع..

اسمع يا صديقي العزيز، لقد بدأت تلك القصة أيام الثورة، وتحديدًا في قرية من قرى بني سويف، فقد كانت هناك بعثة أجنبية تعمل في سرية من أجل الوصول إلى كشف أثري ما، وكان يقوم بمساعدتهم اثنان من المصريين، أحدهما كان مسئولًا للاتصال فقط بينهما وبين أحد قاطني القرى التي يستعينان بهم في البحث عن الآثار لخبرتهما الطويلة في ذلك..

وبالفعل تم الاتصال بين أحدهما وبين البعثة، وتم التوصل بطريقة ما إلى الكشف الأثري، لكن من الواضح أن شيئًا ما قد حدث، قد يكون اختلاف في توزيع الغنيمة مثلًا.. لا أحد يدري، وتم القضاء على أفراد فريق العمل من تلك القرية..

وعلم أهل القرية بعد عدة أيام من حدوث الواقعة، عندما اكتشف بعض الأهالي رائحة كريهة تنبعث من أحد المنازل، وعندما دخلوا وجدوا تلك الجثث وتعرفوا عليهم، فقد كانوا مجموعة من العمال الذين يساعدون البعثات الأثرية في البحث عن الكنوز المدفونة عن طريق السحر والشعوذة، ووجدوا معهم جثة لطفل تم نحره من رقبته..

ولأن الوضع الأمني وقتها لم يكن على ما يرام تم إبلاغ المستشفى، والتي تحفظت عليهم في الثلاجة لحين انتداب لجنة من الطب الشرعي، وأنت تتذكر أن الوضع الأمني كان منهارًا في تلك الأيام ولم تكن هناك أي تحقيقات، ولكن بعد التحقيقات الأولية تبين أن تلك المجموعة تعمل تحت إمرة شيخ من شيوخ الشعوذة يُطلَق عليه حسن كرم الله .

- تمام.. ولكن ما علاقة كل ما تقوله بجثتنا تلك؟

- الصبر يا صديقي.. لقد تم حفظ القضية لعدم التوصُّل للفاعل، ولكن بعد عدة شهور تم العثور في نفس القرية على جثتين لشخصين تم قتلهما بصورة بشعة احتار الطب الشرعي في تفسيرها..

- وما علاقة ذلك بالموضوع؟

- لقد كانت إحداهما للشيخ حسن كرم الله والأخرى لشخص قاهري لا يوجد لديه أي سجل في البحث عن الآثار.. وليس مسجلًا عندنا في السجلات كشخص خطر.. مجرد شخص عادي يعمل في إحدى شركات السياحة في الأقصر ويعمل مرشدًا سياحيًا هناك واسمه عبد الفتاح التوفيقي..

- الأمر غريب بالفعل.. وهل توصلتم لشيء يربط تلك الجريمة بسابقتها؟

- لم نتوصل لشيء من ذلك، والغريب هو موقف أهل القرية وأقوالهم في التحقيقات.. فقد رفض الجميع الحديث عن تلك الجريمة، وأجمعوا على أن هناك لعنة ما تم تحريكها من قِبَل الشيخ حسن، وأنه قد قام بعملٍ شنيع لم يُغفَر له وحاول الجميع التهرب حتى من الكلام في التحقيقات.. كل ما كان لديهم "اسألوا الشيخ إلهامي"..

ولأن الضابط المكلف بتلك القضية لم يكن على استعداد لتصديق مثل هذه الخرافات، فكان عليه أن يبحث عن الشيخ إلهامي هذا، فالقضية بالنسبة له لم تكن سوى جريمة قتل، وكان هدفه معرفة الفاعل وليس التعرض لمثل تلك الخرافات .

- الشيخ إلهامي..!!، ومَن الشيخ إلهامي هذا أيضًا؟

- هو معمر القرية، أو تستطيع القول إنه من أكثر الشخصيات التي تحظى بالاحترام والتبجيل، والتي يلجأون إليها في الأمور والظواهر الغريبة، وقد كان الشيخ حسن يعمل لدى الشيخ إلهامي وأخذ على يديه العهد والعلم وسر الرصد، ولكن لأن توجهات الشيخ حسن كانت ناحية الشر والشعوذة والتعدي على حرمات الفراعنة كما قالوا، تم لفظه من قِبَل الشيخ إلهامي، وذلك منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا..

- وهل أخذتم أقواله؟

- أقوال مَن؟

- الشيخ إلهامي يا راشد .

- لقد بحثنا في القرية كلها ولكننا لم نتوصل إليه ولم يدلنا عليه أحد.. وكأنه سراب أو شخصية من وحي خيال أهل القرية الذين لم يكن لديهم سوى ترديد عدة كلمات غير مفهومة.. إنها لعنة.. لعنة الله على الشيخ حسن.. هو من أيقظ الغائب.. هو من أتى بالمجهول.. وأشياء كثيرة لا تدل إلا على جهلٍ مطبق..

- وماذا بعد؟

- لم يكن لدينا أي دليل على اتهام أحدهم، مما أدى إلى أن قيدت القضية ضد مجهول، ولكن..

- لكن ماذا؟

- في هذه الأثناء بدأت بعض الظواهر الغريبة في الحدوث.. أصوات نحيب وصراخ في جوف الليل في المنازل المغلقة.. حدوث حرائق مجهولة السبب في أكثر من مكان ولا تستطيع فرق الإطفاء إخمادها، وإن استطاعت لا تلبث أن تشتعل مرة أخرى.. كثرة الحيوانات النافقة بشكل ملفت للنظر.. ولم تكن لتلك الظواهر أي تفسير في القرية..

وبعد فترة تم العثور على جثتك المنشودة والتي كانت تخص شخص عُثِرَ عليه بنفس الصورة التي وجد بها الشيخ حسن وصديقه.. نفس الشكل والطريقة البشعة..

وعند التحقيق مع زوجة صاحب الجثة قالت إنها كانت في زيارة عدة أيام لأهلها، وعند رجوعها إلى البيت فوجئت بجثة زوجها وهو على تلك الحالة البشعة.. وذكرت أن زوجها كان يعمل لدى بعثة أمريكية للتنقيب عن الآثار في بني سويف، وكان دائم الترحال والسفر معهم، وعند عودته آخر مرة اكتشفت أنه يخفي تابوتًا فرعونيًا في مكانٍ ما، بعد أن سمعته يتحدث مع صديق له اسمه أحمد أبو الليل ويبلغه فيه أنه لن يستطيع الاحتفاظ بالتابوت أكثر من ذلك، وأنه فقط ينتظر الخواجة يفي بوعده ويأخذ منه هذا التابوت الملعون، وكان هذا الحديث قبل وفاته بقرابة الشهر..

- ومن صاحب هذه الجثة يا راشد؟

- الجثة لشخص يدعى مجدي معاذ المصري، والذي تبين أنه كان يعمل مع نفس البعثة الأجنبية التي كان يعمل لصالحها الشيخ حسن، ويبدو أنه كان يحتفظ بالكثير من الأسرار لذلك كان محط ثقة البعثة نفسها فلم يتخلصوا منه، بل على العكس جعلوه يحتفظ بالتابوت الفرعوني تمهيدًا لتهريبه وقت لاحق.. وبذلك يتضح الخيط الذي يربط الجرائم الثلاثة .

اعتدل جاسر قائلًا:

- تقصد الجريمة التي وقعت في القاهرة وراح ضحيتها مجدي معاذ، وجريمة القتل التي كان ضحيتها الشيخ حسن وصديقه، وتلك المذبحة التي ارتُكِبَت بعد الانتهاء من التنقيب على التابوت، وتبدو حلقة الوصل في تلك الجرائم هي الشيخ حسن .

- بالفعل.. ولكن مجدي كان الشخصية الأولى والتي يبدو أنه كان على اتصال مباشر بالبعثة، فقد كان مسئول الاتصال الذي أخبرتك عنه.. فقد اشترك معهم بالتخطيط فقط، وهناك شخصية أخرى كانت تمثل حلقة الوصل بين مجدي والشيخ حسن .

- ومن هو ذلك الشخص؟

- إنه أحمد أبو الليل.. مساعد الشيخ حسن وقريبه، وهو من كان مجدي يتحدث إليه هاتفيًا كما وَرَدَ في أقوال زوجة مجدي..

- وأين هو؟ألم تستجوبوه؟

- لم يكن هذا ممكنًا..

- لماذا؟هل مات هو الآخر؟

- لم يمت، ولكن حالته الصحية لم تكن تسمح لنا بهذا، فبعد وفاة مجدي أصيب بلوثة عقلية جعلته يرى ويسمع هلاوس بصرية وسمعية.. ولم نستطع أن نحصل منه على معلومة مفيدة تخص الحادث وعلاقته به.. فتم تحويله لمستشفى الأمراض العقلية . وعلى العموم لقد أحضرت لك ملفًا كاملًا بصورة من التحقيقات التي تمت في الثلاث جرائم والتي ستحتاجها حتمًا .

قالها راشد وهو يمد يده لجاسر بالملف والذي تناوله جاسر في نشوة ليقلب فيه، وقد استند على كرسيه بعد أن تناول كوب الماء الذي كان أمام راشد وابتسم قائلًا:

- أنا الآن في منتهى السعادة.. شكرًا لك يا راشد .

وضحك أكثر بغموض قائلًا لراشد:

- والآن اطلب لي فنجان من البن الغامق الذي تشربه.. ولنبدأ حديثنا منذ البداية.. وتحكي بهدوء على كافة التفاصيل..

* * *

بعد هذا اللقاء بيومين كان جاسر قد صدر له تصريح بزيارة أحمد أبو الليل، بعد أن ألح على راشد بذلك، وهو في منتهى السعادة لشعوره بأنه بدأ في الإمساك بطرف الخيط الذي سيوصله لحل اللغز .

وبعد نصف ساعة من إعطائه التصريح كان في طريقه إلى مستشفى الأمراض العقلية.. وكان عليه مقابلة مدير المستشفى وإطلاعه على تصريح الزيارة، بعد أن كان قد تم منع الزيارات عن أحمد، رغم أنها كانت دون فائدة، فلم يأتِ أي شخص فعلًا لزيارته منذ أن تم إحضاره للمستشفى .

وقد أخبره الطبيب المختص أن حالة أحمد غير مستقرة أبدًا، فأحيانًا يتحدث كشخصٍ عاقل، وفي معظم الأوقات يعاني من هلاوس حادة ولا يستطيع أحد أن يفهم كلمة مما يقول..

وعلى الرغم من أن حالته في ذلك الوقت كانت هادئة، إلا أن جاسر لم يستطع استخلاص أي معلومات ذات فائدة منه، فكل ما حاول معرفته منه لم يحصل عليه، لم يستطع أن يعرف منه سوى أنه ينتمي لإحدى قرى بني سويف وأنه يعمل في التنقيب عن الآثار، وكانت إجابته في حدود ماتسمح به حالته العقلية.. لكن عندما حاول جاسر سؤاله عن مجدي وطبيعة علاقته به،انتابته حالةمن الهلع مما جعلته يجري ويلصق ظهره بالجدار وهو يصرخ قائلًا:

- كان خائفًا مما سيحدث.. كان خائفًا من تلك النهاية..

- تقصد مجدي.. مما كان خائفًا؟ ولماذا؟

- كان خائفًا منه.. لقد رأيته.. هو أيضا رآه..

وأخذ ينظر برعب إلى خارج النافذة المحاصرة بسياجٍ حديدي وكأنه خائف من أن يسمعه أحد ما في غياهب المجهول .

فاقترب منه جاسر في حذرٍ محاولًا طمأنته:

- اهدأ يا أحمد، وحاول أن تشرح لي حتى أستطيع مساعدتك.. من المقصود بهذا الكلام؟ وما الذي رأيتموه وسبب لكم الرعب إلى هذا الحد؟

أمسك أحمد رأسه بشدة وهو يتمتم وكأنه يتحدث إلى نفسه:

- إنه هو.. إنني أراه.. نعم هو هنا.. هو قالها سآتي إليك.. انتظرني..

وعاد ليشرد بنظراته خارج نافذة غرفته قائلًا:

- ولكن مجدي مات..

اقترب منه جاسر في حذر قائلًا:

- ما الذي تراه يا أحمد؟ بالله عليك أريد أن أفهم كلمة مما تقول من هو؟ ما اسمه؟ أنت تبدو في حاجة للمساعدة.. ولا أستطيع أن أفعل لك أي شيء حتى أفهم.. أو حتى أحاول أن أفهم ما تقصده.

اقترب أحمد منه هامسًا في رعب وكأنه يخاف أن يسمعه أحد:

- تحوت.. هذا هو.. لعنة بدون اسم.. لعنة من الصندوق.. لعنة الله على الصندوق الملعون.. هذا الزمن.. هذا عقابي..

- (تحوت)!! ..

قالها جاسر مندهشًا متذكرًا أنه سمع هذا الاسم في وقت ما.. والتفت إلى أحمد ليسأله:

- عقاب؟ !ممن؟ وهل ما أصاب مجدي كان نوعًا من العقاب؟ من إذن تخلص منه بهذه الطريقة البشعة؟

- لقد قتل حسن بنفس الطريقة.. والآخر.. أنا أراهم في رأسي أيضًا.

- تقصد حسن قريبك والشخص الآخر الذي كان معه؟ماذا ترى يا أحمد..؟ تكلم.. تذكر.. أخبرني بجملة مفيدة.. حاول من فضلك..

- خالي حسن.. والأسود.. لقد أتاه.. هو من فعلها..

- يا ربي.. من الذي جاءه؟ ومن الأسود هذا؟!

انكمش أحمد في رعب وقد جلس القرفصاء في زاوية الغرفة. فتنهد جاسر محاولًا تغيير الموضوع حتى يهدأ أحمد فقال له:

- دعنا نترك هذا الموضوع حاليًا.. هل تذكر موضوع التابوت؟

نظر إليه أحمد بهلع أكثر صارخًا:

- التابوت.. ذلك الملعون.. ملعون.. لقد قتل مجدي.. وسيأتي إليَّ..رأسي يكاد ينفجر .

- من يا أحمد؟ ماذا تعرف عن ذلك التابوت؟ وما هي حكايته؟

أمسك أحمد برأسه بشدة متألمًا وهو يهتف:

- سأموت..أيضًا.. هذا هو العقاب الذي أستحقه.. الشيخ إلهامي حذرنا من تلك اللعنة منذ بداية الأمر.. اااااااااااه..

- من الشيخ إلهامي؟

- سيدنا.. هو فقط من لديه العهد.. هذا هو عقابي..

وبدأ في التلعثم وبدأت عيناه في الشرود وكأنه ينظر للاشيء..

- هو يقترب من رأسي..

قالها وقد بدأ في الالتصاق أكثر بالحائط ووضع يديه مستندًا إليه. وأسند رأسه قائلًا:

- أنا هنا..

وبدأ يصدم رأسه بالحائط في عنف.. وقد اقترب جاسر منه محاولًا إيقافه على قدر المستطاع حتى أجلسه أخيرًا على المنضدة المعدنية وقد هدأ قليلًا، ولكن بعد برهة وجده جاسر وقد بدأت رقبته تتلوى بشكل غريب.. شاخصًا بنظراته في سقف الحجرة وهو يشيح بيديه، وكأنه يبعد شيئًا ما مجهولًا عن وجهه..

وفجأة تغيَّر الحال في الغرفة بصورة لم يكن ليتخيلها جاسر.. فلم ينتبه إلى نفسه، إلا عندما استل أحمد سكينًا كان في ملابسه، بعد أن أخفاها في غفلة من حراسه، وحاصره.. وقتها توقع جاسر نهايته القريبة فلم يكن يفصله عن أحمد إلا أقل من متر..

حاول جاسر أن يصرخ أو يستدعي الحراس لكن لدهشته الشديدة لم يقوَ حتى على النداء.. وكأن هناك من يجثم على صدره ويطبق على أنفاسه فأخذ يتنفس بصعوبة..

واشتدت دهشته عندما وجد أحمد يمسك السكين بكل قوة..ولكن من حافتها وليس المقبض.. ضاغطًا عليها بقوة دون أن يشعر وكأنه فقد الإحساس فجأة..

ولكن الغريب ما حدث لجاسر الذي بدأ يشعر بيده هي التي تكاد تتمزق بآلام رهيبة فيها، وكأنه هو من يمسك بالسكين وليس أحمد، وهو ما جعله يصرخ بشدة وهو يرى الدماء التي تسيل من كف أحمد وهو لازال شاخصًا ببصره..

وكلما كان جاسر يصرخ أكثر طلبًا للمساعدة، كان أحمد يضغط أكثر فأكثر، حتى شقت السكين ما بين إبهامه وسبابته بالكامل..

وما لبث أن دخل الحجرة، الحارس المكلَّف بحراسة أحمد، وتبعه أحد الأطباء وعدة ممرضين.. وقد أمسك الحارس أحمد وأخذ السكين بصعوبة من يده.. واقتاده هو والممرضين إلى غرفة مجاورة، وقام الطبيب بإعطائه حقنة من محلول شفاف اللون..

حاول جاسر أن يتمالك أعصابه وهو يعدل من هندامه، حينما سمع صوت الطبيب وهو يسأله بقلق:

- هل أنت بخير ؟

حاول جاسر التماسك وهو يرفع رأسه ليجيب الطبيب:

- أنا بخير، ولكن ماذا سيحدث له الآن .

وقتها تذكر جاسر أنه يعرف هذا الطبيب، والذي لم يكن سوى إسلام صديقه في المرحلة الثانوية، والذي دعاه لاحتساء القهوة في مكتبه متذكرين أيامهم الأولى..

كان جاسر يملّ من تلك اللقاءات، ولكن حالة أحمد وفضوله الذي يكاد يقتله جعله يبتسم في وجه الطبيب كلما ذكرَّه بذكرى سخيفة من ذكريات الدراسة.. وما لبث أن قاطعه جاسر وقد غلبه فضوله قائلًا:

- ما هي حالته بالضبط يا دكتور إسلام؟

- هل هو قريبك يا جاسر؟

- لا ولكنه شاهد في قضية معينة.

- قضية؟ أعتقد أنك خريج كلية آداب يا جاسر.

- نعم.. ولكن الأمر هام جدًا فهو يتعلق بسرقة آثار، وأنا مكلف بشكلٍ غير رسمي من بعض الجهات التي...

- آثار؟ !.. عامة غير مسموح بأي حديث خاص مع أي مريض إلا لأهله فقط، وهذا المريض لديه كمية من الأمراض النفسية والتي يندر أن أراها على أحدهم.

- ما طبيعة حالته تحديدًا يا إسلام؟

- هو دائمًا ما يشعر أن هناك من يخاطبه ويحتل رأسه ويسيطر على أفعاله لدرجة أنه يحاول إيذاء نفسه، وهو ما رأيته بعينيك منذ قليل من محاولته قطع يده، وهذا النوع من المرضى يكون دائمًا عُرضة للانتحار عندما تسنح له أي فرصة، ولا أدري من أين أتى بهذا السكين رغم تعليماتي بجعله تحت المراقبة دائمًا..

- وما رأيك فيما يقوله.. هل كل كلامه دائمًا وهمٌ؟

- إلى حد ما يا جاسر.. إلى حد ما.. فكما رأيت أنت اليوم من النادر أن تجده يتحدث بجملة واحدة مفيدة، معظم كلامه إن لم يكن كله عبارة عن أوهامٍ وهلاوس.. وهذه الأوهام والهلاوس تسيطر على تفكيره لدرجة محاولته لإيذاء نفسه كما حدث معه اليوم.

- هل من الممكن أن يكون ذلك نتيجة مرض وراثي مثلًا أو أي حادث عارض؟

- لا أدري بموضوع المرض الوراثي هذا وإن كنت أرجّح أن ما يمر به ناتج عن ضغط عصبي أو صدمة عصبية شديدة، ربما أدت به إلى هذه الحالة.. لذلك فأنا دائمًا ما أبقيه تحت تأثير المهدئات، فمثل هذه

الحالات غالبًا ما يكون لديها رغبة عارمة في التخلص من حياتها، وربما بصورة متكررة.

- لقد حاولت التحدث معه في عدة أمور دون أي جدوى.

- أعتقد أنك تهدر وقتك، فالمريض في تلك الحالة تكون كلماته غير موزونة تمامًا وأفكاره مشوشة، وهذا من تأثير حالته المرضية، وكذلك تأثير الأدوية والمهدئات.

- أتعتقد أن هناك ولو بصيص من الأمل في تحسن حالته؟

- إن شاء الله.. أتمنى أن تكرر زيارتك له من وقت لآخر، فالعلاقات الإنسانية لها دور هام في حالته، وهو منذ دخوله إلى المصحة لم يقم بزيارته أحد سواك..

- إسلام.. الأمر أهم مما تتخيل، ومن فضلك اعتبرها كنوع من الخدمة الشخصية، فهذا المريض هو شاهد على أحداث جريمة بشعة.. كل ما أرجوه منك أن تخبرني إذا حدث تطور في حالته أو حدث شيء جديد.. أي شيء حتى ولو كنت تراه تافهًا.

- لا تقلق يا جاسر فنحن أصدقاء.. وعلى الرغم من أن هذا الأمر غريب إلى حدٍ ما، ولكني سأعلمك إذا جد في الأمر شيءٌ..

ودَّع إسلام جاسر بعد أن تبادلا أرقام الهواتف ليبلغه إذا حدث ما يستدعي إخباره به .. أما جاسر فقد امتلأت رأسه بأفكار كثيرة وهو في طريقه لمغادرة المستشفى؛ فقد زرع إسلام بذرة شك في كل ما قاله أحمد، فعلى الرغم من هلاوسه إلا أنه كان يتمنى أن يخرج بأي شيء مفيد..

انقطعت أفكاره عند مروره من أمام غرفة أحمد، فدفعه الفضول للدخول لرؤية أحمد الذي كان تحت تأثير المهدئ، فاقترب منه بهدوء

ليرى وجهه وقد تحول إلى ملامح توسل مرعبة، وكأنه يرى شياطين الجحيم معه في الغرفة، ووجده يهمس إليه في تضرع:

- أرجوك ساعدني!!..لست مجنونًا.. أنا هنا في كابوس.. أنا لم أصدق ما سمعت.. لم أصدق حتى رأيته.. نعم رأيته.. إنه تحوت.. أصعب من أي شي قد تراه في كوابيسك..

شعر جاسر بقشعريرة غريبة تجتاح جسده عند سماعه لكلمات أحمد وتذكر ما حدث ليده والتى لا زال يشعر بالام السكين بها.. مما جعله يسأله والفضول يكاد يقتله:

- تحوت؟!، وما هو تحوت؟

نظر إليه أحمد في هلع وهو يقاوم مفعول المهدئ قائلًا:

- عقابي عند الياسمين.. نعم مصيري عند شجرة الياسمين.

حاول جاسر أن يسأله عمّا يقصده، ولكن أحمد كان قد دخل في تأثير المنوم.. مما زاده حيرة فوق حيرته.. فخرج سريعًا من المستشفى وجسده ما زال يرتعش، حتى وصل إلى سيارته، متسائلًا عن جدوى مقابلته لأحمد فهو لم يخرج من اللقاء سوى بأفكار وكلمات مبعثرة مما جعله في شكّ هل يصدق ما قاله أحمد؟ أم يصدق ما قاله الطبيب بأن ذلك قد يكون تأثير المرض أو حتى تأثير المهدئات.. وحتى يده التي تؤلمه من تأثير ما قام به أحمد هل لها أي تفسير؟

زادت حيرة جاسر أكثر فأكثر وهو يقود سيارته في طريق العودة، وتمنى وقتها أن توفّق منى وماجد في مهمتهما للإسكندرية..

* * *

فكر في صنع القادر وابحث عن الصانع الذي أبدع جمال صورة الخالق..

فمن ذا الذي أدار حدقة عينيك؟

ومن ذا الذي فتح أنفك وفمك وأذنيك؟

ومن ذا الذي مدَّ أربطتك وربطها ببعضها؟

ومن ذا الذي أنشأ عظامك وكسا لحمك بالجلد؟

ومن ذا الذي شكّل قلبك وجوّف رئتيك؟

ومن ذا الذي جعل جمالك ظاهرًا، وأخفى قبح أمعائك؟

كم من الصنائع صُنِعَت، وكم من الأعمال أبدعت لتجسيد المخلوق الإنساني؟

فلا التماثيل ولا التصاوير تحدث من تلقاء ذاتها دون عمل ناحت أو راسم..

أفلا يكون لهذا العمل المتعالي من خالق؟

تحوت..

القاعة الملكية في بلاط صاحب الجلالة الأمير «خا أم واس» حاكم منف وولي عهد رمسيس الثاني.

* * *

في مساء ذلك اليوم كانت القاعة الملكية تتلألأ كأبهى ما تكون، وكان الأمير «خا أم واس» حاكم مدينة منف وولي عهد أبيه الملك رمسيس الثاني يجلس في كرسي العرش بكامل حلته الملكية، وعلى رأسه تاج الحكم في منف وكذلك قلادته الذهبية، بينما كان وزيره الأول «حور» يجلس بالقرب منه على يمينه أما حامل كأسه المقدسة الحكيم «نفرو» الكاهن الأكبر يجلس على مقربة من حور..

وكان خلفه أربعة مقاعد تراصت بجوار بعضها كان يجلس عليها من اليمين لليسار أربعة من كبار مساعدين الكاهن «نفرو» على حسب سنهم، فكان أولهم الكاهن «امني نخت» وبجواره «تب رع» وبجواره كان يجلس «واخموس»، وفي المقعد الأخير كان هناك الكاهن الأصغر «سوتي»، ومن خلفهم كان هناك عدد من صغار الكهنة..

أما على يسار ولي العهد جلس الأمير الصغير «أوزير» وخلفه كان المفترض أن يجلس «خاي»، ولكنه لم يحضر إلى تلك اللحظة بعد أن كان قبلها بدقائق يلهو مع «أوزير» في حديقة القصر، وكان مقعده خلف الأمير الصغير الذي ظل يلتفت يمينًا ويسارًا يبحث عن صديقه «خاي».. وكان مجلسه هذا طبقًا للعادات الملكية في حضرة الأمير وولي عهد رمسيس الثاني الأمير «خا أم واس» حاكم مدينة منف..

أما الناحية اليسرى وأمام مقاعد الكهنة كانت هناك عدة مقاعد اصطف عليها رجال البلاط الملكي.. وفي مواجهة الأمير «خا أم واس»، جلس رجل عجوز أبيض الشعر كثيفه يدعى «كاجمني»، يرتدي ملابس فضفاضة وقد حفرت تجاعيد الزمن على وجهه آثار عميقة لتعطيه أكبر من سنه الحقيقي ليبدو وكأنه أتى من آخر الزمان..

وقف الأمير «خا أم واس».. قائلًا بصوته الجهوري:

- قبل أن نبدأ الجلسة الثانية علينا أن نتلو صلواتنا للإله آتون ليمد يديه الكريمتين إلينا في هذه اللحظات .

و ما لبث أن وقف جميع من بالقاعة الملكية حينما بدأ«خا أم واس»يردد في صوت قوي:

- يا آتون...

يردد الجمع من ورائه:

- يا آتون الحي

- أنت يا آتون الحي الذي كنت في أزلية الحياة..

يا من تبزغ بجمالك في أفق السماء..

كنت تملأ البلاد بجمالك..

أنت خلقت السماوات العلى لتشرق فيها..

ولتشاهد كل ما صنعت..

مضيئًا أنت في صورتك أنت آتون الحي..

أنت تخلق ملايين من الصور وحدك وبنفسك..

من مدن وقرى وحقول وأنهار..

وجميع العيون تراك تجاهها..

لأنك آتون.. شمس النهار فوق الأرض..

وحينما تغيب..

فإن جميع الناس الذين سويت وجوههم..

لكي لا ترى نفسك بعد وحيدًا..

يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحدًا منهم ما قد خلقته..

ومع ذلك فإنك لا تزال في قلبي..

- يا آتون الحي..

يهمس الجميع بالكلمة الأخيرة ثم يدعوهم إلى الجلوس ناظرًا إلى العجوز قائلًا:

- فلتكمل عظتك يا مرشدي..

- آتون هو الأول.. والكون هو الثاني.. والإنسان هو الثالث..

آتون واحد.. والكون واحد.. كذلك الإنسان مثله مثل الكون الواحد خُلِقَ من أجزاء مختلفات..لقد صنع الصانع الإنسان ليشاركه الحكم وإذا قبل الإنسان هذا العهدبالكامل، صار مصدرًا للنظام في العالم، وقد يعرف الإنسان ذاته فيعرف الكون بالوعي بأنه صورة آتون وصورة الكون، ويختلف عن غيره من المخلوقات الحية الأخرى من حيث أنه يمتلك عقلًا..

- كل الحق لك يا مرشدي..

- وبمشيئة آتون صار الإنسان مزيجًا من خلود الربوبية وفناء المخلوقات.

هو أكبر من أن يكون مجرد إنسان فانٍ، وأعظم من أن يكون مجرد كائن خالد.. الإنسان أعجوبة تستحق التشريف والتبجيل فله صفات الملائكة كما لو كان واحدًا منهم، وقد عرف الملائكة لأنه علم أنه نشأ من نفس الأصل..

- يا لها من كلماتٍ خالدة تستحق التأمل يا مرشدي..

- إنها كلمات مرشدنا تحوت كاتب الآلهة..

- أرني طبيعة الواقع ولتباركني بمعرفته يا مرشدي..

- اعلم يا مولاي الأمير أنه يجب ألا تغتر بما حصلت عليه من النعم فتتكبر.. ولا تتجبر.. ولكن فلتجعل أمرك شوريًا بين الجميع شاور الرجل الغير متعلم كالمتعلم.. ليس هناك حدٌّ للمعرفة.. ولا رجل بلغ إلى نهاية العلم بحكمته.. وأن القول الحكيم نادر.. أنت تريد أن تعلمه يا مولاي الأمير.. هو يدور من حولك ..هو النور.. كلمة آتون فكرة خالقة وقوة سامية لانهائية تغذي وتخصب جميع الأشياء وتخلق كل شيء..

لقد أطلعتك على أقل الأمور فماذا تنتظر؟ كتب تحوت الحكمة الإلهية من فم الآلهة.. الحكمة التي فهمتها بحروف مصرية لتنقشها على حجارة قدس الأقداس.. فاجعل نفسك مرشدًا روحيًا لأولئك الذين يستحقون المعرفة فينقذ آتون على يديك الإنسان..

مدين انت بالحمد للأب الواحد ..الذي أفاض علينًا نظرة علوية، وأدعوك أن تصلي لآتون بخشية وتبجيل متوسلًا ألا تضل طريق تلك

المعرفة التي أبدعها العظيم تحوت حتي يرسل النور لأولئك الذين مازالوا في ظلام..

- هو كذلك يا مرشدي.. هو كذلك، ..أبحث عن تلك التعاليم من القدم.. لقد سمعت في كتبنا المقدسة عن تعاليم حكيمنا وكاتب الآلهة المعظمة تحوت.. لقد بحثت في مصر كلها.. لقد ناديت في الأسواق والحوانيت وكل أنحاء مصر وبعثت رجالي في شتى أنحاء الأرض أبحث عن أي دليل.. حتى وجدناك يا مرشدي.. يا من ستأخذ بأيدينا للبحث عن كتاب تحوت المقدس.. كتاب الحكمة المفقود منذ عدة قرون..

- يا مولاي.. أنت لديك الحكمة.. أنت والفرعون العظيم رمسيس الثاني ابن الإله الأعظم.. كل ما لدي هي أقاويل تناقلها أعضاء المعبد المقدس منذ مئات من السنين.. وهذا ما سأقصه عليك من خبرٍ توارثته عن جميع آبائي المقدسين..

- هذا كل ما أريده.. أن أضع يدي على تلك الحكمة المفقودة..

- سأخبرك بكل ما لدي يا مولاي.. وعن مكان الحكمة ولتحمل أوزارها إلى الأبد إن أسأت استخدامها.. فللكتاب حراس لا يقف أمامهم حراسك.. وليباركك الرب إن استطعت إنارة طريق الظلام لكل من يحتاجه .

- فلتكمل يا مرشدي.. أنا أعدك بحق أجدادي الآلهة..

- قبل أن أكمل يا مولاي.. هل تثق في جميع الحضور لأن ما سأخبرك به هي أسرار تتعلق بالأمير نفر كا بتاح.. أحدأجدادنا منذ-مئات السنين؟ وتتعلق بالمكان المقدس الموجود به كتابنا المفقود. ..

- بالطبع يا مرشدي.. أثق في جميع من بالبلاط الملكي.

في هذه اللحظة دخل «خاي» من باب سرى خلف كرسي الأمير «خا أم واس»ليجلس خلف «أوزير»الذي انتبه إليه وبدأ في الهمس في أذنه معتذرًا لكونه ضلَّ طريقه في القصر وانتظر حتى يدله أحد الخدم.. ولم يلحظ أي أحدٍ هذا الصبي عند دخوله وجلوسه بجوار الأمير الصغير إلا

والده «تب رخ» الذي كان قلقًا من تأخر ابنه وسرَّ عندما رآه يدخل سريعًا معتذرًا له بعينيه.. أما الشخص الاخر فكان العجوز الذي بمجرد رؤيته لـ «خاي»،انتفض وزاد من بريق عينيه.. وزادت ضغطة قبضته على العصا التي يستند إليها.. مما جعل الأمير ينتبه لتوتره المفاجئ ويسأله:

- ماذا بك يا مرشدي؟ لماذا تسكت؟ فلتكمل.. لقد أخبرتك..أمير منف وحاكمها يثق في جميع الحضور..

- نعم نعم يا مولاي.. ولكن هل تسمح لي بكلمة في أذنك؟

هنا انتفض الكاهن «نفرو»قائلًا:

- أيها العجوز لقد أخبرك مولاي الأمير بثقته بكل من يوجد في البلاط.. ولتعلم أنه لا يجوز لك الاقتراب من أبناء الآلهة.. إن كان لديك ما تخبرنا به عن الكتاب المفقود فلتخبرنا جميعًا.. في هذا البهو.. والان.

- مولاي الكاهن«نفرو»إن ما كنت سأقوله لا يمت بصلة إلى الكتاب المفقود.. ولكني كنت سأخبره عن شخصٍ ما في هذا البلاط لا ينتمي إلينا.. ولا يجب أن يكون حاضرًا في البلاط..

اندهش الأمير «خا أم واس»من كلمة العجوز الأخيرة قائلًا:

- ماذا تقصد بلا ينتمي إلينا يا مرشدي؟ !

- يا مولاي.أود فقط الانفراد بك..

ردَّ الوزير الأول «حور»لأول مرة منذ بداية الجلسة قائلًا بهدوء:

- أيها العجوز إن كان لديك أي شك في أحدنا فلتخبر مولاي الأمير حالًا وعلى الفور عن الشخص الغير مرغوب فيه لحضور هذا الجمع.. أتـ.. أن هناك خائنًا بيننا؟

- أنا لم أقل خائن.. قلت فقط إنه لا ينتمي إلى هذا المكان.

بدأ «خا أم واس»في التململ قائلًا:

- مرشدي.. أنت تتهم أحد رعاياي المقربين بأنه لا ينتمي إلينا، فإن كان لديك اتهام فلتقم بتوجيهه.. ولترى ما عقوبة من يخون فرعون مع العلم أني أثق في رجالي ثقة لا حدود لها..

- يا مولاي..لم أقصد أي خيانة بينكم.. بل الأمر يتعلق بشيء آخر.. حسنًا يا مولاي.. إن السر الذي سأخبرك به لا يجب أن يستمع إليه أحد الجن..

انزعج الأمير بشدة وهتف قائلًا:

- جن؟ماذا تقول يا مرشدي؟

وقف الكاهن «نفرو»مبهورًا من كلمة العجوز الأخيرة قائلًا باندهاش:

- جن؟ !!أهناك جن وسطنا أيها العجوز؟

- نعم يا كاهن المعبد المقدس.. نعم يا مولاي الأمير «خا أم واس».. ..لن أتفوه بأي كلمة هنا طالما ظل هذا الصبي هنا.. نعم يا سيدي فهذا الصبي ليس...

قاطعه «خا أم واس»قائلًا برعب قاتل:

- اللعنة..هل سيتكرر الأمر مرة أخرى؟ أي صبي يا مرشدي؟ وليس ماذا؟

مدَّ العجوز يده مشيرًا إلى «خاي» الذي أصبح لونه في شحوب الأموات قائلًا:

- هذا الصبي يا سيدي ليس.. ليس بشريًا على الإطلاق..

* * *

عندما كان جاسر في مقابلة مع أحمد في المصحة النفسية كانت منى وماجد في بيت زوجة مجدي صاحب الجثة الغامضة عند أهلها في الإسكندرية..

كان اللقاء فاترًا في بدايته ..وبعد تقديم واجب العزاء تظاهر ماجد ومنى بأنهما مراسلان صحفيان لجريدة يومية وأرادا عمل لقاء مع زوجة مجدي بخصوص جريمة القتل والتي راح ضحيتها زوجها .

كانت فايزة زوجة مجدي تتحدث في عصبية وتوتر حينما ابتدرها ماجد قائلًا:

- يا مدام فايزة أفهم من حديثك أنك كنت في زيارة لأهلك في الإسكندرية لمدة أسبوع، وعند عودتك وجدتِ المرحوم على هذاالشكل ..؟

- لقد أخبرتك هذه النقطة لأكثر من مرة.. لقد كنت اول من اكتشف الجثة.. لم أكن أتخيل أن هذا قد يحدث له، فلا أعتقد أن هناك من يعادي مجدي.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. الله يرحمه .

- ولكن جاء في تقرير المباحث أن المرحوم كان يتعاون مع بعثة آثار أجنبية.

- نعم، ولم أنكر هذا في التحقيقات وقلت كل ما أعرفه في هذا الشأن.. نعم كان مجدي يكسب رزقه بهذه الطريقة، فقد كان لديه صديق خواجة وكانا دائمًا ما يسافران إلى الصعيد سويًا، وكان بينهما عملٌ مشترك في التنقيب عن الآثار منذ فترة طويلة .

- ألا تعلمي اسمه أو من أي بلد كان؟

- لا لم يكن لدي علم هو من أي بلد، ولكن كان اسمه «ديفيد» وكان يتحدث العربية بطلاقة، وكثيرًا ما كنت أقابله في بيتنا في القاهرة حيث إنه قد أتى لمجدي عدة مرات.. والمرحوم كان يمدح فيه كثيرًا ويقول عنه إنه شديد السخاء .

سألها منى بفضول:

- ألم يسأل عليك «ديفيد» هذا بعد وفاة زوجك؟

- لا لم يسأل، أو ربما سأل، لا أعرف، فقد انتقلت لبيت أهلي في الإسكندرية بعد الوفاة.

- إذن كان مجدي يحكي لك عن علاقات العمل بينه وبين الخواجة، فهل ذكر لكِ شيئًا عن تابوت فرعوني؟

هتفت فايزة في تساؤل:

- التابوت؟

استدرك ماجد موضحًا:

- تابوت.. صندوق.. شيء من هذا القبيل يا مدام فايزة..

- نعم.. نعم.. لقد اكتشفا هذا التابوت سويًا في الصعيد منذ فترة كبيرة.. وقت الثورة تقريبًا.. لا أتذكر الوقت تحديدًا.. ولكن ما فهمته من مجدي أن هناك عددًا من البلطجية حاولوا سرقة الكشف الأثرى وقاموا بإطلاق النيران علي البعثه..

- ولكن أليس هذا التابوت أو الصندوق هو ملك الدولة يا مدام فايزة.. فلماذا يقوم زوجك بمساعدة الخواجة في سرقة آثار الدولة؟

- لا لا لا.. هذه البعثة أيضًا تتبع الدولة يا أستاذ ماجد.. لقد سألته في هذه النقطة.. لأنهما عندما وجدا الصندوق أو التابوت الخواجة أمر مجدي بأن يخفيه في أي مكانٍ سري لا يعلمه إلا مجدي فقط حتى تستقر الأمور الأمنية في البلد، ثم يقوم بتسليمه إلى المتحف مرة أخرى.

تدخلت مني في الحوار قائلة:

- واستقرت البلد، ولكن زوجك أخفى التابوت تمامًا..

- لا أدري السبب.. ولكن مجدي أخفى التابوت لفترة كبيرة، وعندما بدأ في الضجر منه أخبر الخواجة أن عليه أن يتصرف بسرعة.

- ولماذا بدأ في الضجر منه؟

- كان يقول إنه مخاوٍ، أو أن هناك سرًا ما في التابوت أو الصندوق الملعون، لا أدري، ولكن كان يشتكي دائمًا لأحمد بعد أن تصالحا.. حتى فاض به الكيل وأخبر الخواجة أن عليه أن يأخد التابوت.

- مهلًا.. مهلًا يا مدام فايزة.. مَن أحمد هذا؟

- أحمد هو أحد أصدقاء مجدى، وكانت مهمته أن يأتى بقريب له يعمل في مجال التنقيب عن الآثار في الصعيد، كما كان مجدي احيانا يكلفه بإستئجار رجال، أو أحد هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بطقوس معينة في إستخراج الآثار، لا أدري ما هي تلك الطقوس..فقد كان مجدي يثير خوفي دائمًا بها.

- وأحمد.. هل كان يعلم مكان التابوت؟

- لا أعلم، ولكن كل ما أعرفه أنه كان فقط حلقة وصل في تلك المهمة، ولكن بعد اكتشاف التابوت حضر أحمد هنا وقام بالعراك مع مجدي كثيرًا، بل وحاول ضربه، وسمعت مجدي وقتها يقسم له أنه لا يدري ما الذي كان ينتويه الخواجة.. وبعد فترة تصالحا بعد أن بدأ العمل بينهما مرة أخرى.

- أي عمل؟ هل عادا بعد هذه الواقعة للتنقيب مرة أخرى؟

- لا.. ولكن ما فهمته بعد فترة أن أحمد كان يبدو أن لديه شيئًا ما يهم الخواجة جدًا، وبدأت المساومات ما بين أحمد من جهة ومن الجهة الأخرى مجدي والخواجة، حتى وافق أحمد أخيرًا على تسليم ما كان يحتفظ به إلى مجدي، مقابل المبلغ الذي تم الاتفاق عليه، وهذا كان قبل الوفاة بشهر أو أكثر..

- ألا تعلمين بالضبط ما طبيعة هذا الشيء؟ وهل قام أحمد بتسليمه لمجدي قبل وفاته أم لا ؟

- لا أدري.. كل ما أتذكره أن مجدي أتى في يوم ومعه حقيبة صغيرة وبها عدة برديات فرعونية، وكان يرتعد بصورة لم أعهدها من قبل، ولكنه قال لي إنه الآن أصبح في يده كنوز الأرض..

- كنوز الأرض.. !!

- نعم ولكن بعد ذلك بدأ مجدي في التغير بصورة غير طبيعية.. فقد أصبح عصبيًا كما لم يكن من قبل، وكذلك كل تصرفاته تغيرت أكثر.. وندم بشدة على ما فعله، وقال لي إنهم أخطأوا خطأ عمرهم.

- وأحمد؟

- في هذا الوقت اختفى أحمد تمامًا، ولكني سمعت مجدي عندما كان يحادثه هاتفيًا كان يقسم له أن الخواجة لم يرسل له بقية المال.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- اتصل مجدي بالخواجة كثيرًا، وطلب منه الحضور في أقرب فرصة لأخذ الأمانة وتحويل بقية المبلغ، لأن السرقات قد كثرت، وهو يخشى أن يقوم أحدهم بسرقة التابوت، وهذا الحديث كان قبل الوفاة بأسبوعين، وكان يشعر أن الخواجة يتهرب منه لسبب ما.. أما أنا وفي هذا الوقت اضطررت إلى السفر للإسكندرية نظرًا لمرض والدتي، ولا أعلم ما الذي حدث في هذا الموضوع..

سألتها منى في اهتمام:

- هل أرسل أحدهم ليأخذ التابوت؟

- لا أعلم..

- ولا تعلمين أين أخفاه المرحوم؟

- والله لا أدري.. قلت لك أكثر من مرة.. الوحيد الذي كان يعلم كل أسرار مجدي هو أحمد فقط .

نظر إليها ماجد متسائلًا:

- وهل أحمد هذا من القاهرة ؟

- لا من بني سويف من بلده اسمها طما.. وكانت مهمته فقط في أن له قريبًا يأخذ إذنًا من الأسياد..

نظرت إليها منى في دهشة قائلة:

- إذن من أسياد.. !!

- نعم أسياد.. هذه الوسيلة كما أخبرتكما، وكان مجدي يقول لي إن الخواجة مستاء جدًا من تلك الطرق لاستخراج الكنز.. وعلى الرغم من أن الخواجة كان لديه أجهزة حديثة قامت باكتشاف الأثر والصندوق، إلا أنه لابد من استخراجه عن طريق شيخ، وعندما أتاه الإذن تم استخراج التابوت .

اعتدلت منى قائلة:

- لقد أتعبناكِ يا مدام فايزة، ولكن سؤال أخير.. ألا يوجد في حديث أحمد والمرحوم شيءٌ ما لفت انتباهك في الفترة الأخيرة؟

- لا أركز في حديثهما دائمًا يا أستاذة منى، ولكن في الفترة الأخيرة كانا دائمًا يذكران شخصًا ما اسمه تحتو.. تحتح.. لا أتذكر..

- تحتو؟

- لا.. لا.. حتحوت.. هو حتحوت.. نعم حتحوت فكان مجدي دائمًا يسبّه، وعندما أسأله كان يصرخ بوجهي ألا أتفوه بذلك الاسم ثانية..

ردد ماجد مندهشًا:

- حتحوت..!!!!

استأذن الاثنان بعد هذه الجملة، وودعتهما فايزة إلى باب المنزل، وما إن خرجا.. حتى دخلت سريعًا إلى غرفتها لتخرج جوالًا قديمًا وتفتحه، وتتصل برقم تحفظه عن ظهر قلب، وما إن أجابها الطرف الآخر حتى بادرته قائلة:

- نحن في ورطة.. انتظر فقط واسمعني جيدًا.. لا تقاطعني واسمع.. أعلم أنك أخبرتني ألا أهاتفك إلا في الأمور الهامة فقط.. لقد أتى الآن لي شاب وفتاة تظاهرا بأنهما صحفيان، ويبدو أنهما يعلمان الكثير، لذلك اضطررت لمجاراتهما حتى أفهم ما يدور.. نعم.. نعم.. لا تقلق.. لم يشعرا بأي شيء.. ولم أخبرهما طبعًا.. نعم.. الاتفاق كما هو.. في القريب.. الحمد لله لقد أزلت القلق من قلبي.. تمام.. سأخبره هاتفيًا هو الآخر الآن..

* * *

بعد هذه الأحداث بيومين كان جاسر مجتمعًا مع أفراد فريقه لمحاولة كشف غموض كل الأحداث الماضية، وبعد أن قصَّ كل منهم ما جرى من مقابلة أحمد وزوجة مجدي، اعتدل جاسر قائلًا:

- أعتقد أن الموضوع يسير في اتجاه أن ما حدث هو نوع من اللعنة..

انفجر ماجد ضاحكًا:

- لا تقل أنها لعنة فراعنة يا جاسر.. إن كل شيء لابد وأن يكون له سبب، وعلينا أن نحاول الوصول إلى هذا السبب بالتحليل العلمي السليم لا أن ننسبه إلى ظاهرة خارقة، لمجرد عجزنا عن تفسير الأمر من أول وهلة، والذي يجعلنا ننسب ذلك إلى الغيبيات، وبالتالي تزيد الخوارق .

ردت منى بجدية قائلة:

- لا يا ماجد فلتسمح لي.. هذه بالفعل أول مرة بحياتي أرى هذه الحالة بأجهزتها الداخلية المهترئة، وكأن عربة ما قد طحنتها حتى دون أن تكسر عظمة فيها.. هذا الشيء لا يوجد له أي تفسير في كتب الطب، حتى عندما سألت عمي كما أخبرتكم لم أجد لديه أي تفسير، وبالتالى إضطررت إلى أن اكتب في التقرير النهائي أن سبب الوفاة قد يكون نتيجة الهبوط الحاد في الدورة الدموية.. وهذا ما يجعلني أكاد أفقد عقلي أكثر..

اعتدل ماجد وقد استعاد جديته المعهودة قائلًا في إصرار:

- لابد من وجود السبب.. قد يكون نوع من الفيروسات التي لم تكتشف بعد أو..

قاطعه جاسر قائلًا:

- حتى لو وافقتك أنه نوع من الفيروسات يا ماجد.. هل هذا الفيروس ذاته هو من سبَّب لوثة عقلية لأحمد في المستشفى؟

ردَّ ماجدقائلًا:

- لا تأخذوا الموضوع بشكل شخصي.. لماذا تربطون الأحداث بلعنة الفراعنة فقط؟ تلك الخزعبلات التي حاول الغرب أن يفسر بها العديد من الأحداث الغامضة التي تصيبهم بالرعب دون سبب.. لاتنسوا أن العلماء بعد تداول هذه الظاهرة وتحليلها منطقيًا اكتشفوا أن هناك نوعًا من الفيروسات أو البكتريا تعيش في التوابيت القديمة والمومياوات، كنوع من البكتريا الخاملة منذ آلاف السنين، وتنتقل بالتالي إلى من يقوم بفتح التابوت.. ويصاحب ذلك أعراض التهاب في العين أو أي ظواهر

غريبة. ولا تنسوا أن اللورد هوارد كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون عاش حتى مات عن عمر يناهز التسعين عامًا. أليس من باب أولى أن تقتله اللعنة بعد اكتشاف جثة الملك الشاب؟ طالما أن الأمر له تفسير وله حقيقة ملموسة نصل إليها بعد التدقيق فمستحيل أن أصدق الماورائيات تلك أو حتى أعترف بها..

هزَّ آدم رأسه ساخطًا وهو يقول:

- ياربي.. !!، عن ماذا تتحدثون بالله عليكم؟ !أي لعنة تتحدثون عنها؟ !، هذا ما كان ينقصنا هو الآخر.. من فضلكم أخفوا صور تلك الجثث الملقاة على المنضدة وكأنكم تتباهون بها.. إذا مرَّ أي شخص فقد يظن أننا قد قتلنا شخصًا ما.. أو ربما يأتي قرينه إلى المقهى، والمقهى لا ينقصه أي مس جنى هو الآخر..

نظر إليه جاسر قائلًا في حماس:

- أحسنت يا آدم.. المشكلة فعلًا في اللبس..

نظر إليه آدم مندهشًا:

- أي لَبْس؟!

التفتت منى إلى جاسر قائلة:

- لا يا جاسر، ليس معنى أني وافقتك على أن هناك لعنة ما أني قد أوافقك على أن نربط ما حدث كنوع من أنواع المس الشيطاني أو خرافة المس بشكل عام، بالإضافة إلى أنه على مدار التاريخ الفرعوني لم يكن هناك أي أحداث حقيقية قد قامت بالربط بين الاثنين..

نظر إليها جاسر قائلًا:

- أهذا هو رأيكِ؟

هتف آدم في الجميع:

- مس؟ !!، يبدو أنكم تصرون على إصابتنا جميعًا باللبس إن شاء الله، طالما أنكم لن تبدلوا هذا الحديث..

تراجع جاسر في مقعده وقد عقد حاجبيه مفكرًا:

- ليست المشكلة في المس نفسه.. ألم يلفت انتباهكم الكلمات التي رواها لي أحمد في لقائه؟

وافقه ماجد قائلًا:

- نعم ما ذكره أحمد وفايزة عن حتحوت.. ولكن من حتَحوت؟

أجابه جاسر:

- لا يدعى حتحوت.. اسمه تحوت..

هتف آدم مندهشًا:

- من تتح هو الآخر.. يا جماعة.. لماذا لا تجيبون؟

تجاهلت منى قول آدم وهي تقول بهتمام:

- لو فعلاً الموضوع كان يتعلق بتحوت.. إذن الأمر أخطر مماتظنون، لقد قرأت الكثير عن التاريخ الفرعوني، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلابد من استشارة شخص متخصص .

رد جاسر وقد عاد إليه حماسه:

- جميل جدًا.. فلنبحث عن أستاذ متخصص في التاريخ الفرعوني لنحاول أن نجمع معلومات أكثر عن الموضوع.

رد آدم وقد إنتقلت إليه حماسة جاسر:

- إذا كان الأمر كذلك فليس هناك أفضل من دكتور نجيب.. فقد كان عميد كلية الآثار، وأعتقد أن تخصصه له علاقة بالموضوع الذي تسألون عنه، وهو بالتأكيد من سيخبرنا بسيرة هذا الملك الفرعوني..

أجابته منى بتوتر ملحوظ:

- ليس ملك.. ليته كان ملكًا.. إنه كتاب ملعون..

* * *

ورأيت في ظلام الأعماق مياهًا صاخبة لا شكل لها..

نفذت إليها نسمة ذات قوة ربانية..

وفاضت كلمة آتون على المياه الصاخبة لتجعلها حبلى بجميع الأشكال..

ووجدت العناصر الأربعة باتساق الكلمة..

واتحدت لتكون جميع الأحياء..

عنصر النار جلي كأبراج النجوم،

وملائكة السموات السبع تحوز في أفلاكها..

إلى الأبد..

تحوت..

انتهى كبير الكهنة «نفرو»من جلسته مع «خاي» وتركه ليخرج إلى أبيه «تب رع» الموجود خارج غرفته، والذي كان مرعوبًا بشدة على مصير ابنه المجهول، فلو أقر فعلًا كبير الكهنة بوجود مس ما من الجن لولده «خاي» لكان عليه أن يتركه ليعيش مع الكهنة المتصلين بالجن في صحراء منف وبعيدًا عنه، ولكن «نفرو»العجوز خرج وجلس على أقرب كرسي إليه قائلًا في تردد:

- لا أعلم يا«تب رع» بحق الآلهة.. لا أعلم.. ولكن هو ليس ممسوسًا من الجن بأي صورة..

تنهد «تب رع»في ارتياح قائلًا:

- إذن نحمد الإله يا «نفرو»المعظم..

استدرك «نفرو»كبير الكهنة قائلًا:

- الأمر ليس بهذه البساطة يا«تب رع».. هناك شيءٌ ما في ولدك لا يروق لي..

قال «تب رع»في قلق:

- لقد أخبرتك يا سيدي منذ فترة عن تلك الحالة المرضية التي أصبحت تنتابه ويغشي عليه ليظل في غيبوبة عدة أيام ثم يفيق بعد ذلك ناسيًا أين هو أو أي معلومات عنه، ثم ما يلبث بعد فترة أن يتذكر كل شيء.

هز كبير الكهنة رأسه في حيرة:

- ليس هذا ما يقلقني.. ما يقلقني بالفعل أن ولدك هناك شيئًا ما في نظراته وأسئلته.. كنت أشعر أحيانًا أن هناك سرًا غامضًا به، والأدهى

أنه هو نفسه لا يعرفه، أو بالمعنى الأدق لا يستطيع البوح به، وكأن هناك من يحبس أنفاسه.. سألني سؤالًا عجيبًا وبمجرد أن هممت في الرد عليه حتى انتابه صداع وسكت وقام بتغيير الموضوع..

سأله «تب رع»في قلق:

- ما هو ذلك السؤال يا «نفرو»المعظم؟

- لقد سألني هل رمسيس كان عادلًا؟

- رمسيس..أي رمسيس؟ أيقصد الفرعون الأعظم رمسيس الثاني سليل الآلهة ومؤسس مصر الحديثة؟

هز كبير الكهنة رأسه قائلًا:

- لا أعلم، ولكنه سأل هذا السؤال ثم نساه مرة أخرى.. لا يا «تب رع»ولدك هناك شيءٌ ما يتنابه لا أعلمه.. ولكن سأبحث في الأمر في القريب العاجل..

هتف «تب رع»متوسلًا:

- مولاي «نفرو».. بحق الآلهة لا تصدر قرارك بترحيل ولدي إلى معبد ميدوم المقدس حيث كهنة الجن، فأنا ليس لدي أبناء غيره، وأنت تعلم أني أود تعليمه ليصبح كاهن المعبد الجنائزي من بَعدي.

- أعلم ذلك يا «تب رع».. لا تقلق لن يرحل أبدًا إلا بعد التأكد من موضوع الجن هذا.. هو ليس ممسوسًا.. أنت تدرك أن هذا الموضوع شديد الحساسية بالنسبة لمولاي «خا أم واس»، وتعلم سر نظرة الرعب القاتلة التي انتابته بمجرد إشارة العجوز إلى أحد الصبيين، واتهامه بأنه ممسوس من الجن..

أومأ «تب رع»برأسه قائلًا:

- نعم يا«نفرو»المعظَّم فقد ظن أن العجوز يشير ناحية ولده أوزير، مكررًا قصة ابنه الأول المرحوم سي أوزير، الذي مات بعد أن واجه الساحر الحبشي، وبعد ذلك اتضح أن ابنه كان ممسوسًا من أحد كهنة معبد تحوت المقدس..

- نعم يا «تب رع» ومنذ وقتها وهو يصر على البحث عن تلك التعاليم المقدسة ومعرفة السر الأعظم في الكون والتحكم في السحر.. فهو الآن خائف أن ينال ابنه «أوزير»أي مسٍّ هو الآخر، ولا تنسَ أن«أوزير»هو ولي عهد مولانا الأمير«خا أم واس»الذي سيصبح حاكم مصر بعد رحلة أبيه إلى الدار الآخرة منطلقًا إلى آبائه وأجداده.

- نعم يا «نفرو»المعظم..

- لذلك أرجو منك أن تبعد ولدك حاليًا عن مجلس البلاط حتى نطمئن على حالته العقلية والصحية، فأنت ترى العجوز يصر على عدم البوح بأي شيء طالما ولدك في الحضور..

- أمرك يا «نفرو»المعظم، سأتركه مع «حتوم خنب»ولن أدعه يغيب عن ناظريه..

نظر الكاهن الأكبر فإذا بالأمير«أوزير»يقترب منهم فالتفت «نفرو»إلى «تب رع»قائلًا:

- فلتصمت الآن.. ها هو مولاي «أوزير»يقترب منا، ولا تخبره عن حالة ولدك العقلية.

- مؤكد يا «نفرو»المعظم.

اقترب «أوزير»من «نفرو»قائلًا في خوف:

- لماذا تأخرت يا«نفرو»المعظم؟ وكيف حال خاى؟ ولماذا العجلة في الكشف عليه؟ وهل وجدت ما يقوله ذلك العجوز حقًا؟

ضحك كبير الكهنة «نفرو»قائلًا:

- لا تخف يا أوزير.. صديقك معافى ولا يوجد به أي جن..

هتف «أوزير»باستنكار:

- أخاف.. ..أخاف يا «نفرو»المعظم.. أنا سليل الآلهة وحفيد رمسيس الثاني أخاف؟!!، لا بالطبع.. جئت فقط أطمئن على صديقي الوحيد.

هز كبير الكهنة رأسه قائلًا:

- أنت بالطبع شجاع يا مولاي أوزير.. صديقك في الغرفة العلوية تستطيع أن تذهب معه وتلهوان قليلًا حتى ينتهي الاجتماع مع ذلك العجوز.. ألا يزال الاجتماع مستمرًا يا مولاي؟

- نعم يا «نفرو»المعظم.. ذلك العجوز لايتوقف عن الصلوات والتمتمة بمجرد مغادرتكم البلاط الملكي حتى ضاق صدر أبي وأمره أن يدخل في الموضوع مباشرة.. فانسحبت في هدوء لأطمئن على «خاي».

- هو بخير يا مولاي.. ولكن أنت تعلم موضوع نسيانه المستمر وسوف نجد علاجًا في القريب العاجل..

اقترب «أوزير»من «نفرو»قائلًا في قلق:

- أصدقني القول يا «نفرو»المعظم ما موضوع الجن ذلك؟ ولماذا ينتاب والدي القلق كلما ذكره أحد بذلك الموضوع؟ وما علاقة ذلك بأخي المتوفي؟

- الصبر يا مولاي أوزير.. الصبر. ستعلم كل شيء في حينه. أما الآن يا مولاي فتستطيع الانضمام إلى صديقك حتى ننهي الحديث مع ذلك العجوز.

ثم التفت إلى «تب رع»قائلًا:

- تب رع خذ بيدي إلى مجلس البلاط لنسمع ما يقوله العجوز.

ذهب «أوزير»للاطمئنان على صديقه «خاي» في حين قام «تب رع» ليأخذ بيد «نفرو»ليدخلا معًا إلى مجلس البلاط؛ حيث كان العجوز يجلس أمام الأمير «خا أم واس»، وقد بدأ التعب يتسلل إليه بعد ساعتين من الحوار المتواصل مع الأمير.. اقترب«نفرو» من الأمير هامسًا إليه ببضع كلمات تنهد بعدها في ارتياح وأشار بيده إلى العجوز ليسترسل مرة أخرى ..فبدأ يتحدث ويشير بيديه قائلًا:

- فلتعلم يا مولاي أن كتاب الحكيم تحوت خطه بنفسه فهو يحوي أسرار الكون نفسه، فقد دوَّنه من فم الآلهة وطقوسها وكلماتها المقدسة الأبدية.. ففي الكتاب نصان متلازمان، من قرأ أحدهما فإنه يمتلك سحر الأرض وسحر السماء وسحر الجبال وسحر الماء ويمتلك قوة الآلهة.. لن يثنيه شيء على سطح الأرض والسماء.. ويصبح بإمكانه معرفة لغة الطير في السماء والزواحف في الأرض.. أما من قرأ النص الثاني فإنه سيرى وجه الشمس علانية وفي أوقات ذروتها ويستطيع النظر إليها بكل قوة، ويرى

وجه القمر ويرى جميع الكائنات الإلهية كما كانت في الزمن الأول.. وأنا أعلم يا مولاي أنك على شغفٍ بعلوم السحر والغيبيات..

اعتدل الأمير«خا أم واس»في جلسته وهو يشير إلى العجوز:

- فلتدلني يا مرشدي على تعاليم آتون المقدسة.. دلني على السر الخفي في روح آتون الخالدة.. دلني أكثر على تعاليم تحوت السرية دلني على إلهنا العظيم الأوحد آتون..

أجابه العجوز في هدوء وهو يسرح بنظره لأعلى وكأنه يتأمل في لا شيء:

- كي تعرف آتون عليك أن تتمثل به.. فالشبيه فقط يعرف شبيهه بالحق.. اهجر عالم المادة.. وتخيل نفسك متسعًا بلا نهاية، ارتفع عن الزمن إلى الأبدية، وآمن أنه لاشيء يستحيل عليك..

تخيل أنك خالد وعالم بكل العلوم المقدسة التي تنبع من فم الآلهة وأسكن خطرات كل كائن حي.. ضع نفسك فوق كل ما يعلو وتحت كل الأعماق.. وتبين في ذاتك كل المتناقضات من حر وقر.. من صلابة وسيولة.. واعتقد أنك في كل مكان في نفس الوقت.. على الأرض.. وفي البحر.. وفي السماء..

تخيل نفسك جنينًا في الرحم.. وأيضًا شابًا وشيخًا وجثة ميت.. وفي عالم ما وراء القبر وتأكد أن كل شيء يتعايش مع كل شيء في العقل.. كل الأزمنة وكل الأمكنة.. كل الأشياء بكل الأشكال وبكل الأحجام.. عندئذ ستعرف آتون..

والآن اعذرني يا مولاي فأنا رجل عجوز وقد أرهقني الحديث وبلغ بي التعب مبلغه.. فهل يأذن لي مولاي باستكمال الحديث في الغد..

كان الأمير يريد سماع المزيد من العجوز ولكنه أومأ برأسه بالموافقة قائلًا:

- بالطبع يا مرشدي.. فلتنتهي جلسة اليوم ولنجتمع غدًا بعد أداء صلواتنا المقدسة في البلاط الملكي.

انتهت الجلسة عند ذلك الحد، وقام الأمير مغادرًا القاعة وقد وقف الجميع له باحترام، أما العجوز فقد أتى إليه اثنان من الخدم ليساعداه على الذهاب إلى الجناح الملكي المخصص له في قصر الأمير «خا أم واس».

* * *

جلس الجميع أمام دكتور نجيب ألبير الأستاذ السابق بكلية الآثار، والذي كان آدم قد استقبله بترحاب هذه المرة، بعد أن عرض عليه الأمر منذ يومين، مما آثار اندهاشه من رغبة آدم في معرفة تاريخ تحوت، أما جاسر فقد استقبله بود يكاد يكون مبالغًا فيه..

ودون أن يسأله العجوز عن سبب اهتمامهم بهذا الموضوع أخبره ماجد أن الأمر يخص أحد الاكتشافات التي وُجِدَت في إحدى البرديات القديمة، وهو يقوم بعمل بحث عنها، ولذلك كان من دواعي فخره مقابلة عالم آثار مثل د.نجيب ليستعين بعلمه وخبرته في ذلك البحث..

نظر إليه العجوز بتشكك وابتسم بسخرية في أول الأمر.. لكنه أعتدل على كرسيه وعدل من وضع نظارته كأنه سيلقي محاضرة في كليته، مما جعله يشعر في قرارة نفسه بأنه لازال لديه القدرة والقوة على إفراغ ما في عقله من معلومات:

- في البداية بلغني أنكم تهتمون بتحوت، ولديكم الكثير من الاستفسارات عن ماهيته.. لذلك سأحاول إفادتكم ما استطعت..

إن تحوت هو إله الحكمة عند الفراعنة.. أحد أرباب ثامون الأشمونين ويعتبر من أهم الآلهة المصرية القديمة.. ويُصور برأس أبو منجل..

نظر إليه آدم مقاطعًا:

- إله؟!!، ما بك يا دكتور؟ .. لا إله إلا الله.

نظر إليه جاسر حانقًا:

- آدم.. من فضلك لاتقاطع الحديث، فلكتمل يا دكتور ألبير، نحن في غاية الأسف.

- اعتبر قدماء المصريين أن الإله تحوت هو الذي علَّمهم الكتابة والحساب، وله دور أساسي في محكمة الموتى، ويؤتي بالميت بعد البعث لإجراء عملية وزن قلبه أمام ريشة الحق ماعت، ويقوم تحوت بتسجيل نتيجة الميزان.. إذا كان قلب الميت أثقل من ريشة الحق فيكون من المخطئين العاصين، وقتها يلقي بقلبه إلى وحشٍ مفترس تخيلي فيلتهمه، وتكون هذه هي النهاية الأبدية للميت، أما إذا كان القلب أخف من ريشة الحق.. فمعنى ذلك أن الميت كان صالحًا في الدنيا فيدخل الجنة يعيش فيها مع زوجته وأحبابه.. بعد أن يستقبله أوزيرس الإله العظيم..

قاطعه آدم مرة أخرى:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما هذا الهراء يا دكتور.. سأترككم فلدي أعمال عليَّ أن أنهيها.. سأقوم بتحضير القهوة لكم، وسآكل أي شيء لأني

أشعر بالجوع، بدلًا من جلستي تلك التي لا أجني منها سوى بعض السيئات .

ابتسم ماجد قائلًا:

- يا أخي والله إننا لا نأخذ سيئات إلا بعد أن عرفناك، فلتذهب لتأكل ودعنا نفهم الموضوع من بدايته..

ثم التفت إلى دكتور نجيب قائلًا:

- أكمل يا دكتور من فضلك فنحن نستفيد من غزارة علمك .

أكمل الدكتور حديثه من حيث توقف وكأن أحدًا لم يقاطعه:

- ويقال أيضًا في النصوص المصرية القديمة إن تحوت قد كشف للمصريين علوم الفلك، والعمارة، والهندسة، والطب والسحر والإلهيات، وكان معبودًا في العصور القديمة، وقد تخيله القدماء على أنه سجل لحوليات الآلهة والملوك، وإله للسحر واعتبر الكتاب الذي وضع فيه خبرته رمزهم والحامي لهم ومرجعًا للسحر في كل العصور، وقد تحول تحوت إلى هيرمس عنداليونانيين في عصور لاحقة.. وهو رمز لجامعة القاهرة الآن..

قالت منى في إهتمام:

- تمام هذا هو ما نريد سماعه منك تحديدًا يا دكتور ألبير عن كتاب تحوت أو كتاب اللعنات أو بردية تحوت.. ما حكايته بالتحديد ؟

- على مر العصور يا ابنتي كانت هناك سلطات ومقاتلون وحُكَّام متحمسون دائمًا لتدمير الكتب ومؤلفيها في بعض الأحيان، ولكن كان

هناك أيضًا ما يسمى بكتب اللعنات وكانت تستحق الحرق.. السؤال ما الذي كانت تخفيه هذه الكتب وما كانت فحواها؟

- هذا صحيح يا دكتور.

- يعتبر كتاب تحوت واحدًا من أكثر الكتب المصرية القديمة غموضًا، ويعتقد أن تحوت امتلك معرفة كبيرة تمنحه امتلاك السلطة على العالم، وعبادة تحوت في مدينة هرموبوليس كانت مرتبطة بالعالم السفلي ويملؤها الغموض الكامل.. ويصادف أول ذكر لكتاب تحوت في ورق بردي تورينو.. حيث وصف المؤامرة ضدالفرعون لاستخدام السحر، مع العلم أن كل أعضاء المؤامرة تم إعدامهم وتم حرق الكتاب الملعون، والذي كان يدرس السحر وتعاويذه..

- إذن فقد تم حرق الكتاب؟

- بعد مرور بعض الوقت ظهر الكتاب مرة تانية مع ابن رمسيس الثاني "مرنبتاح"، ومن المعتقدات المشهورة في إحدى البرديات أن هذا الكتاب فيه نصًا مثلًا يسمح للنظر على الشمس مباشرة، وأن الكتاب يمنح السيطرة على البحار والأرض والنجوم ويكشف أسرار لغةالحيوانات وأنه يسمح بإحياء الموتى والتأثير على الناس عن بعد.. لذلك اعتبر ابن رمسيس الثاني أن هذا الكتاب هو خطير للغاية فحرقه..

- وهل تم حرقه أم نجا للمرة الثانية؟

- في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد تقريبًا ظهر الكتاب مرة أخرى وقد لقي اهتمامًاكبيرًا وقتها من هيرميس مؤسس علم الكيمياء، ففي ذلك الزمان كان كل ساحر في الإسكندرية يدعي بأنه يمتلك كتاب تحوت أو أحد

البرديات منه، ولكن كانت نهاية هذا التفاخر الموت الحتمي نتيجة للحوادث الفجائية.

- إذن فقد نجا الكتاب بعد كل هذه الأحداث؟

أكمل الدكتور ألبير وكأن أحدًا لم يقاطعه:

- في القرن الخامس عشر ظهرت أسطورة حول جماعة سرية عملت على نشر ملخص كتاب تحوت على شكل بطاقات أخذت اسم بطاقات التارو.

قاطعته منى قائلة:

- بالفعل فأنا أعرف هذه البطاقات جيدًا وأسمع عنها، ولكني لم أربطها أبدًا بالفراعنة أو قصة تحوت هذه..

- بالعكس كانت العلاقة وطيدة يا دكتورة.. أما عن نجاة الكتاب فهناك ما ذكره تحديدًا العالم الفرنسي أنطوان كور في كتاباته، والتي أكد فيها بأن هذه المعرفة المنصوص عليها في الكتاب المصري القديم نجت من حادثة حرق مكتبة الإسكندرية، وفي كتاب تاريخ السحر عام ١٨٧٦ للكاتبة بوليا كرستينا والتي عملت أمينة مكتبة مديرية التعليم العام عند نابليون الثالث قالت إن أسرار علوم الحضارة المصرية الرئيسية وما يحتويه كتاب تحوت موجودة في بطاقات التارو، وهذا ما يؤكد على وجود علاقة وطيدة بين بطاقات التارو وكتاب تحوت.

ردد ماجد باندهاش:

- بطاقات تارو وكتاب لعنات.. !!، الموضوع يبدو أنه كبير لدرجة لم نكن نتخلها منذ بداية القصة.

رمقه جاسر بنظرة أسكتته، والدكتور البير أكمل:

- كل كتب القرن التاسع عشر والقرن العشرين مليئة بقصص السحرة والمشعوذين وأصحاب برديات تحوت، لكن لم يجرؤ أحد على الاعتراف بأنه يمتلك المعارف السرية أو نصوص الكتاب لأن التاريخ أثبت بأن كل من اطلع على تعاليم كتاب تحوت لم يمت ميتة طبيعية.

نظر الجميع بريبة بعد الجملة الأخيرة، وبدأت الأحداث تترابط في ذهن جاسر الذي ابتدر العالمَ قائلًا:

- ألا يوجد أي أثر حاليًا يشير إلى هذا الكتاب؟

- مكتبة الإسكندرية حاليًا تحتفظ ببعض وريقات متناثرة لنسخة البردي الأولى من كتاب تحوت، لكن بعض الباحثين تملؤهم الحيرة عما إذا كانت هذه الوريقات أصلية ترجع للكتاب ذاته، أم أن تلك مجرد اجتهادات قديمة شخصية من بعض الكهنة الفراعنة.. فهذا الكتاب كان سبب بحث بعثات كثير في مصر من بداية من القرن الماضي إلى الآن.. حلم السيطرة على العالم.. حلم القوة والسحر والشعوذة والتحكم في المخلوقات.. وكل محاولتهم ضاعت هباء..

نظر الدكتور في ساعته وقد ظهرت عليه علامات الإجهاد:

- اعذروني لقد أجهدت، وحان موعد دوائي ويجب عليَّ أن أذهب لأرتاح قليلًا .

رد جاسر بامتنان:

- بالطبع يا دكتور فقد أفدتنا أكثر ما تتخيل .

- العفو يا بني.. وعلى العموم..لست متذكرًا تمامًا ما هي القصة الأصلية لهذا الكتاب الملعون، وأستطيع إن مررت عليَّ في أي وقت أن أعطيك مجموعة من الكتب والدوريات المتخصصة في هذه الحقبة ولكن أرجوكم أن توقفوا البحث ولا تفتحوا هذا الموضوع أبدًا وأرجو أن يظل اهتمامكم بالكتاب ذاته على الورق ولا تتعدوه ولا أن تخوضوا فيه.. وأود قول نصيحة صغيرة.. لا تستهين بهذا الموضوع، ودع التابوت في مكانه أيًا كان، وليس لك شأن بالمومياوات والآثار والبرديات.. فكل من قام بالبحث عن ذلك الكتاب الملعون مات بطريقة بشعة، يا بني دع الماضي مدفون.. وصدقني لن يستطيع كائنًا من كان أن يصل إلى مكان الكتاب أو حتى بردية منه.. كل المحاولات باءت بالفشل..

اندهش الجميع من كلام العالم الأثري، مما دعى ماجد إلى القول:

- لماذا قلت ذلك يا دكتور؟

- يابني..أعرف القصة من أول الجثث التي اكتشفتوها في بنى سويف حتى تلك الجثة التي كانت لذلك الشخص والذي كان حلقة الوصل مع البعثة والذي لم تتعرف الدكتورة منى على سبب وفاته.. فلقد أخبرني آدم بكل شيء .

واقترب أكثر من جاسر والتمعت عيناه قائلًا وهو يهمس في أذنه:

- تحوت أصعب من أي شيء قد تراه في كوابيسك يا بني..

أصاب جاسر الفزع من الجملة الأخيرة وحاول أن يمسك العجوز من تلابيبه، ولكنه تمالك نفسه قائلًا باندهاش:

- لماذا قلت لي هذه الجملة بالذات، فلقد سمعتها حرفيًا من أحد ضحايا التابوت، حتى تلك النظرة، هل لك أن تفسر لي لماذا فعلت ذلك؟

- لا أعلم، فقط جملة ما وجدتها في عقلى فجأة، وكأنها فكرة طفت على سطح المياه.. وأنا فعلًا أثق في هذا التحذير.

استأذن العجوز في هدوء وانصرف، وبدون أي اتفاق بينهم صرخ الجميع:

- آااااااااااااااااااادم.

* * *

جلس جيمس في مكتبه الفاخر بالعاصمة الإنجليزية، وكان منهمكًا في ترجمة بعض التعاويذ والكلمات التي وجدت على ظهر التابوت كما أرسلها له مجدي من قبل عن طريق مساعده إيزاك.. حيث قام بتصويرها مخالفًا بذلك تعليمات أنتوني إليه، ولكنها الرغبة في الامتلاك التي وصلت به في الشهور الأخيرة إلى حد الجنون..

وضع الصور على مكتبه ورفع رأسه واضعًا نظارته بجانبه قائلًا:

- إنه ذلك الكاهن المجهول الذي أبحث عنه منذ ثلاث سنوات كاملة.. هذا هو كل ما احتوته المقبرة الملعونة.. ولكن أين الكتاب.. وأين تلك البرديات؟

قطع أفكاره سماعه لطرقات خفيفة على باب مكتبه، وما لبث أن دخل إيزاك بحجمه الضخم وشعره البني، وما إن رآه حتى هتف به:

- إيزاك.. لقد انتظرتك كثيرًا يا رجل، فلتخبرني ما آخر الأخبار في القاهرة.

- كما أخبرتك هاتفيًا يا سيدي يبدو أننا سنصل إلى شيء هام في القريب العاجل.

- لقد بدأت أقلق من ذلك الموضوع.. فلتخبرنى ما لديك، لقد أردت مقابلتي لأمرٍ هام، ما هو هذا الأمر؟ هل وجدوا قاتل مجدي أو وصلت إليك أي معلومات عن ذلك المجنون؟

- لا يا سيدي فلقد ذهبت بنفسي كما أخبرتك لزيارة المجنون، ولكني لم أصل معه لأي شيء.

- أمتأكد أنت أنه لا يدّعي ذلك؟

- لا يا سيدي.. هو فعلًا أصبح مجنونًا تمامًا، فأنا أتابع أخباره دائمًا من داخل العنبر المقيم فيه، عن طريق أحد الممرضين، ومنه علمت أن عقله غير طبيعي بالمرة وتنتابه حالات هياج وشفاؤه غير مأمول فيه ولا أمل لنا في استخلاص أي معلومات منه، ولكني أوصيت الممرض بإعطائه جرعات مكثفة من مادة الأيوناركون، عسى أن يخبرنا بأي معلومات قد تفيدنا.

- إذن هل توصلوا إلى قاتل مجدي.. أو قاتل الشيخ حسن؟

- للأسف لا يا سيدي.

- إذن هل علمت أين تلك البرديات الملعونة أو أي شيء؟

رد إيزاك بتلعثم:

- للأسف لا يا سيدي.

- يا إله السماوات.. !!إذن هل أتيت إلى هنا لمجرد التفوه بأشياء قلتها لي عشرات المرات هاتفيًا.. ما الجديد لديك أيها اليهودي؟

- أمران هامان يا سيدي.. أولهما أن هناك من يبحث عنا.. هناك من يفتح الملفات في الشرطة.. هناك من...

قاطعه جيمس في قلق قائلًا:

- مهلًا.. مهلًا.. أتقصد أن الشرطة من تفعل ذلك؟

- لا يا سيدي.. هناك أشخاص انتحلوا صفة رسمية وذهبوا إلى مقابلة زوجة مجدي وقد أخبرتني بذلك هاتفيًا، وهؤلاء بدأوا في التحري عن المقبرة، بل وذهب أحدهم إلى المستشفى لمقابلة المجنون دون جدوى..

- ومن هؤلاء؟ وكيف توصَّلت إليهم؟

- عن طريق الهاتف يا سيدي.. فقد أعطى أحدهم لها رقمه وعن طريق الرقم علمت من هو وعنوانه.. وعلمت أن له أخًا أيضًا يهتم بهذا الموضوع، وهو من ذهب لمقابلة أحمد في المستشفى..وأسمه مدون في سجلات الزياره هناك..

- من أخبرك بهذه الزيارة؟

- ذلك العامل في المشفى يا سيدي.. فقد زاره وحاول أن يستخلص منه أي حديث دون فائدة، وفي نفس الوقت كان قد أرسل أخاه إلى زوجة مجدي.

أطرق جيمس مفكرًا وهو يقول:

- إن الأمر أشبه بالدائرة التي تتسع شيئا فشيئًا.. هل زاره أحدًا آخر؟

- لا سيدي مجرد خطيبته ولم تقوَ على المكوث معه إلا خمس دقائق وأكاد أعلم ما دار بينهما حرفيًا .

- دع منزل أحمد تحت المراقبة، ولتدعهم يبحثون وليكونوا تحت مراقبتك أنت ورجالك في القاهرة بالكامل.. فربما يتوصلوا إلى ما عجزنا من اكتشافه.. ولتأخذ حذرك ولتتخلص من أي شخص يقترب منك.. ولكن في حذر أفهمت؟ في حذر يا إيزاك .

- وهو كذلك يا سيدي.. كل تلك الأوامر أبلغتها لرجالي في القاهرة وفي القريب العاجل سأخبرك بنفسي..

- وما الأمر الآخر؟

- لقد كنت على صواب يا سيدي.. لقد وقعت زوجته فعلًا في الفخ.. وقامت بالاتصال بأحد مساعديّ ماتسون، والذي عرض عليها المساعدة من قبل..

- لقد توقعت ذلك من تلك المرأة.. أخبرني، هل تعرفك شخصيًا يا إيزاك؟

- لا يا سيدي حتى مقابلتي مع زوجها كانت تتم خارج المنزل..

- إذن فلتذهب لمقابلتها بنفسك، حتى ننتهي من ذلك الموضوع.. ولك مطلق الحرية في كل الوسائل حتى تحصل على البرديات دون أن تدفع حتى بنسًا واحدًا.. يكفي ما سرقه هذا اللص زوجها دون مقابل.. إلا من تابوت ومومياء ليس لهم لدى أي أهمية.. تلك العائلة التي أصابها الطمع لن تنال جنيهًا مني مرة أخرى.. أتفهم يا إيزاك؟كن على حذر.

* * *

بعد ذلك بعدة أيام كان على فريق جاسر أن يختار أحدهم للذهاب إلى طما للبحث عن الشيخ العجوز، وقد وقع اختيارهم على آدم، ذلك لأن أصوله ترجع إلى إحدى القرى المجاورة لطما، فكان عليه أن يبحث لإيجاد الشيخ إلهامي، لمعرفة أحداث القصة من بدايتها، لكن باءت جميع محاولاته بالفشل، على الرغم من محاولة آدم لأكثر من مرة استقطاب أحد معارفه من بلدته الأصلية للبحث عن العجوز، إلا أنه لم يفلح طوال الأربعة أيام التي قضاها متنقلًا بين طما وبين بيته الريفي إلى أن يتوصل لذلك العجوز..

ولكنه لاحظ أن هناك أحداث غريبة تدور من حوله في تلك البلدة، فقبل عودته إلى القاهرة بيوم واحد لاحظ أن هناك عربتين إطفاء متواجدتين بصفة مستمرة بجوار مسجد القرية الموجود على الطريق الزراعي الخارجي، الذي يربط بين طما وبين باقي قرى محافظة بني سويف..

وأثناء عودته إلى القاهرة دار بينه وبين أحد القرويين حديث عادي تخلله بالطبع السؤال عن الشيخ إلهامي، ولكن حديث القروي كان مقتضبًا كأغلب أهل الريف عندما يشعرون أن في الأمر شيئًا ما.. حيث أردف القروى قائلًا:

- يا أستاذ آدم.. لا أعرف مكانه في هذا الوقت.. أقسم لك، لقد سألتني هذا السؤال لأكثر من أربعة مرات حتى الآن.

ردآدم قائلًا في بساطة:

- مازال الطريق طويلًا يا عم سيد، وأنا هنا فقط لأبحث عن الشيخ العجوز ولكني لم أوفق على الرغم من بحثي المضني عنه.

- صدقني إن هناك من يقوم بالمهمة التي جئت من أجلها غير هذا الشيخ، وأنا مستعد أن أذهب بك إلى من هم أفضل من الشيخ إلهامي.

- وما أدراك ما الذي أريده.

- كل من يأتي إلى قريتنا ويبحث عن الشيخ إلهامي، يكون ذلك لسبب وحيد، هو فك الرصد.

- رصد؟!، أي رصد يا عم سيد، لا أدري عما تتحدث.

- الرصد.. الحارس الخاص بالفراعين.. لابد من الشيخ إلهامي أو أي شيخ آخر ليستطيع فك الرصد على حارس المقبرة لكي تستطيع أن تحصل على ما تريد، وإلا فسوف يؤذيك.

- عم سيد.. بالله عليك لا تحدثني عن تلك الأشياء، فأنا لا أريده في أي رصد، ولا أصدق أن هناك من يستطيع أن يؤذيني أو يأتي بأي ظاهرة خارقة عن المألوف.. كل ما أريده هو تسليمه أمانة أرسلها إلى أحد أقربائه في القاهرة، مجرد علبة دواء خاص به، ولكني لم أفلح.

- علبة دواء؟!!، لقد ظننتك أحد المهتمين بالآثار أو التنقيب عنها، فبلدتنا وبعض البلاد المجاورة تطفو على بحر من الآثار، ولكن لكي تصل إلى الكنز عليك بفك الرصد.

- ها أنت تعود مرة أخرى إلى ما لا أفهمه ولا أريد أن أفهمه أو حتى أصدقه، توقف عن ذكر هذه الأشياء يا عم سيد.

- أنت لا تصدقني ولا تصدق أن حارس المقبرة يستطيع الإتيان بأكثر من ذلك.. إذن سأقول لك شيئًا، لعلك لاحظت وجود عربات الإطفاء التي

توجد بصورة مستمرة بجوار الطريق.. ولكنك لا تعلم أنها تقف هناك بسبب تلك الظاهرة غريبة والتي بدأت في الحدوث منذ قرابة الشهرين، فالحرائق تشتعل فجأة في بيوت القرية، وبدون سبب مفهوم، وعلى الرغم من أن المطافئ تقوم بعملها إلا أنها لا تستطيع إخماد النيران، فبمجرد إطفائها لا تلبث أن تشتعل مرة أخرى، ولأكثر من مرة، حتى يئس رجال الإطفاء وطلبوا العون من المحافظة، والتي أصدرت لهم أمرًا بالمكوث والتمركز في هذا المكان .

- وماذا في ذلك؟

- لا تقول إنك لم تفهم.، وهل سمعت أيضًا عن تلك الطيور المجنحة؟

- طيور مجنحة؟!!، أنت تهذي بالطبع يا عم سيد، أو تتعمد إخافتي .

- ولماذا أتعمد ذلك؟!، إذا لم تصدقني فارجع مرة أخرى إلى البلدة واسأل أي طفل عن ذلك، فمن المعلوم أن الحرائق حين تنشب فجأة فهناك العديد من الأرواح الشريرة التي تدور في البلدة، ولا تأتي هذه الأرواح إلا إذا تم سرقة كنز دون إذن حارسه فيأتي غضبانًا على صورة طائر مجنح ينفث النار من فمه.. وذلك بالإضافة إلى الحيوانات التي يمسها الجن وتعيش في المقابر الملعونة، فقد عادت للظهور مرة أخرى ولا يجرؤ أشجع أهل القرية على الاقتراب من تلك البقعة..

- لابد أنك تشاهد الكثير من الأفلام الأجنبية يا عم سيد.. طائر مجنح ينفث النار، ونار تقوم بدون سبب وتنطفئ بدون سبب، وحيوانات ممسوسة تجلس في المقابر.. يبدو أني قد أخطأت بالحديث معك يا عم سيد .

وتركه آدم ليذهب ليجلس في كرسي في نهاية الأتوبيس متظاهرًا بالشجاعة ولكن من داخله كان يفكر بتلك الأساطير القروية.. وعلى الرغم من أنها أساطير بالنسبة له، إلا أنه كان متأكدًا أن في الأمر شيئًا ما..

وشيئًا مخيفًا..

* * *

في مساء ذلك اليوم كان الكل مجتمعًا كعادته في المقهى الخاص بآدم والذى بدا خائبا مما حدث خلال اليوم السابق، وبعد أن قص عليهم ما حدث منذ وطأت قدماه أرض طما حيث لم يوفق أبدًا في العثور على الشيخ العجوز..

هتف ماجد في توتر:

- أعتقد أن الموضوع بدأ يخرج من أيدينا بمجرد الحديث عن الرصد حتى بمجرد الحديث عن ظاهرة الرصد، أعتقد أننا الآن سندخل في متاهة .

ردت منى قائلة:

- صحيح لسنا نملك معلومات كافية عن موضوع الرصد هذا، ولكني أعتقد أنه منتشر في القرى أكثر كظاهرة بدون معنى.

اعتدل جاسر قائلًا:

- الرصد يطلق على حارس الكنز، وهي ليست ظاهرة بدون معنى بل لها جذور تضرب بجذورها في القدم يا منى .

هتف ماجد غاضبًا:

- لا أظنك تنساق إلى تلك الترهات يا جاسر.

أجابه جاسر:

- يا ماجد البحث والتنقيب عن الآثار حلم لا ينتهي ولن ينتهي في صعيد مصر، والباحثون عنه كثيرون وحلمهم بالعثور على ذلك الكنز المدفون أبدي، وعمليات البحث ليس لها مكان محدد بمصر وإن كانت هناك مناطق معينة تشتهر بعمليات البحث المستمر، كمنطقة البَر الغربي حيث تقع المقابر الفرعونية، وخاصة في منطقة جبل القرنة حيث تقع مقابر الأشراف، وهناك أيضًا في البر الشرقي في منطقة الكرنك وبالقرب من معبدالكرنك، وأيضا في العديد من المحافظات، وإن كان ما يهمنا الآن ما حدث في بني سويف بجوار هرم ميدوم.

ليس هذا فحسب فنحن نسمع من آنٍ لآخر عن أناس فقدوا حياتهم بسبب وهم العثور على الكنز، فهناك مواطن من أهالي الكرنك انهارَ عليه جدار منزله أثناء قيامه بأعمال الحفر والتنقيب العام الماضي، وقبلها فقد عشرة أشخاص في محافظة قنا حياتهم أثناء قيامهم بحفر بئر للتنقيب عن الآثار بقرية المناصرة، والعديد من الأرواح التي فقدت ما بين محاولات ما سُمي بفكرة فك الرصد الفرعوني.

تدخل آدم في الحديث قائلًا:

- نعم فلا زلت أذكر العديد من أهل قريتي، واختفاءهم الغامض أثناء البحث عن الكنوز الفرعونية..

أكمل جاسر:

وعمليات التنقيب التي لا يتم معظمها إلا عن طريق عمليات الرصد، قد تتم أحيانًا عن طريق تقديم القرابين والدماء البشرية للرصد، الذي يسعى القائمون به للوصول إلى الكنوز الفرعونية.

اعتدلت منى قائلة:

- أذكر منذ عدة سنوات حادثة اختطاف طفل لتقديمه كقربانٍ للكشف عن كنز فرعوني بقرية العشي شمال الأقصر، ونجاته من موت محقق، بعد إنزاله بالحبال داخل بئر لتقديمه قربانًا لما يسمى بالرصد، والذي يعتقد المشعوذون في قيامه بحراسة أحد الكنوزالأثرية.

أومأ جاسر برأسه موافقًا:

- صحيح جدًا يا منى، وهؤلاء مثل الشيخ إلهامي، حيث ينشط المشعوذون في القرى والنجوع المتاخمة للمناطق الأثرية بحثًا عن الآثار، والذين يطلبون أحيانًا قرابين آدمية، ويبثون في تلك الأوساط أن جنيًا يرفض اقتراب أحد من كنزه الذي يحرسه، ربمامنذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وهو أقصى عمر للرصد كما يشاع في الحكايات الشعبية.

التفت إليه آدم قائلًا:

- لقد سمعت العديد من الأقاويل عن حُرَّاس الكنز وهم الخُدَّام الذين يسخرهم الشيخ، ولكل نوع من الخُدَّام طريقته في العمل ولكل منهم طريقة يسخَّر بها للعمل من قِبَل الشيخ، وأن الخادم الذي يكون على نجاسة يكون أكثر خطورة على من يعملون في الحفر والتنقيب.

ابتسم جاسر مداعبًا آدم:

- يا آدم لقد أصبحت أمهر منا في الحديث عن معتقدات قريتك، ولكن بالإضافة إلى ذلك فالخادم وكما يشاع في الأساطير قد يطلب أشياء محرَّمة وصعبة من شيخه مقابل أن يرشد عن مكان الكنز، وذلك على عكس الخادم الذي يكون على طهارة، فمنذ سنوات ذُبح طفل غرب الأقصر وخطف آخر شرق المدينة لذبحه وتقديم دمه قربانًا لفك رصد فرعوني يحرس كنزًا نتيجة الاستعانة بشيخ يستعين بخادم من العالم السفلي.

وهناك مدارس وشيوخ يرفضون ذلك ويعتبرونه جريمة لا تغتفر، ودور الخادم هو فك ما يسمى بالرصد وصرف أي حراس على الكنز، فبعض الكنوز يسخر لها الجان خدامًا لحراستها.

هزَّ ماجد رأسه غاضبًا:

- لازلت غير مقتنع يا جاسر.. فكل تلك الأساطير قد نسجتها الدول المستعمرة لمجرد إشاعة الذعر بين الغرب من حضارتنا المصرية وربطها بشكل من أشكال اللعنة.

وافقه جاسر بإيماءة من رأسه قائلًا:

- أتفق معك، ولكن ليس كل ما يقال هراء، كما ليست كل أسطورة حقيقة، ولكننا نسعى لمعرفة الحقيقة فقط.

* * *

من خلال الزمن تنتظم الحياة وتستمر..

ويعيد الزمن كل شيء في الكون بدورة التحولات التي يضبطها ملائكة السماء، فيعودون أبدًا إلى مواضعهم في دورانهم السرمدي..

ينبثق الحاضر من الماضي، وينبثق المستقبل من الحاضر..

ويتوحد جميع الأشياء بهذه الديمومة..

والزمن كالدائرة..

تتصل نقاطها حتى إنك لاتستطيع تحديد أولها من آخرها، حيث تتبع كل نقطة ما يسبقها وتتبعها ما تلحقها إلى الأبد ليكون..

وحتى الحاضر لايستمر، إن هناك فهمًا أعمق، حيث ينسلخ الماضي ولا يكون أبدًا، والمستقبل لم يُولَد بعد إلا لحظة واحدة؟

فكيف يمكن القول بوجوده إذا لم يكن ثابتًا؟

تحوت..

كان الأمير «خا أم واس» يسير في حديقة قصره صباح اليوم التالي وبجواره الوزير حور، وكانا لا يزالان يتحدثان عن العجوز "كاجمني" الذي أتى من غياهب الظلام بعد بحث لأكثر من خمس سنوات عن أي شخص لديه أي معلومات عن سر الكتاب المفقود لتحوت..

- يا «حور» إن ما أبحث عنه ليس لـ «خا أم واس» فقط بل لنا جميعًا أريد أن أتحكم في السر الأعظم في الحياة ذاتها.. في الخير والشر.. في البشر.. أنت ترى أننا على شفا حروب في كل مكان، فوالدي قام بحملات كثيرة على أرض الشام حتى أعاد لنا أرض كنعان وكذلك حملاتنا منذ عدة سنوات في الجنوب، أما أخي الأصغر "مرنبتاح" فلا يزال يتصدى لتلك الهجمات البربرية التي تأتي من قبائل الليبو، وأعتقد أننا سنخوض حربًا هناك في القريب العاجل لولا مشاغل والدي، وأنا لست رجلَ حرب يا«حور».. فأنا أكره إراقة الدماء كما ترى ولا أحب أن يتصارع شخصان على أرض أو بئر ماء أو أي شيء.. إن إزهاق الروح هو من أكبر المحرمات يا وزيري العزيز.

- يا مولاي الكل يعلم عنك إيمانك الشديد واهتمامك بإقامة كافة الشعائر والاحتفال بالأعياد، وكذلك شغفك الدائم بمختلف العلوم وخاصة السحر وكذلك اهتمامك بآثار أجدادك العظام وبترميم ما تهدَّم منها واهتمامك بالمعابد المقدسة.. ونعلم أنك لا تميل إلى الحروب بصفة عامة..

- آه يا «حور» لو تمكنت من هذا الكتاب لقضيت على الشر، ولملأت الكون خيرًا وحبًا.. ولأقمت حضارة يشهد لها العالم.. حضارة أساسها العلم ومدادها الحب والسلام.

- ولكني أخاف عليك يا مولاي من الدخول في تجربة غير مأمونة العواقب .

- لن نخسر شيئًا يا حور.. من يدري فقد يدلنا العجوز على المكان الموجود به الكتاب منذ قرونٍ عديدة .

تنهد الوزير قائلًا:

- فلنأمل ذلك يا مولاي .

- نعم يا حور.. فلنأمل ذلك.. والآن هيَّا بنا فقد اقترب الموعد والجميع في انتظارنا الآن..

* * *

تململ الأمير الصغير «أوزير»وهو يجيب صديقه «خاي» قائلًا:

- يا «خاي» ألا تشبع من إلقاء الأسئلة ؟لقد سألتني أكثر من مائة سؤال وكأنك لا تعلم كيف تأكل أو تشرب أو تسير أو حتى مكان بيتك..

- يا «أوزير»قلت لك إني لا أتذكر أي شيء، بالرغم من أن الكاهن «نفرو»أخبرني أني سأسترد عافيتي في غضون عدة أيام .

ضحك الأمير الصغير مداعبًا صديقه:

- فلنأمل ذلك لأني قد بدأت في الضجر منك.. والآن بماذا سنلهو يا صديقي العزيز؟

بدا الاهتمام على وجه «خاي» الذي تجاهل سؤال صديقه وكأنه لم يسمعه وهو يسأله:

- قل لي ألم يحن ميعاد اجتماع العجوز مع والدك الأمير بَعد؟

- نعم.. نعم.. لقد نسيت فلابد أن أحضر الاجتماع أنا الآخر..

- وأنا أيضًا أريد حضوره.. ولكنه ذلك العجوز الذي منعني من الحضور بادعاءاته تلك؟

- أتريد فعلًا الحضور لتسمع سر الكتاب المفقود يا «خاي»؟

- بالطبع أريد، ولكن كيف لي أن أحضر؟

صاح الأمير الصغير «أوزير»في حماس:

- إذن فلتأت معي.. فأنا أعرف سرداب من غرفتي له فتحة في آخر الممر تطل مباشرة على البهو الملكي، ومن هناك تستطيع أن ترى وتسمع العجوز وما يدور داخل البهو دون أن يراك أحد، سنذهب معًا لذلك السرداب، لكن إياك أن يصدر منك أي صوت وإلا كانت عاقبتنا وخيمة..

- بالطبع.. لماذا ننتظر إذن ؟هيَّا بنا..

* * *

- إذن يا مرشدي هو في مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» منذ عدة قرون؟

- نعم يا مولاي فالكتاب محفوظ في مكانه المقدس داخل المقبرة بعد ما حدث له على يد الأمير..

نظر «حور»إلى «خا أم واس»قائلًا للعجوز:

- وأين تقع مقبرة الأمير أيها العجوز «كاجمني»؟

- إنها هناك أيها الوزير الأول عند تلك التلة التي تقع بأطراف مدينة منعت.. بجوار أجدادنا العظام..

أشار الأمير للعجوز متسائلًا:

- أتعرف المكان تحديدًا أيها العجوز «كاجمني»؟

أجاب العجوز بتردد:

- الأمر ليس بالصعوبة يا مولاي ولكن..

- ليس هناك لكن.. إن ما تقوم به ليس خيانة لأجدادك بقدر ما هو نصرة للمظلوم ونشر للخير وسعي في القضاء على الشر.. ولقد أقسمت لك يا «كاجمني»إني سأتحرك صوب الخير دائمًا ولتحل عليَّ لعنات الآلهة المقدسة، ولعنات تحوت العظيم إذا نكست بعهدي لك..

تنهد العجوز بارتياح قائلًا:

- نعم يا مولاي هذا ما أريد سماعه منك حتى لا تحل بي اللعنات بعدما سأكشف لك عن ذلك السر، الآن اطمأن قلبي أن الكتاب سيذهب لأيد أمينة تسعى لتحقيق الخير والسلام .

- والآن ما هي قصة الأمير «نفر كا بتاح»يا مرشدي؟

اعتدل العجوز «كاجمني» في جلسته وشرد ببصره بعيدًا وهو يقول:

- هو الأمير ولي العهد لأحد ملوكنا العظام منذ قرون يا مولاي أعجز عن تذكرها أو حتى تذكر اسمه بالكامل فلقد بلغ بي الكبر مبلغه ولم تعد الذاكرة كما كانت، ولكن أجدادي وآبائي قد توارثوا قصة ذلك الأمير المولع بالسحر..

فقد كان يريد الكتاب بشتى الطرق وترك ملكه وقصره لهيم في البلاد باحثًا بنفسه عن السر المفقود.. سر البرديات المقدسة لحكيمنا تحوت.. سر كلمات الآلهة.. وطال بحثه حتى أصبح لا يقوى على التجوال في البلاد..

وفي يوم من الأيام وبعد عودته لقصره أتاه حكيم.. مثلما أتيتك يا مولاي.. كانت ليلة ممطرة ولم يرد اسم الحكيم في أي بردية من البرديات يا مولاي، ولا نعلم أكان طيفًا أم حقيقة ؟هل بالفعل كان كاهنًا ؟ وإذا كان كذلك فمن أي طائفة هو؟ لا أحد يعلم عنه شيئًا .

- ما تقصد بطائفة يا مرشدي؟

- يا مولاي إن الكاهن في ذلك الوقت كان يطلق على رجال الدين ورجال آخرين، لذا كان لزامًا علينا أن نفرق بين كاهن المعبد وكاهن المعبد الجنائزي وكاهن المقابر وغيرهم.. فكل كاهن يختص بشيء على حدة..

- أحاول أن أفهمك يا مرشدي.. أكمل فكلنا آذان صاغية..

- من بين هؤلاء الكهنة يا مولاي من كان مختصًا بعالم الغيبيات، وهو ما كان يعتبر همزة الوصل بين عالمنا وعالم الجان، وليس كل متصل بعالم الجن في الكهنة كان قديرًا في معاملته معهم.. فكان منهم الضعيف الذي كان يسيطر عليه ذلك المخلوق ومنهم القوى والحاكم على تلك العشائر.. وتلك الطائفة من الكهنة هم من أقوى كهنة مصر..

اعتدل الكاهن «نفرو»قائلًا بوقار:

- كلنا ندرك هذا الحديث أيها العجوز ونعلم أنه لا ينتمي لتلك الطائفة سوى من بلغ من الإيمان والزهد درجة عالية، ولذلك كان اتصال الكهنة بالجن لحماية آثارهم وعلومهم..

استدرك الأمير قائلًا بلهفة وبنفاذ صبر:

- أكمل يا مرشدي.. ماذا حدث بعد أن وصل هذا الكاهن المجهول إلى الأمير «نفر كا بتاح» معلنًا بالتأكيد أنه يعلم سر الكتاب المختفي؟

نظر الكاهن «نفرو»بشك للعجوز قائلًا:

- تمامًا كما أتيت لنا يا «كاجمني».. نفس الملابسات.. وإن كنت أخشى أن تكون أنت نفس الكاهن..

ضحك العجوز قائلًا:

- اطمئن أيها الكاهن الأعظم.. ..لستُ جنيًا أو متصلًا بالجن بأي صورة..

نظر إليهم الأمير بضيق قائلًا:

- فلندخل في الحديث يا مرشدي ولتكمل، ولا تقاطعه كاهننا الأعظم حتى لا نرهقه بالحديث .

استأنف العجوز روايته قائلًا:

- لقد أتى الكاهن المجهول وأخبر الأمير «نفر كا بتاح» بالمكان المحدد المدفون به كتاب تحوت المقدس، وكان الكتاب يقع في جزيرة في أعالي مصر..

تمتم الأمير بتعجب:

- أعالي مصر؟

- لقد كانت الجزيرة في النيل بالقرب من الجنوب وقام بتحديد الوصف بدقة، وكان على الكاهن أن يذهب معهم في تلك الرحلة النيلية لإرشاد الأمير إلى تلك الجزيرة، حيث تتشابه الجزر في ذلك المكان.. وكان عليه أن يقوم بأداء صلوات وطقوس خاصة ليسهل له الحصول على الكتاب..

- وماذا بعد يا مرشدي.. هل قام الأمير «نفر كا بتاح»بالرحلة؟

- في موعدها المحدد يا مولاي، وعند اكتمال البدر تمامًا كما أخبره الكاهن المجهول.. وعلى الرغم من حدوث بعض المشاكل في القصر الملكي في هذه الأثناء ورغبة والده الملك في عودته للقصر لكي يساعده في إدارة شئون البلاد .

قال الوزير «حور»في دهشة:

- وكيف أصرَّ الأمير على القيام بالرحلة رغم علمه بتلك المشاكل؟

استدرك العجوز قائلًا:

- على الرغم من أن الأمير كانت دوافعه غير دوافع مولاي الأمير «خا أم واس»، ورغم أن الكاهن المجهول قام بتحذيره بخطورة فعلته، كما حذره أنه إذا استعمل البرديات في الشر، فإن لعنات الآلهة ستصيبه ولكنه لم يلتفت إلى كل تلك التحذيرات.. وبدأ الرحلة في الوقت المحدد واستمر في الإبحار نحو أعالي النيل حتى وصل بعد عدة أيام إلى المكان المقصود والذي حدده له الكاهن بإشارات معينة ثابتة دله عليها..

- وهل وجد الكتاب في المكان الذي حدده له الكاهن ؟

- عندما وصل الأمير أخيرًا بحاشيته إلى تلك الجزيرة وضرب له معسكر في الأنحاء، وبدأت رحلة البحث داخل الكهف الموجود الذي وصفه له الكاهن..

قاطعه الأمير «خا أم واس»في دهشة:

- كهف؟!!

- نعم يا مولاي الأمير.. لقد كان الكتاب مدفونًا في الكهف الوحيد الموجود في تلك الجزيرة حسب وصف الكاهن الذي حذرهم من أن يكون هناك

حراس للكتاب من الجن، مما جعل الكهنة المرافقين للأمير يرتعدون من دخولهم الكهف.. على الرغم من أنهم ظلوا يومًا كاملًا يتلون صلواتهم ويقيمون الطقوس والشعائر المقدسة لزوال أي لعنة قد تصيبهم.. حتى الكاهن المجهول شاركهم تلك الصلوات مع قيامه بصلوات وطقوس خاصة..

قاطع العجوز دخول أحد الحراس إلى بهو البلاط مسرعًا، وما إن اقترب من العرش حتى خرَّ ساجدًا وهو يهتف:

- مولاي الأمير «خا أم واس».. إن ركب مولاي الأمير«مرنبتاح» ابن سليل الآلهة رمسيس الثاني على مشارف القصر .

نهض الأمير «خا أم واس»هاتفًا:

- ماذا؟ أخي؟مرحى.. مرحى.. فلننه هذه الجلسة يا مرشدي لوصول ركب أخي في زيارة مفاجئة لنا.. وسنستكمل حديثنا في أقرب فرصة .
- كما ترى يا مولاي الأمير كما ترى..

وسادت حركة كثيرة في القاعة ما بين خروج «كاجمني» مع مساعده وخروج الكهنة إلى معبدهم.. أما الأمير «خا أم واس»فقد ذهب مع كبير الكهنة ووزيره الأول، «حور»ليكونوا في استقبال الأمير«مرنبتاح»..

* * *

هتف الأمير «مرنبتاح» بأخيه الأمير «خا أم واس»في مساء ذلك اليوم:

- يبدو أن عاداتك لم تتغير يا مولاي الأمير، ها أنت تصر مرة أخرى على

البحث عن تلك الكتب الغامضة والتي ستساعدك فيما تصبو إليه من تعلُّم كل ما هو غامض

- الأمر ليس كذلك يا أخي الصغير، ولكن لك أن تتخيل عندما تتحكم في قوة السماء، وبين يديك الخير والشر وتستطيع أن تقضي على كل الشرور والآثام الموجودة في العالم.. ألن تستطيع وقتها أن تنشر السلام في ربوع مصر؟
- يا مولاي الأمير إن السلام هو حلم البشرية عبر مختلف العصور، وقد علمتني الحياة أن السلام لن ينتشر إلا بقوة الإيمان ولن يحافظ عليه سوى السلاح، بينما القوة الخارقة التي تبحث عنها، حتى وإن وجدتها، فسوف تأخذ منك مقابل ما ستعطيك .
- لا أفهمك يا «مرنبتاح»..
- كما فهمت يا مولاي من عرضك لحديثك مع ذلك الكاهن «كاجمني» أن تلك البرديات لها قوة خارقة،كما أن التحذيرات التي يسوقها إليك في كل مرة تجعلني أقسم إن تلك البرديات لعنتها أكثر من فائدتها، وأنا لا أؤيد فكرة البحث عن كتاب تحوت المقدس.. دعنا نتجنب غضب الآلهة على من يقلق حراس الكتاب المقدس..
- يا أخي العزيز أؤكد لك أنك سوف ترى مدى الخير الذي سوف ألحقه بأهل مصر عند حصولي على هذا الكتاب.. سوف يعم الخير والرخاء في شتى أرجاء البلاد سوف أجتث الشر من جذوره.. والآن دعنا من ذلك الحديث الآن وخبرني كيف حال والدنا العزيز؟
- في أحسن حال، لقد تركته منذ فترة وأنا في طريقي لقتال بعض قبائل الليبو المتاخمة لحدودنا حتى نوقف زحف تلك القبائل على حدودنا، إنهم نفس القبائل في كل مرة.. فقد قام رئيس الليبو الخاسئ مارابي بن

دد بالانقضاض على إقليم تحنو برمته بعد أن كوَّن تحالفًا مع شعوب البحر وبعض قبائل المنطقة مثل القهق والمشواش.. وقد خرجت بالجيش لتأديب تلك القبائل المارقة إلى غير رجعة..

- ها أنت أخي العزيز تتكلم بلسان أبينا.. الحرب تسير في دمائكم المقدسة حتى وزيرك الأول بانحسي المعين من قِبَل والدنا المعظم يميل إلى الحرب بصفة دائمة..

- هي الحرب يا أخي فقط من ستثبت دعائم الحكم في كافة أنحاء البلاد.. فلتسر أنت في طريقك من إبداعك في ترميم آثار أجدادنا والبحث عن كل ما يخص الغيبيات حتى تصل إلى كتابك الغامض، وسأكون مساعدك الأول في تدعيم مملكتنا في حكم والدي الفرعون العظيم، وفي حكم جلالتك سأكون يدك التي ستبطش بها ضد كل من تسول له نفسه الاعتداءعلى أرض مصر الطاهرة..

- بالطبع يا «مرنبتاح»، هذا ظني بك دائمًا، والآن عليك أن ترتاح لتسمع معي بعد غد تفاصيل رحلة الأمير إلى الكهف الذي يحوي برديات كتاب تحوت المقدس.

- فعلًا يا مولاي الأمير أنا متعب جدًا من الرحلة.. فلنذهب الآن.

* * *

أفاق جاسر على هاتف يدق بإلحاح وقد تملكته الدهشة عندما وجد اسم المتصل، ولكنه فتح الهاتف سريعًا ليسمع صوت إسلام طبيب المصحة النفسية، ولكن جاسر بادره في لهفة:

- خيرًا يا إسلام؟ماذا لديك خبرني؟

- ألن ترد عليَّ السلام أولًا، اطمئن واهدأ يا عزيزي.

- آسف يا إسلام، صباح الخير يا صديقي، كيف حالك؟اعذرني فأنا مندهش فقط من اتصالك..

- لا عليك، ولكنك أكدت عليَّ أن أخبرك بمجرد حدوث طارىء ما.

- ماذا حدث؟ لا تقل لي إن أحمد توفى ؟

- لا.. لا.. ولكن هناك فتاة تقول إنها خطيبته وكانت ترغب بالأمس في زيارته وتلح على ذلك بصورة شديدة، ولكن لم يكن لديها تصريح فلم نسمح لها بالزيارة، وعادت اليوم ومعها التصريح ومذكور به أنها خطيبته، وبالفعل أدخلناها لزيارته.. وهي الآن عنده وقد تركت معهم الحارس خوفًا من معاودة حالة الهياج التي تنتابه.. ولازالت هناك منذ قرابة العشرين دقيقة .وقد زارته الأسبوع الماضي أيضًا لأول مرة ولكنها لم تمكث طويلاً معه..لم أكن في العمل يومها لذلك لم أعلم إلا أمس بذلك الموضوع وإلا كنت قد أخبرتك.

- ولكني لن أستطيع اللحاق بها الآن أو حتى مقابلتها..

- أعلم ذلك، ومن أجلك قمت بتصوير بطاقتها، ربما تستطيع مقابلتها في وقت لاحق، أو ربما قد تقودك لشيء ما .

- هل تستطيع أن ترسل لي صورة منها على بريدي الإلكتروني؟

- بالطبع..

- أحسنت يا إسلام، لا أدري كيف أشكرك يا صديقي.

- لا داعي للشكر يا جاسر فأنا لم أفعل شيئًا، أتمنى فقط أن يفيدك ذلك، كنت أود أن أطرح عليها أسئلة بخصوص أحمد، وظروف مرضه وهل كان هناك أي تاريخ مرضي لعائلته أم لا، ولكنها كانت تبكي قبل اللقاء، وهو أيضًا بدأ في البكاء بعد أن رآها، لقد حضرت المقابلة في بداية الأمر ولكني آثرت الانسحاب.. عمومًا سأخبرك إذا توصلت لأي شيء، وسأرسل لك الصورة الضوئية الآن .

- عظيم جدًا.. ولكن هل لي بخدمة أخيرة، هل تستطيع أن تبلغها أن هناك من سيأتي من المستشفى لزيارتها وكتابة تقرير عن حالة أحمد..

- سأحاول يا جاسر.. لكن بالله عليك لا أريد أن أتورط بالأمر، أنا أفعل كل ذلك لثقتي الكاملة فيك..

- لا تقلق يا صديقي، أنا مقدر ذلك..

لم تمر عدة دقائق على هذا الحوار حتى استقبل جاسر بريدًا إلكترونيًا من إسلام، وكان عبارة عن صورة ضوئية من بطاقة خطيبة أحمد، وتحت الصورة كتب رقم جوالها.. كانت فتاة متوسطة الجمال كما يبدو من صورتها بالبطاقة، وقد أصابه وجوم فجأة عندما علم أن محل إقامتها في طما بلدةأحمد، وعليه أن يقطع المشوار إلى البلدة ليقابلها، حتى يحاول أن يستفسر عن أشياء كثيرة جدًا.. خطر له أن يتصل بها، ولكنه فكر في أنه من الأفضل أن تتحدث إليها منى لتحدد معها ميعاد لمقابلتها بصفتها طبيبة من المستشفى وأنهم مهتمين بحالة أحمد..

* * *

كانت الأمور عند جاسر وفريقه تتطور بسرعة وتزداد صعوبة. فقد كانوا لا يزالون متحيرين في تفسير الموضوع من بدايته، وكيف حدث كل ذلك بمجرد استخراج التابوت، كل هذه الأحداث وكل هؤلاء الضحايا..

كان جاسر بالفعل متحيرًا، فقد بدأ الأمر بخمسة أشخاص عثر عليهم مقتولين في بني سويف بالقرب من هرم ميدوم، حيث تم اكتشاف المقبرة، ثم تلاهم الشيخ حسن كرم الله وشخص آخر.. ثم مجدي مساعد الخواجة ذاته.. وتنتهي الحلقة بأحمد والذي أصابته لوثة ما فجأة ودون سبب.. ومن يدري؟فقد تمتد الحلقة لتشمل آخرين .

كان يعتقد أن هناك شيئًا مجهولًا وراء تلك الأحداث، شيء ما ربما يكون من العالم السفلي أو أي شيء غامض، هذا ما يعتقده بكل جوارحه، أما شقيقه فكان دائمًا ما يرفض كل تفسير لايستند إلى سبب علمي واضح .

كان يشعر أنه كلما اقترب من حل اللغز، كلما شعر أن الدائرة تتسع أكثر، ولكن إحساسه يخبره أن الخيوط كلها تتلاقى عند أحمد، وكم تمنى أن يجلس معه ولو دقائق يكون فيها بكامل وعيه..

كان عليه أن يذهب إلى خطيبته، بعد أن نجحت منى أخيرًا في الحصول على ميعاد لمقابلة هند خطيبة أحمد، وأقنعتها أنها طبيبة في المستشفى، ومهتمة بحالة أحمد، وعليها أن تدرس تاريخ أحمد المرضي مع أحد أقاربه.. وقد حددت يوم الجمعة القادم ميعادًا لمقابلتها في بلدتها طما، بعد أن استأذنتها في قدوم طبيب زميل معها..

كم يتمنى أن يجد إجابة لتساؤلاته عند خطيبة أحمد، ولكن سيكون عليه الانتظار حتى ذلك الوقت حتى يعرف تلك الإجابات .

* * *

أخذ فتح الله الممرض في المصحة النفسية يتلفت يمينًا ويسارًا وهو يناول ورقة مطوية إلى فايزة زوجة مجدي. والتي أخذتها منه ووضعتها في حقيبة يدها حيث تناولت منها ورقة بمائة جنيه لتضعها في يده قائلة:

- أأنت متأكد أنك لا تعلم هذا الشخص يا عم فتح الله؟

- لا والله يا أستاذة رقية، كل ما أعلمه هو ما أخبرتك به، فهذا الشخص أتى إلى ابن عمك وزاره في المستشفى مرة واحدة، ومن وقتها بدأ الاهتمام بأحمد، واتضح أن هذا الشخص يعرف أحد الأطباء المناوبين والمسئولين عن حالة أحمد الصحية وللأسف حالته تتدهور من سيء إلى أسوأ.

- أعلم ذلك.. فأنا لم أطِق المكوث معه إلا خمس دقائق فقط، وأنت كنت بجواري.

- ولكنه لا يتذكرك من الأصل يا أستاذة رقية، على الرغم من أنك ابنة عمه كما تقولين..

ظهر الارتباك على وجه فايزة التي قالت بتلعثم:

- أنت تعلم حالته العقلية يا عم فتح الله، وتعلم أنه لم يعد متذكرًا أحدًامن أصدقائه أو من أهله.. المهم.. هل هناك أي زوار لأحمد غير هذا الشخص؟

- لا أعتقد، فكما أخبرتك لست الممرض الخاص بهذا العنبر، وإنما هناك ممرض آخر طلب نقله إلى هذا القسم من حوالي عدة أسابيع، وتم وضعه لمراقبة أحمد بصفة مستمرة.

- تستطيع أن تعلم من زاره عن طريق التصاريح.

- لا يا أستاذة رقية موضوع التصاريح كان بعد دخوله مباشرة للمصحة واستمر لفترة بعدها.. عندما كانت الزيارة شِبه ممنوعة، ووقتها حضر السيد الذي أعطيتك اسمه وعنوانه.. بعد أن أخذ تصريح للزيارة، لأن أحمد كان شاهدًا في جريمة قتل ما كما تعلمين، وعندما يئست الشرطة من الحصول منه على أي أقوال مفهومة تركه.. والدليل على ذلك هو أن أحدًا لم يطلب منك أي بيانات عنك لقد تم رفع تصريح الزيارة اعتبارًا من أول الشهر الحالي.

- إذن لن نستطيع معرفة من الذي زاره؟

- لماذا تصرين على ذلك؟

ارتبكت فايزة أكثر حينما لاحظ الممرض كثرة أسئلتها وإلحاحها لمعرفة هوية زوار أحمد فأردفت قائلة:

- لا تشغل بالك يا عم فتح الله.. فكما تعرف هو قريبي وأريد أن أعلم من يتولى الإنفاق عليه هنا في حال احتياجكم لأي مبالغ.

- لا يا سيدتي، هو داخل القسم المجاني، والدولة تتكفل بالكامل بعلاجه، ولم يترك له أحد أي أموال، فيما عدا خطيبته التي زارته وتركت مبلغًا من المال في صندوق الأمانات، ومن وقتها لم تحضر.

هتفت فايزة باستنكار:

- خطيبته؟ لماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟

- لأنها لم تأتِ إلا مرة واحدة، منذ عده أيام.. كما أنك طلبت مني أن أخبرك عن من قاموا بزيارته من أصدقائه.

- فلتأت لي بعنوانها هي الأخرى يا عم فتح الله .

- ولكن ذلك يتطلب العودة مرة أخرى إلى السجلات والبحث وإخبار المسئول، ثم كيف لا تعرفين عنوانها وأنت ابنة عمه .

فتحت فايزة حقيبتها لتناوله مائة جنيه أخرى قائلة في توتر:

- أنت كثير الأسئلة يا عم فتح الله .

مد الرجل يده ليتناول النقود بلهفة ويضعها في جيبه وهو يتلفت قائلًا:

- أنا تحت أمرك دائمًا يا أستاذة.. انتظريني خمس دقائق سآتي لك بالعنوان حالًا .

وتركها وانصرف ليعدو إلى داخل الممر ليحضر لها ما طلبته، أما هي فقد جلست على أقرب مقعد خشبي إليها لتفتح حقيبتها مرة أخرى وتتناول الورقة المطوية وتقرأ ما دوِّن بها:"جاسر عبد الرحمن.. مصر الجديدة.. من أنت أيضًا يا جاسر؟ وعلام تبحث عند أحمد؟"

* * *

"والله لا أعلم أي شيء عن موضوع التابوت.."

قالتها هند للمرة الثانية أثناء حديثها مع جاسر ومنى، اللذين التزما بالميعاد تمامًا، وكانت هند تنتظرهما على أول الطريق كما تم الاتفاق لأنها لا تريد أي مشاكل، وخاصة أن البلد صغيرة والأخبار تتنقل فيها بسرعة.. على الرغم من أنهما قد لفتا نظر بعض القرويين في طريقهما معها لمنزلها، ولكن كانت هند تتحاشى نظراتهم..

وكانت بالطبع قلقة إلا أنها قد اطمأنت قليلًا بعدما أظهرت لها منى كارنيه نقابة الأطباء، وبدأت في التحدث معهما، ولكن كان ذلك بحضور عمها، والذي جلس يراقبهم في الصالة المقابلة، ولكنه التزم الصمت في أثناء الحوار.. مكتفيًا بالنظر إليهم من بعيد دون أن يسمع حديثهم..

حاولت منى طمأنة هند قائلة:

- لا تخافي يا هند، فأي معلومات قد تساعدينا بها هي في صالح أحمد.. فحالته متأخرة جدًا، وإذا لم نعلم ملابسات الظروف الأخيرة التي مر بها ستزداد حالته سوءًا .

- ولكني لا أعلم الكثير عن الموضوع برمته، وقد سألني ضباط المباحث أثناء التحقيق معي عن هذا الموضوع وأخبرتهم أني لا أعرف شيئًا.. فلا أعرف إن كان ما لدي قد يفيد أحمد أم يضره .

استوقفها جاسر بإشارة من يده قائلًا:

- مهلًا.. مهلًا.. أتقولين أن أحدهم قد قام بالتحقيق معك؟ متى حدث ذلك؟ وماذا أرادوا منك؟

أجابته هند في توتر:

- نعم.. كان ذلك في أعقاب مقتل خال أحمد،عم حسن كرم الله..

نظر جاسر ومنى إلى بعضهما البعض عندما تم ذِكر اسم الشيخ الذي قام باستخراج التابوت.. مما جعل جاسر يردف قائلًا:

- وماذا تعلمين عن الشيخ حسن؟

- كل ما أعلمه أنه خال أحمد، وكان يعمل في استخراج الآثار المدفونة عن طريق السحر والشعوذة.. وأحمد كان على علاقة بصديق له يعمل في التنقيب عن الآثار مع بعثة أجنبية، وتم العثور على التابوت، ولكن التقاليد في البلدة كانت تقتضي أخذ الإذن قبل استخراج التابوت وما معه من كنوز، وبالتالي كان من المستحيل أن يأتي صديق أحمد والبعثة الأجنبية المرافقة له إلى هنا دون أخذ السماح.. وعن طريق أحمد فقد رشح للعمل في هذه المهمة خاله وكان هناك الكثير من الأقاويل في البلد عن عم حسن.. لأنه كان يستعين بالشعوذة والطقوس الغريبة لدرجة أن الكل كان يتحاشى الكلام معه إلا أحمد.

سألها جاسر قائلًا:

- بمناسبة ذِكر الشيخ حسن، ماذا تعلمين عن الشيخ إلهامي، لأن أحمد حدثني عنه ولم أفهم منه شيئًا.

- الشيخ إلهامي هو عجوز القرية، عمره يناهز الثمانين أو التسعين عامًا.. وعم حسن كان أحد مساعديه، ولكن اتجه إلى ممارسة شعائر خاصة وطقوس غريبة جعلت الشيخ إلهامي يطرده من حظوته..

- لقد حاولنا البحث عن الشيخ إلهامي دون أن نجد له أي أثر، وكان الكل في القرية يتحاشى الحديث عنه.. كنا نود أن نستشيره في ما حدث.

- لن يدلك أحد من القرية على مكان الشيخ إلهامي.. كلنا هنا نتلاشى الحديث مع الغرباء حتى في التحقيق الذي باشرته الشرطة في مقتل عم حسن.. لم ينبس أحد ببنت شفة بالرغم تاريخه الأسود وما سببه

للقرية.. فبعد موته بدأت بعض الأحداث الغريبة تحدث في القرية، ويعتقد أهلها أن هناك لعنة ما أصابت القرية..

سألتها منى في دهشة:

- أي لعنة؟

- لقد اختفى أربعة أطفال من القرية، ونفقت أعداد كبيرة من الماشية هذا بالإضافة طبعًا إلى الحرائق المستمرة في البلدة دون أن يكون لها أي سبب معروف.. وكلنا لدينا حساسية تجاه الغرباء ولولا أنني أعلم أنكما من المستشفى وتتابعان حالة أحمد لما وافقت على مقابلتكما..

قاطعها جاسر بهدوء:

- مهلًا يا هند.. ألا تعتقدين أن ما أصاب أحمد قد يكون نوعًا ما من اللعنة لسبب ما.. فكل كلام أحمد يدور حول موضوع واحد يرعبه، ومن الواضح أن الشيخ إلهامي قد حذرهم من شيء ما، ولكنهم لم يصغوا إليه.. هل لديك فكرة عن ذلك؟

- أحمد كان كثيرًا ما يقص على ما حدث، ولو أنك تركتني أكمل فسوف أخبركما بما يساعدكما ويرشدكما لعلاجه.

اعتدلت منى قائلة باهتمام:

- فلتكملي يا هند وكلنا آذان صاغية..

اكملت هند:

- بعد أن اتفق أحمد مع عم حسن على استخراج الكنز وأخذ إذن الرصد، قابله الشيخ إلهامي، ودار حديث بينهما، لم يقل لي ما هو ولكن

يبدو من حديثه أن الشيخ إلهامي قد قام بتحذيره، ولكنه لم يصغ إليه لأنه أخبرني في الفترة الأخيرة أنه كان عليه أن يستمع لنصيحة الشيخ إلهامي ولكنه لم يفعل .

قاطعها جاسر مرة أخرى قائلًا:

- إذن فقد ضرب بنصيحة الشيخ إلهامي عرض الحائط وتعاون مع مجدي وحسن وتم استخراج الكنز..

- فعلًا ولكن حدث ما لم يكن متوقعًا، فبعد استخراج الكنز فوجئ أحمد بإطلاق النار وسرقة كل محتويات المقبرة من الأشخاص الذين كان مجدي زميله يعمل معهم، ولولا الصدفة فقط لكان عم حسن وأحمد ضمن تعداد الأموات .

قاطعتها منى هذه المرة متسائلة:

- فعلًا.. وهذا ما أثار اندهاشنا أن الخواجة قام بقتل كل من ساهم في عملية الحفر.. ولكن لماذا ترك حسن وأحمد؟

نظر جاسر وقتها بشدة إلى منى التي لم تفهم معنى نظراته إلا عندما قالت لها هند في دهشة:

- وكيف علمتِ بهذه الحادثة، وأن الخواجه هو من قام بقتلهم؟

استدرك جاسر بسرعة قائلًا:

- أحمد.. أحمد يا هند هو من قص علينا ذلك في أوقات إفاقته، ولكنه لم يتكلم بصورة واضحة، وها نحن نحاول أن نتصور الموضوع بشكل كامل لمحاولة وضع تصور لماذا حدثت له اللعنه تحديدًا، ومتى؟

أجابته هند:

- بعد اكتشاف المقبرة، لا أدري ما حدث ولكن ما أعلمه أن أحمد وعم حسن خرجا قبل إطلاق النار بدقائق.. عندما شعر أحمد أن هناك من يراقبهم في أحد البيوت المجاورة.. وقد قام بتحذير خاله وقتها.. وبعدها هربا ..

قاطعها جاسر قائلًا:

- هناك حلقة ما مفقودة.. فكيف أصيب أحمد باللعنة طالما اختفى؟

أجابته هند بتوتر:

- لا أعلم.. بالله عليك إن هذا الموضوع سيفتح عليَّ أبواب جهنم كفى بالله عليك .

حاولت منى طمأنة هند قائلة:

- لا تخافي يا هند.. فكل هذه المعلومات في صالح أحمد، ولن يعلم ما حدث في هذه الغرفة إلا ثلاثتنا فقط..

حاولت هند استجماع شجاعتها وهي تكمل:

- حسنًا.. بعد إطلاق النار وهروب الخواجة بكل ما كان في المقبرة عاد أحمد وعم حسن إليها مرة أخرى.. فقد كان عم حسن هو أول من وطأت قدماه المقبرة لسبب ما لا أفهمه، وكأنه يبحث عن شيء ما متحججًا باستكمال الطقوس الخاصة بفك الرصد.. وبالفعل.. عندما كان في الأسفل وجد ضالته فقام بالحفر وإخفاء ما وجده في كوة في الحائط.

ولم يلحَظ أحدهم ما حدث، وبعد انصرافهم نزل أحمد معه لاستخراج ما خبأه.

سألتها منى في استغراب:

- وما كان ذلك؟

- كان ذلك عبارة عن صندوق صغير..

اعتدل جاسر باهتمام قائلًا:

- صندوق؟ وماذا كان يحوي هذا الصندوق الذي يجعل حسن يترك كل ما خف حمله وغلا ثمنه ويختاره؟

- برديات..!!

نظر جاسر ومنى لبعضهما في دهشة في حين أكملت هند:

- نعم برديات.. أحمد قال لي إنه اندهش بمجرد رؤية الصندوق، لأنه كان يظن أن خاله فكر كما قلت يا أستاذ جاسر، ولكنه عندما سأل عم حسن قال له إنه وجد ما هو أغلى من كنوز الأرض..

سألها جاسر بدهشة:

- كنوز الأرض؟ !!، وماذا حدث بعد ذلك؟

- أخذ عم حسن الصندوق واختفى، وعاد أحمد إلى القاهرة واختفى هو الآخر، ولم أعلم هذا الموضوع إلا بعد مقتل عم حسن.

سألها جاسر:

- وماذا عن التابوت ؟

- أقسم لك إني لا أعلم عنه أي شيء، فلا أحد يعلم عنه شيئًا منذ سرقته، كل ما أعلمه أن أحمد رجع إلى البلدة بعد انتهاء الثورة بشهرين، وقد عرفت منه أنه قد اتصل بمجدي، الذي أقسم له إنه لم يكن على علم بخيانة الخواجة له.. والأدهى أنه عاد للتعامل معه مرة أخرى رغم أني حذرته..

ردت منى:

- عاد للتعامل معه بشأن ماذا؟

- لم أعلم أنه عاد للتعامل معه إلا بعد مقتل عم حسن، كل ما فهمته أن لديه بردية ما.. وأن الخواجة الذي يعمل لديه مجدي كان مهتمًا جدًا بها، وطلب أحمد وقتها مبلغًا خرافيًا مقابل تلك البرديات ولكن وقعت وفاة مجدي بعدها بشهر، ولا أدري أكان قد استلم البردية أم لا ؟

سألتها منى:

- هل استلم أحمد أي مبالغ مالية.. أو ظهر عليه الثراء؟

- لا لم يحدث، بالعكس لقد كان في ضائقة مالية قبل دخوله المصحة بفترة قليلة .

سألها جاسر باهتمام:

- وأين الصندوق بعد ما حدث؟

- لا أعلم، فكل ما أعلمه قد قلته لك؟

- اسمعيني جيدًا يا هند، فنحن نشعر أن أحمد واقعًا تحت تأثير سحر أو لعنة ما هي التي أدت إلى كل ذلك.. قد يكون حديثي غريبًا بالنسبة إليك

وغريبًا أيضًا بالنسبة لي كطبيب، ولكن هذا ما أشعر به وكل ما أريده هو مساعدة خطيبك.. وأنت بذلت معنا كل جهدك ولكن إذا تذكرت أي شيء.. أي شيء حتى ولو كان تافهًا أو علمت أو حتى سمعت أي شيء غير مألوف أو يخص الموضوع في القرية فعليك أن تبلغيني فورًا..

ناولها جاسر الكارت الخاص به قائلًا:

- وهذه هي أرقام هواتفي، وأرقام هواتف زميلتي منى وأنا منتظر منك أي خبر، حتى ولو كان في منتهى البساطة إلا أنه قد يساعد أحمد.

- إن شاء الله يا دكتور جاسر، أنا أيضًا أود أن يخرج أحمد سريعًا من تلك الأزمة.

استأذن جاسر ومنى في الانصراف، ولكن كان ذلك مستحيلاً عند أهل طما فكان لابد من تناول الغداء قبل انصرافهما، رغم التحجج بأن عليهما الرجوع إلى القاهرة قبل حلول الليل..

فكان على جاسر أن يتناول الطعام مع رجال المنزل، وكذلك فعلت منى عندما جلست مع النساء في الغرفة العلوية، أما جاسر فكان يشعر أنه ضيف غير مرغوب فيه، على الرغم من الكرم البالغ، ولكنه كان يرى أن حوارات العم معه كانت مقتضبة إلى حدٍّ كبير، وعبثًا حاول جاسر أن يستدرجه للحصول منه على أي معلومات ولكن دون جدوى، مما جعله يسأله مباشرة عما إذا كان يؤمن بوجود ما يسمى لعنة الرصد أم أن كل ذلك مجرد تخاريف لعجائز القرية.

فرد عليه الرجل باستنكار:

- أي عجائز قرية يا أفندي؟ إننا نرى بأعيننا ما قد لا يصدقه عقل، ولكننا على يقين بوجود ما يسمى الرصد، ووجود ما يسمى حارس الكنز، ووجود ما يسمى أخد الإذن قبل الحفر واستخراج الكنز.. نتوارث العديد من الحكايات الحقيقية المقدسة لدى جدودنا.

- ولكن هل تعتقد بالفعل أنها حقيقية يا حاج مراد؟

- نعم، وكونك تجهل هذه الأشياء فذلك ليس معناه أنها غير موجودة.

- سبحان الله أنت تختلف تمامًا عن أخي، فأنا مثلك أؤمن بوجود كل ما هو خارق للطبيعة، وأرى أن هناك العديد من الأشياء في عالمنا لن نستطيع تفسيرها.. ولكن هل فعلًا بدأت ظهور تلك الخوارق في القرية؟

- اسمعني جيدًا يا أستاذ، فعلى الرغم من أنه من الصعوبة بمكان أن يكشف أحد من القرية أسرارها، ولكني سأجيبك عن بعض ما يشغلك.. نعم بدأت الظواهر الغريبة في الظهور مرة أخرى..

- مرة أخرى؟!، هل معنى ذلك أنها ظهرت قبل ذلك؟

- نعم.. فقد كنت لا أزال صبيًا عندما وقعت هذه الأحداث، كان عمري وقتها لا يزيد عن عشرة أعوام.. وقتها سمعت عن المرأة المسعورة..

- امرأة مسعورة؟!!

- نعم المرأة المسعورة، والتي تقول الروايات إنها باتت تقطن وسط زراعات القصب، وتتربص بالمارة والأطفال وتأكلهم، كما أكلت أطفالها من قبل عندما أصابها مرض السعار، وظهرت عندما تم استخراج كنز دون إذن الرصد، وكانت هي وزوجها من قاما بذلك وهذه الحالة كانت

منذ أكثر من خمسين عامًا، وقتها كان الشيخ إلهامي مَن حذَّر أهل القرية من إصابتهم باللعنة .

- ولكنك تقول إن هذه الأحداث تكررت بصورة أخرى فهل ظهرت هذه الحالة مؤخرًا؟

- لا لم تظهر ولكن اختفى أربعة أطفال حتى هذه اللحظة دون أن يظهر لهم أي أثر..

- الشيخ إلهامي كان حاضرًا ذلك أيضًا؟

- نعم..

- أنا في أشد الحاجة لملاقاة الشيخ إلهامي، بالله عليك يا حاج مراد أنت بالتأكيد على عِلم أين هو، أريد أن أقابله فقط للاستفسار عن بعض النقاط عن حالة أحمد .

- لا أعلم، وحتى لو أعلم فمن الصعب البوح بتلك الأسرار، إنه بالتأكيد في مكان ما بالقرية، ومن فترة ذهب أحدنا إليه وقصَّ عليه كل شيء فوجده على علم بكل الأحداث، وكان يأسف لما وصل إليه الأمر، هو فقط مختفٍ ليجد الحل، فخلاصنا فقط على يديه.. هو فقط لا يريد أن يزعجه أحد منا.. لقد سبق وحذر ذلك الغبي ولكن دون أن ينصت لما قاله.

يئس جاسر أن يدله الحاج مراد عن مكان الشيخ إلهامي، فغيَّر الموضوع قائلًا:

- أكمل يا حاج مراد، وما بقية الأحداث الغريبة التي ظهرت؟

- لا حديث إلا عن اشتعال النيران ببعض منازل القرية وتحديدًا منازل الأشخاص الذين قاموا بتلك الفعلة، والذين دفعوا حياتهم مقابل ما

استخرجوه من المنزل المهجور خارج البلدة، ويقول سكان المنازل المجاورة إن الجن يقطن المنزل، بل إن بعض الجيران قالوا إنهم شاهدوا الجن في صور عديدةعلى هيئة عجل أو جاموسة أو ثعبان أو قط أو كلب، وأنه توقف عن الظهور وإشعال النيران بتلك المنازل ولكنه ما لبث أن عاد لممارسة نشاطه مرة أخرى .

- وما السبب من وجهة نظرك؟

- التنقيب عن الآثار الفرعونية فأراضينا ممتلئة بتلك الكنوز، ولكن لابد من أخذ الإذن أولاً، وإلا أصاب الأرض ما لا يحمد عقباه من لعنة مثل نفوق الماشية.. واختفاء الأطفال.. الحرائق الغامضة، وكل ذلك يحدث لنا الآن، فيبدو أنه تم استخراج الكنز دون أخذ الإذن، وهو الأمر الذي يثير غضب الرصد الجني الحارس له، وبالتالي فهو ينتقم منهم ويشعل النار في المساكن.. مع ظهوركائنات طائرة في السماء في صورة كرات من لهب تسقط فوق المساكن، وقد جرت هذه الحادثة في بعض قرى الصعيد مثل البلينا وأيضًا تحليق الطيور النارية الغامضة المجهولة التي يتحدث عنها السكان حتى اليوم في السماء ثم ما تلبث أن تسقط فوق المساكن.

- على الرغم من اعتراضي على بعض الأحداث إلا أني أصدق بعض ما جاء بروايتك أن في الأمر لعنة ما، ولابد أن نتكاتف جميعًا من أجل التخلص من ذلك الكابوس.. أتمنى فقط أن تخبرني بمجرد ظهور الشيخ إلهامي وهذه هي أرقامي..

- على الله يا أفندي.. على الله .

* * *

إن الخالق الذي ندعوه آتون لعجزنا عن تسمية أفضل..
عندما خلق الملاك الثاني الذي هو الكون كان مبتهجاً..
لقد كان خلقه جميلاً مترعاً بإحسان فأحبه كابنٍ له..
ولرحمته أراد آتون أن يكون هناك مخلوق قادر على الإعجاب بجمال خلقه..
فخلق بمشيئته الإنسان كي يقلد حكمته الربانية وحبه الإلهي..
وسأل آتون كل ملاك في السماء ماذا يمكنك أن تقدم للإنسان الذي سوف أخلقه ؟
فقالت الشمس إنها سوف تسطع طوال النهار تغذي بالضحكة والفرحة عقول الفانين والعالم أجمع..
ووعد القمر بأن يمنح الإنسان النوم والصمت ويضيء الليل..

تحوت..

وقف «كاجمني» في البهو الملكي أمام ولي العهد الأمير «خا أم واس» والأمير «مرنبتاح» وبدأ في السرد:

- سأقص عليك اليوم يا مولاي الأمير كيف وصل الأمير «نفر كا بتاح» إلى الكتاب المقدس، ولكن اعلم يا مولاي أن هذا الكتاب ينقلب إلى لعنة مباشرة إذا أسيء استخدامه واعلم يا مولاي أنه يجب...

قاطعه الأمير «خا أم واس» في نفاذ صبر:

- فلتكمل يا «كاجمني» ما بدأته من حكاية الأمير والكتاب بعد أن انضم إلينا الأمير «مرنبتاح» أخي الأصغر وقائد جيوش مولاي الفرعون المعظم رمسيس الثاني ولا تعد عليّ تلك التحذيرات التي أعلمها جيدًا فقد أخبرتك مرارًا ما غرضي من الحصول على تلك البرديات المقدسة.

- لا تؤاخذني يا مولاي الأمير. إنها تحذيرات يجب أن أقدمها إليك حتى أطمئن ألا يصيب أحد منا مكروه.

نظر الوزير «حور» للعجوز قائلًا:

- فلتدخل في الموضوع مباشرة يا «كاجمني».

أومأ العجوز برأسه قائلًا:

- حسنًا أيها الوزير.. في صباح اليوم التالي وبعد انتهائهم من أداء صلواتهم بعد شروق الشمس، جمع الأمير ثلاثة من كبار الكهنة ووزيره الأول وكاهنه المجهول، وعددًا من أشجع حراسه، ودخلوا الكهف، وللوهلة الأولى بدا الكهف ممتدًا أمامهم: فلم يتوقعوا أنه بهذا الحجم من الداخل، واستمروا في البحث عدة ساعات حتى وصلوا أخيرًا إلى تجويف صخري في قلب الكهف، وهناك وقعت أبصارهم على ما يبحثون عنه..

نظر إليه الأمير «مرنبتاح» بتساؤل قائلًا:

- هل وجدوا الكتاب يا أيها الكاهن؟

هز العجوز رأسه قائلًا:

- لا يا مولاي «مرنبتاح» بل وجدوا صندوقًا كبيرًا من الحديد محاطًا بهالة من الضوء والذي كان يتسرب من فتحة في جدار الكهف..

- صندوق من الحديد يا «كاجمني»؟

- نعم يا مولاي الأمير.. كان صندوقًا من الحديد كما أخبرهم الكاهن المجهول من قبل فالكتاب المقدس موجود بصندوق داخل الكهف، ولكن المشكلة لم تكن في ذلك..

نظر إليه الوزير «حور» بدهشة قائلًا:

- وما المشكلة إذن أيها الكاهن؟

- كانت المشكلة أن حول الصندوق ذاته كانت تزحف الحيات والعقارب بصورة لا يتخيلها عقل، أما صندوق الحديد نفسه فقد كان محاطًا بحية كبيرة تلتف حوله عدة لفات، وقتها خر الكهنة سجدًا ونصحوا الأمير بالابتعاد تمامًا عن الصندوق، لأن ذلك قد يكون إشارة من الآلهة بعدم فتح الصندوق حتى لا تصيبه أي لعنة..

ولكن الأمير «نفر كا بتاح» لم يكن ليتراجع بعد أن وصل إلى هذه البقعة المباركة، بعد أن وجد حلم حياته يتجسد بين يديه، وقام بتوبيخ الكهنة وأصدر أوامره بقتل الحيات والعقارب مهما كانت العاقبة.. فلقد أعمته رغبته في الحصول على الكتاب المقدس بأي شكل كان.. على الرغم من إصرار حراسه على خروجه من الكهف حتى لا يصيبه أذى أو لعنة ما.

- وماذا فعل الأمير؟ هل خرج وقتها؟

- لا يا مولاي.. كانت النبوءة تقول إنه لكي يصل الأمير إلى الكتاب المفقود عليه أن يتولى وحده تخطي الصعاب الموجودة، كما أخبره الكاهن المجهول..

وعلى الرغم من تحذير حراسه وكهنته استل الأمير سيفه ومعه حراسه وبدأ في قتل الحيات والعقارب حول الصندوق، إلى أن تبقت تلك الحية الكبيرة المحيطة بالصندوق.. وقتها أخذ يحاربها الأمير الشجاع بكل ما أوتي من قوة، ولكن الحية وكأنها كانت تعلم جيدًا ما تحرسه ولم تكن لتتركه قط.. فاستماتت على الصندوق وبدأت في القتال بشراسة وعلى الرغم من أن الأمير طعنها مرتين فقد كانت تقوم من الموت كل مرة.. لم تستسلم أو تهرب وتنجو بحياتها وتترك الصندوق.. بل قاومت في شراسة.. وفي المرة الأخيرة قطعها الأمير بسلاحه إلى جزئين وسط تهليل حراسه وقام بنثر الرمال فوقها حتى لا تقوم مرة أخرى..

اعتدل الأمير خام أم واس متسائلًا في لهفة:

- وهل فتح الصندوق؟ ووجد الكتاب؟

- نعم يا مولاي الأمير «خا أم واس» فتح الصندوق لكنه لم يجد الكتاب..

نظر إليه الأمير باستنكار قائلًا:

- لم يجده؟!!

- عندما فتح الصندوق وجد داخل الصندوق الحديدي عدة صناديق أحدها داخل الآخر تبدأ بصندوق من البرونز ثم صندوق من خشب النخل.. ثم صندوق من العاج والأبنوس.. ثم صندوق من الفضة.. وفي

النهاية صندوق من الذهب يحتضن الكتاب المقدس.. فمد الأمير يده، واختطف الكتاب وأصدر أوامره بالرجوع إلى القصر الملكي على الفور.. وبدأت رحلة الرجوع..

لكن في طريق العودة بدأت الأحداث الغامضة تتصارع.. فقد علقت المركب في بداية الأمر في النهر وتم انتقال الأمير إلى مركب أخرى وسقط أحد الحراس في النهر وآخر أصابته حمى شديدة أودت بحياته قبل أن يعود إلى القصر..

كل ذلك والكهنة تصب لعناتها سرًا على رأس الأمير المتمسك بالكتاب وكاهنه المجهول والذي بدأ هو الآخر يصيبه نوع من الهلاوس الغريبة وقتها.. وكلما حاولوا إقناعه أن ما حدث يعتبر خرقًا للطقوس الفرعونية القديمة من حفظ الأسرار المقدسة، كلما زاد تمسكًا بالكتاب..

وفي رحلة العودة رأى كبير الكهنة حلمًا مشئومًا.. فلقد رأى كان تحوت قد غضب غضبًا شديدًا بسبب نقل الكتاب من مخبأه وقام بالشكوى إلى المعبود رع.. ودعاه إلى أن يصب جام غضبه على الأمير «نفر كا بتاح»، وأن المعبود رع قد أصدر حكمه بإمهال الأمير سبعة أيام لرجوع الكتاب إلى مكانه المقدس والا سيحدث له ما لن يستطيع ردعه أو إيقافه..

قاطعه الأمير «مرنبتاح» غاضبًا:

- تبًا لك أيها العجوز الخرف.. أتحدثنا بكل ذلك وتريد أن يحصل مولاي الأمير ولي العهد على ذلك الكتاب المقدس.. وأن يوقظ لعنة المعبود رع؟ لو كنت مكان مولاي الأمير لقطعت رأسك في التو واللحظة..

ثم إلتفت إلى أخيه الأمير «خا أم واس»قائلًا:

- ما هو كلامي يتحقق لك يا مولاي الأمير «خا أم واس».. كل ما ذكرته لك.. فلندع الآلهة في شأنها ولنترك ما حكمت بإخفائه.

أشار إليه الأمير «خا أم واس»قائلًا:

- مهلًا.. مهلًا يا «مرنبتاح».. الكاهن «كاجمني»لم يجبرني على شيء، بل انا من بحثت في أنحاء الأرض عن أي شخص لديه معلومات عن تلك البرديات المقدسة، وكم أتى إلى من أفاقين حتى توصلنا أخيرًا إلى «كاجمني»، وهو لا يدفعني إلى الاستيلاء على الكتاب، ولكن هو يحكى لي ما حدث من وقائع تماثل ما يجري الآن، مع الفارق بين هدف الأمير «نفر كا بتاح»والذي دفعه للحصول على الكتاب، وهدفي أنا في نشر الخير في أنحاء مصر..

تدخل الكاهن الأعظم «نفرو»قائلًا:

- ولكن يا مولاي الأمير «خا أم واس».. الكتاب محمي من أسرار خفية يا مولاي، ونخشي ألا تستطيع صلواتنا وطقوسنا أن تفك اللعنة، ونخشى أن تتطور الأمور وتخرج من أيدينا فيحدث ما حدث مع الأمير الشرير.

نظر إليه الأمير بغضب قائلًا:

- أدخلت في علوم الغيبيات يا نفرو؟أواثق أنت في هدفي؟ أترى في مولاك عدم القدرة على نشر الخير وتسلط الشر على فكري؟

تلعثم كبير الكهنة وهو يواجه نظرات الأمير الغاضبة قائلًا:

- بالطبع لا يا مولاي.. أنا لا أقصد ذلك ولكن...

قاطعه الأمير «خا أم واس»في غضب قائلًا:

- فلتصمت إذن.. ولتدع «كاجمني» يكمل حديثه..

قالها الأمير ثم أشار للعجوز «كاجمني» والذي تابع في هدوء:

- يا مولاي الأمير إن استمعت إلى ما سردته عليك واتبعت قلبك فإن منزلتك سوف تسمو وترتفع كما ارتفعت منزلة الأجداد الذين ذهبوا في العصور السالفة وغدت ذكراهم خالدة لا تفنى ولا تزول.. إن حِكَمي وأمثالي وحكاياتي ستعلّم المرء كيف يتكلم، وإذا وصلت إلى عمري وخبرتي وقدرت ما أوصيتك به فسيكون قلبك سليمًا معافى وسيسر الملك بكل ما تعمل وستبلغ من العمر ما لا يقل عمّا بلغت من سنوات أمضيتها على الأرض، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وأغدق على الملك ما يفوق آلائه على أجدادي ذلك لأني تحدثت بالحق والعدل حتى شيخوختي..

أشار إليه الأمير «مرنبتاح» في ضيق:

- فلتكمل حديثك أيها الكاهن ولا تلقي علينا بمواعظك الدينية .

أومأ العجوز برأسه وهو يكمل:

- سمعًا وطاعة يا مولاي. نعود لقصتنا.. عندما رأى الكاهن الأكبر في الحلم تحوت وهو يشكو لرع من سرقة كتابه المقدس، وأمهل الأمير سبعة أيام وإلا ستكون العواقب وخيمة، ذهب كبير الكهنة للأمير قاصًا عليه ما رأى، ولكن الأمير في هذه الأثناء كان قد بدأ في قراءة صفحات من الكتاب وبدأ يصيبه نوع التكبر.. كأنا الهكم المعظم.. أنا أستطيع فعل ما لم يقدر عليه أحد في شتى أنحاء الأرض.. وبدأ يهذي بكلامٍ عن شيء ما يدور حول الكتاب.. ربما شبح او شيء أسود لا يدري كنهه.. وحتى هذا الشيء كان يطلب منه في هدوء إعادة الكتاب إلى مكانه.. ولم يستجب

الأمير لأحد ولا لكبير الكهنة. وفي مساء ذلك اليوم انتحر الكاهن المجهول بفرز خنجر في قلبه كنوع من الندم..

نظر إليه الأمير بذهول قائلًا:

- ماذا؟

- نعم يا سيدي.. وقرر وقتها بعض الكهنة التخلي عن الأمير بعد نُصحه بضرورة إعادة الكتاب، وحاول بعضهم سرقة الكتاب لإعادته، ولكن حرس الأمير استعادوه في نفس الليلة، ودار قتال على سطح المركب راح ضحيته خمسة رجال ما بين كهنة وحراس.. وحاول الكاهن الأكبر نصح الأمير مرة أخرى ولكن...

قاطعه الأمير بلهفة قائلًا:

- ولكن ماذا يا مرشدي؟

- إنه جنون العظمة يا مولاي.. لم يترك الكتاب من يده حتى وصل إلى قصره، وبالطبع كانت هناك خمس ليالٍ متبقية على إصابته باللعنة.. وعندما عاد علم بوجود أول فاجعة في حياته..

ففي صباح اليوم السابق لوصوله.. انقلب القارب فجأة بزوجته وابنه أثناء تنزههما في قارب صغير داخل النيل مع أحد الحراس.. وكأن هناك من يجر القارب إلى أسفل، وعلى الرغم من أن العديد من الحراس قد قفز إلى النيل وقتها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه لم يستطع أحد الوصول إليهم وقد تأكدوا من غرقهم، بل لم يستطع أحد الوصول إلى أي من الجثث لدفنهم تبعًا للطقوس المقدسة، مما يؤكد أن الآلهة قد صبت جام غضبها على الأمير نفر كا بتاح..

- ولم يرتدع ذلك الأمير على الرغم من كل ذلك؟

- نعم يا مولاي الأمير.. لم يرتدع بل ظل هائمًا بجوار الشاطئ ليومين مع حراسه لانتظار طفو جثتهم دون جدوى.. بعدها أخذ الكتاب وظل يقرأ فيه عدة طلاسم يومين متتالين لم يخرج فيهما من غرفته وبجوار الباب كان الحراس دائمًا ملاصقين له وعلى أهبة الاستعداد للفتك بكل من يقترب من مكان الأمير حسب تعليماته هو نفسه.. ووقتها كان الحراس يسمعونه ليلًا وهو يتكلم مع شخص ما.. بل الأدهى أنهم سمعوا بوضوح ذلك الشخص الآخر، ولكن لم يجرؤ أحد على الدخول إلى مخدع الأمير ورؤية ما يجري بالداخل..

- وفي اليوم الخامس ماذا حدث يا «كاجمني»؟

- استمر الوضع هكذا يا مولاي الأمير «خا أم واس»يومين متتالين، وفي اليوم الخامس والأخير لحلول اللعنة فوجئ الجميع بالأمير يرتدي كامل حلته الذهبية وقد أصر على الذهاب إلى شاطئ النيل في قارب وحده إلا من حارس وحيد يقود له القارب.. وذهب في نفس المكان الذي لقى فيه زوجته وابنه حتفهما، وألقى بنفسه فجأة في النهر.. وعبثًا حاول الحارس إنقاذه ولكنه لم يستطع رفعه إلى ظهر القارب، وكأن هناك ألف يد تسحبه إلى أسفل.. حتى القارب المرافق له من بعيد حين وصل إليه لم يستطع إنقاذه ولكن استطاعوا بعد جهد إخراج جثته..

اعتدل الأمير «خا أم واس»وهو يسأل العجوز:

- ومات الأمير؟

- نعم يا مولاي.. مات الأمير، ومات معه سر الكتاب المقدس، ومات معه سر من دفعه إلى التخلص من حياته بهذا الشكل.. وقتها كان لابد من التخلص من الكتاب الملعون، فأصدر كبير الكهنة أوامره بأخذ الكتاب وإرساله في موكب مقدس إلى مكانه الأصلي في الجزيرة حيث عثر عليه الأمير.. في حين تولى المعبد الجنائزي استكمال إجراءات دفن الأمير نفر كا بتاح.. وإستمرت عملية التحنيط يومين حتى وصول جلالة الملك والده والذى علم بكل ما حدث..

ولكن قبل البدء في المراسم الجنائزية، عاد الموكب مرة أخرى إلى الكاهن الأكبر بمفاجئة غير متوقعة.. فقد إختفت الجزيرة ولم يعد لها أي أثر وكأنها لم توجد يومًا..

إتسعت عينا الأمير وهو يقول في ذهول:

- ماذا؟ وأين ذهبت الجزيرة بحق الآلهة؟

- لا أحد يعلم يا مولاي إن كان الكهنة قد ضلوا طريقهم في النيل.. أم بحثوا في اتجاهٍ آخر.. فقد كانت الجزر تتشابه كثيرًا في هذه الأنحاء.. ووقتها وقع في يد كبير الكهنة، فكيف سيتصرف في الكتاب المقدس؟

بادره الأمير «مرنبتاح» قائلًا:

- فليحرقه.. !!

- لا يا مولاي الأمير «مرنبتاح».. في بداية الأمر فكر في ذلك جديًا، ولكن الخوف من غضب تحوت جعله يستبعد تلك الفكرة، ثم أشار عليه أحد الكهنة بدفنه في مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» سرًا.. بدلًا من احتفاظهم بالكتاب المقدس مما قد يغضب الآلهة مرة أخرى..

وقد فكر الكاهن الأكبر جديًا في الأمر ووجد أن تلك الفكرة هي الأنسب، واتفق مع الكهنة على وضع الكتاب في صندوق من البرونز والعاج داخل مقبرة الأمير «نفر كابتاح»مع إبقاء الأمر سرًا بين كهنة المعبد الجنائزي..

وعند سؤالهم عن الكتاب إتفق الجميع على أنه قد تم إعادته إلى المكان الذي وجد به.. وذلك خوفًا من إقتحام العامة للمقبرة للحصول على الكتاب المقدس..

- وتم دفن الكتاب في مقبرة الأمير؟

- نعم يا مولاي الأمير.. وظل الأمر سرًا توارثه فقط البعض من كهنة المعبد الجنائزي رفيعي الدرجات، حتى وصل الأمر إليَّ، وظللت محتفظًا بهذا السر.. ولكني كنت أتمنى أن أضع حكمي وخبرتي تحت يديّ حاكم عادل.. يريد أن يظهر تعاليم تحوت المقدسة للنور، وها أنت يا مولاي الأمير تقف أمامي لأضع سري بين يديك وأئتمنك على أسرار الآلهة، بعد أن وعدتني يا مولاي..

التفت الأمير «مرنبتاح» إلى أخيه الأمير «خا أم واس»قائلًا:

- مولاي الأمير دعني بحق الآلهة أتولى هذا الموضوع، فالحل الوحيد لإخماد هذه اللعنة إلى الأبد هو حرق الكتاب المقدس.. لا أحد يضمن من ستصل يداه إلى هذه الأسرار المقدسة..

- كلا بالطبع يا«مرنبتاح».. سأتولى أنا بنفسي تأمين رحلة الكتاب المقدس ليحفظ في خزائني الخاصة، ولن تمتد إليه يد غيري ولن يصل إليه أي شخص حتى بعد مماتي.. وأنت يا «كاجمني»لك ما طلبت.. وسوف ترى بعينيك تعاليم الكتاب المقدس وهي تنتصر للخير وتعم السلام في شتى

أنحاء مصر.. وأتمنى أن يطول بك العمر لترى التعاليم المقدسة تسرى في أنحاء البلاد .

في هذه الأثناء كان «خاي» وأوزير لا يزالا يراقبان ما يحدث من مخبأهم السري، وعندما همَّ «خاي» أن يتكلم أسكته «أوزير» وسحبه من يده إلى خارج السرداب وعندما وصلا للغرفة هتف به أوزير:

- «خاي» لقد أخبرتك ألا تتفوه بأي كلمة، يكفي أني رافقتك إلى هنا تاركًا أبي الذي يلحّ عليَّ في كل مرة أن أحضر معه ذلك الاجتماع، ما بك ولماذا تبدو مشدوهًا هكذا؟ماذا كنت تريد أن تقول؟

- لا أدري يا «أوزير»..لا أدري.. ولكن هذا الموضوع برمته لا يروق لي، فلست مرتاحًا أبدًا لذهاب أبيك إلى تلك الرحلة .

- أي رحلة تقصد؟

- تلك الرحلة التي ينتويها أبيك للذهاب إلى قبر الأمير «نفر كا بتاح»ليحصل على الكتاب المقدس.. ألم تسمع بأذنيك ما قاله العجوز وما حدث لذلك الأمير؟

- نعم لقد سمعتُ ما قاله العجوز ولكن ماذا في ذلك؟ إن أبي يختلف عن هذا الأمير، فجميعنا نعلم ما هي داوفعه، والفرق واضح بين طمع ذلك الأمير لشخصه وبين أبى الذي...

قاطعه «خاي» بقلق:

- أعلم دوافع أبيك ونيته الطيبة، ولكن على الرغم من ذلك فأنا لا أؤيّد فكرة حصول والدك على الكتاب يا أوزير..

ربت «أوزير»على كتف صديقه قائلا:

- لا تقلق يا «خاي».. سوف ترى أن والدي سينشر السلام في مملكته بعد حصوله على تلك التعاليم.. وسترى كيف ستكون مصر حتى من بعده.. عندما أصبح ملكًا بعد والدي بعد عمر مديد.. سترى كيف سأحتفظ بتلك الأسرار السحرية.. وإلى ذلك الحين سأفكر جديًا في تحويلك إلى طائر لترحل عني وأرتاح منك، ماذا بك؟ لماذا تنظر إليَّ هكذا؟ انا أمزح معك فلن أقدر على تحويلك يا«خاي» فأنت صديقي الوحيد؟

- لست قلقًا من ذلك يا أوزير..

- فلماذا إذن تلك النظرة المحيرة في عينيك؟

نظر «خاي» لصديقه نظرة يملؤها القلق والحيرة وهو يقول:

- لأني أشعر أن ما أراه الآن قد حدث لي من قبل، ليس ذلك فحسب بل إني أعلم خاتمته أيضًا، ولكني أشعر كما لو كان ذهني مشوشًا..

لم يدرِ «خاي» سر ذلك الشعور الغريب الذي اجتاحه وهو ينظر إلى صديقه «أوزير»بأنه لن يكون ملكًا أبدًا، وأن والده الأمير «خا أم واس»لن يجلس على عرش مصر يومًا ما..

ولكنه أطبق فمه ولم يخبره أبدًا..

* * *

تمر الأحداث سريعًا ويشعر جاسر بأنه قد دخل كليًا في هذه المغامرة ومحاولة فهم ما يحدث حوله..

لم تسفر محاولات قراءته على الإنترنت أو اطلاعه على بعض الكتب المصرية القديمة على موضوع تحوت أو الإله تحوت بأي جديد، ولذلك عندما ذهب إلى المكتبة العامة، وبعد سؤاله لأمينة المكتبة التي أشارت إليه ببرود إلى أحد الأرفف حيث وجد كتاب معجم الحضارة المصرية القديمة لجورج بوزنر وظل يبحث حتى وجد صفحة واحدة تشير إلى الإله تحوت.. فقرأ عدة سطور منها دوَّنها في ورقات كانت معه..

((ونظرا لمواهبه العديدة في جميع النواحى فقد جعلته الأساطير دائمًا كاتم سر الالهة، فكان الحكيم والمساعد الذي لا يستغنى عنه في أي عمل إلهى، بيد أن له إمتيازات هامة أخرى، فقد جعلته براعته في الهيروغليفية والألفاظ ساحرًا مريعًا يستطيع تحويل أي شيء يريد إلى أي صورة يشاءها، وذلك لمعرفته الخلاقة، وهذه الموهبة هي التي تفسر السبب في أن علماء اللاهوت بمنف كانوا يعتبرونه لسان بتاح أو أداة التعبير الشفهي التي أعطى بها ذلك الإله الوجود للكون، وتقول نصوص أخرى تسير على نفس الفكرة أنه قلب رع وجوهر الفكر الخلاق..

ولما كان تحوت هو إله الكلمة الإلهية والكاتب الأعظم، فقد صار حامي السحرة الذي يعرف جميع النصوص اللازمة لشفاء المرضى، وقد اشتهرت مكتبة عاصمته هرموبوليس بتلك النصوص..

وتحدثت بعض الأساطير عن أماكن الكتب السرية التي توجد بها الوثائق المقدسة التي كتبها الإله بخط كهانه .

وتصف قصة ساتني وهو ولي عهد رمسيس الأمير «خا أم واس»عملية البحث عن كتاب تحوت الإلهي والذي يهب من يجده قوة السيطرة على الأرض والسماء ومناطق الجحيم والأحداث المفجعة التي أصابت كل من دفعه سوء حظه إلى محاولة البحث عن ذلك السر الخطير..))) .

أغلق هنا جاسر الكتاب قائلًا في نفسه إن الموضوع جدي فعلًا. فعلى الرغم من عدم تصديقه لبعض الخزعبلات إلا أن ذلك لا يمنع من وجود لعنة ما.. ولكن هل كل ذلك بسبب أن البعثة اكتشفت مقبرة كاهن ما كان مسئولًا عن تلك البرديات التي تحمل الكتاب أم ماذا؟

تذكر أيضًا ما خطه عن قصة ساتني.. فظل يبحث على مدار الساعة بمساعدة أمينة المكتبة. حتى وجد ما كان يبحث عنه في نشرة دورية قديمة تتحدث عن أخبار السحر والماورائيات في مصر الفرعونية..

فالأسطورة تروي قصة الساحر مي «أوزير»و هو ابن الأمير ساتني (خا أم واس)، ابن الملك رمسيس الثاني.. والتي تعتبر من أهم قصص السحر في مصر القديمة وأكثرها تشويقًا، وقد كتبت هذه القصة بالخط الديموطيقي على بردية تعود إلى العصر اليوناني وهي معروضة بالمتحف البريطاني .

لا يدري جاسر وقتها لماذا بدأ قلبه في الخفقان سريعًا دون سبب مفهوم وهو يقرأ تلك السطور..

((وتحكي القصة أن زوجة الأمير ساتني ظلت فترة غير قادرة على الإنجاب وبعد فترة من العلاج بالوصفات السحرية أنجبت زوجة ساتني له ابنًا أسمياه سي- أوزير، أي ابن أوزير..

فرح ساتني بالطفل الوليد واهتم برعايته وتربيته وتعليمه واكتشف ساتني أن هذا الطفل يمتلك قدرات تفوق قدرات أي طفل آخر في مثل سنه .

وفي يوم من الأيام جلس ساتني أو الأمير «خا أم واس»مهمومًا، فقد سمع بأن هناك ساحرًا حبشيًا أتى إلى قصر ملك مصر، ومعه رسالة مغلقة وتحدى كل سحرة مصر إن كان منهم مَن يستطيع قراءة الرسالة وهي مغلقة، وهدد الساحر الحبشي بأنه إذا لم يظهر في مصر من يستطيع قراءة الرسالة وهي مغلقة فسيقوم باختطاف ملك مصر وأسره في الحبشة .

كانت تلك طامة كبرى، فالساحر الحبشي جاء إلى مصر بالشر، ولن يستطيع أن يوقفه إلا ساحر أقوى منه، ولكن ساتني بكل ما لديه من معرفة بعلم السحر لم يكن يمتلك القدرة على السيطرة على الساحر الحبشي .

وقتها كان سي- «أوزير»ما زال صبيًا، عندما حدثت تلك الواقعة وعندما علم بأنها هي سبب حزن أبيه فاجأه بأن أعلن قدرته على قراءة رسالة الساحر الحبشي وهي مغلقة وأنه مستعد لقبول أي تحدٍ يأتي به الساحر الحبشي.

و أخبر سي -«أوزير»أباه ساتني بأنه عاش من قبل على أرض مصر على هيئة كاهن من كهان الإله تحوت ويحفظ تعاويذه الخاصة، وأنه قام بحماية مصر من شر هذا الساحر الحبشي في زمن سابق (منذ ١٥٠٠ سنة)، وأنه عاد الآن مرة أخرى إلى الحياة بأمر من تحوت لكي يحمي مصر مرة أخرى من ذلك الشر العظيم، وأن تلك هي المهمة التي جاء من أجلها إلى هذه الحياة .

استطاع بالفعل سى -«أوزير»أن يقرأ الرسالة المغلقة واستطاع أن يمنع تهديدات الساحر الحبشي بخطف ملك مصر وأخذه أسيرًا إلى الحبشة

فاستمر الساحر الحبشي في تحديه لسحرة مصر، وفي كل مرة كان سي- «أوزير» يوقف سحره الأسود ويتفوق عليه ويحمي مصر من شروره .

فقد تحدى الساحر الحبشي سَحَرة مصر بأن أشعل النار في قصر الملك فقام سي- «أوزير» بقراءة تعاويذ سحرية جعلت الأمطار تسقط وتطفئ النيران، ثم تحدى الساحر الحبشي المصريين بأن جعل سحبًا كثيفة سوداء تتجمع فوق قصر الملك، وفجأة أظلمت الدنيا ولم يستطع أي شخص رؤية أي شيء حوله، فقام سي - «أوزير» بقراءة تعاويذ سحرية جعلت السحب السوداء تنقشع وعاد النور لمصر مرة أخرى .

ثم تحدى الساحر الحبشي المصريين بأن ألقى مجموعة من العصى على الأرض فتحولت إلى حيّات، فقام سي- «أوزير» بإلقاء حزامه على الأرض وقرأ تعاويذ سحرية فتحول الحزام إلى ثعبان ضخم التهم أفاعي الساحر الحبشي .

ولم يستسلم الساحر الحبشي، وإنما ألقى تعويذة فاتى بمقصورة حجرية حبس بداخلها ملك مصر وعزله عن السماء وعن شعبه، فقرأ سي- «أوزير» تعاويذ سحرية أتت بقارب سماوي حمل ملك مصر إلى السماء وأبعدته عن مقصورة الساحر الحبشي الحجرية .

وعند ذلك أدرك الساحر الحبشي أنه مهزوم لا محالة، فقرأ تعويذة لكي يجعل نفسه خفيًا ويستطيع الخروج من مصر وهو في هذه الحالة من الخفاء .

ولكن سي-«أوزير» قرأ تعويذة سحرية جعلت الساحر الحبشي يظهر للعيان في شكل طائر ووقع فريسة لأحد الطيور الجارحة .

وبعد القضاء على الساحر الحبشي وإبطال سحره، اختفى سي- «أوزير» فجأة، وعاد إلى العالم الذي جاء منه، فقد أتى من مملكة تحوت في مهمة محددة هي حماية مصر من شر الساحر الحبشي، وبعد أن انتهت مهمته عاد من حيث أتى .

حزن ساتني لاختفاء سي- «أوزير»، ولكن بعد فترة علم أن زوجته حامل، ولما أنجبت ولدًا، أسمياه «أوزير» على اسم الساحر المبعوث من مملكة تحوت لإنقاذ مصر..)) .

- عظيم جدًا.. مجموعة من التخاريف توضع في كتاب تاريخي..

هذا ما قاله جاسر لنفسه وهو يقفل الكتاب ويقوم ليعيده إلى مكانه، ولكنه شعر لأول مرة في حياته وكأن لوحًا من الثلج اخترقه.. فانتابته نفس القشعريرة التي أصابته منذ أن كان في زيارة للمصحة النفسية وشعر بانقباض في قلبه بلا أي مبرر، فترك المكتبة سريعًا إلى الخارج ليتنفس بحرية بعد أن كان يشعر بأن هناك من يكتم أنفاسه .

* * *

كان آدم يستدعي أحد الجرسونات في "الكافيه" المملوك له، ويطلب منه أربعة فناجين من البن المخصوص لجاسر وله ولراشد ولماجد الذي كان يقرأ في الأوراق التي دوّنها جاسر أثناء وجوده بالمكتبة.. أما منى فاعتذرت عن الحضور معهم في تلك الأمسية لمرض والدتها..

كان النقاش لا يزال يدور حول ما مرَّ من أحداث منذ لقاء جاسر وراشد واندهاش الأخير من أسلوب جاسر حتى في استدراج خطيبة أحمد للحصول على تلك المعلومات..

نظر راشد لجاسر الذي أطرق برأسه مفكرًا وهو يقول له:

- نعم.. أشعر بما تفكر فيه يا جاسر.. ولكن أنت تبحث عن سر اللعنة أو كيفية إصابة الجميع بتلك اللعنة، والمفترض أننا نبحث أصلًا عن تلك الآثار المنهوبة.

- لو علمت كيفية إصابتهم باللعنة فسيؤدي ذلك إلى كشف اللغز بأكمله يا راشد.

نظر ماجد لجاسر قائلًا:

- انت لازلت مُصرًا يا جاسر على وجود تلك اللعنة الغير مفهومة.

- أما زلت غير مقتنع بأنها كذلك حتى بعد أن جعلتك تقرأ تلك السطور التي دوَّنتها من المكتبة، وكل ما ذكرته لك.؟

هتف ماجد مستنكرًا:

- أية سطور؟أنت تكتب كلمة أساطير قبل كلماتك، وأنا مندهش من إنك تصدق تلك الخزعبلات.. من ذلك الرجل الذي يحبس الملك في مقصورة ثم يأتي الكاهن من زمن مضى وهو متخفٍ في صورة ابن الأمير.. حتى الأساطير يا جاسر لها حد مقبول.

- أنت حُرٌّ في رأيك ولكني مُصرّ على ما أشعر به.. فلو قلت لك ما أشعر به فلن تصدقني.

- أنت تسير وراء سراب، وأنا لدي العديد من الأشياء الهامة التي أقوم بها في حياتي غير البحث عن سر لعنة ما.. أكمل أنت كما تشاء ولكن لا تطلب من الجميع تصديق هذه الخزعبلات.

- خزعبلات؟

هتف ماجد غاضبًا:

- نعم خزعبلات.. وأنا لست مهتما لا بالآثار ولا باللعنة ولا بأي شيء إلا بعملي فقط، وبمناسبة عملي نسيت أن أخبرك، سأسافر غدًا في دورة لمدة شهرين إلى قطر.

- وهل تذكرت الآن أنك مسافر؟!

- بالفعل لقد تذكرت الآن، وبعد إذنكما سأضطر للمغادرة الآن..

وما لبث أن أخذ هاتفه من على المنضدة وغادر دون حتى أن يحتسي قهوته.

فالتفت راشد لجاسر مندهشًا:

- ما الذي حدث لماجد؟ منذ متى كان يتعامل بتلك العصبية؟

- لا أدري يا راشد..لا أدري، ولكن في الفترة الأخيرة قد أصبح عنيدًا جدًا ويتحدث وكأنه في ضيق بسبب هذا الموضوع.. أو ربما لسفر خطيبته معي للصعيد دون إذنه حتى.. ولكن لا أجد مبررًا لضيق أفقه إلى هذه الدرجة.

- فلتدعه في عمله ولتدع منى في عملها أيضًا، وإذا احتجت لأي شيء أخبرني فقط.. يبدو أننا سنتشارك هذه المغامرة سويًا.

هتف بهم آدم:

- وأين؟ لماذا تنسونني دائمًا..

ابتسم جاسر وهو يربت على كتفه قائلًا:

- لا تقل هذا يا آدم أنت قبلنا في هذه المغامرة.. بالمناسبة يا راشد كنت أريد أن أستفسر على شيء بخصوص أحمد..
- وما هو يا جاسر؟
- عندما قمتم بتفتيش شقته ألم تجدوا هناك أي أثر للبرديات أو الصندوق أو أي شيء قد يفيد القضية؟
- لقد بحثنا أكثر من مرة ولم يكن الهدف من التفتيش الصندوق أو البرديات ولكن كان الهدف العثور على أي إشارة أو دليل قد يدل على علاقته بحادث القتل وبالتالي هو بريءٌ من وجهة نظرنا..

ونظر راشد في ساعته وتناول هاتفه من على المنضدة قائلًا:

- والآن اسمحوا لي أن أعود إلى عملي ولنتلاقى بعد الغد هنا كعادتنا.

أشار إليه جاسر وهو ينهض بدوره ليغادر قائلًا:

- فلتأخذني معك.. أيضًا، فأنا متعب ومجهد وأود أن ألحق ماجد قبل نومه لأعلم سر غضبه، أتمنى فقط أن أجده مستيقظًا..

غادر الاثنان بعد أن ودعا آدم، أما جاسر فطوال الطريق لم ينصت إلى راشد الذي يحدثه عن أمور البلد والعمل والضيق المتواصل الذي يتعرض له.

لم يكن ليوقفه أحد عن تلك الفكرة المجنونة التي طرأت في رأسه.. فقد قرر أن يبحث في شقة أحمد ربما وجد شيئًا ما أغفلته المباحث في أثناء بحثها.. كان يشعر أن هناك شيئًا ما داخل شقة أحمد يناديه هو..

* * *

وفي صباح اليوم التالي، وصل جاسر بصعوبة إلى العنوان المقصود الذي ظل يسأل عنه حتى وصل أخيرًا إلى حديقة الفسطاط حيث تقع الشقة في إحدى تلك البيوت العشوائية المقابلة لها من الجهة الخلفية من ناحية مصر القديمة في الطريق المؤدي إلى السيدة عائشة .

فقد كان أحمد يسكن ببيت قديم في الطابق الأخير، وعندما وصل ظل يلف حول المنزل القديم حتى تأكد أن لا أحد يتبعه.. ثم صعد السلالم سريعًا حيث كان أحمد يقطن في الطابق الأخير الذي كان عبارة عن غرفتين ملحق بهم مطبخ بسيط وحمام وأمامه السطح بأكمله، وقدتراصت عليه الكثير من العلب الصفيح الصدئة والعديد من الملابس المنشورة على حبال كثيرة..

كانت الشقة مغلقة بالطبع فحاول جاسر فتح الباب إلا أنه لم يستطع، فحاول أن يدفع الباب بكتفه دفعة قوية، كان الباب ضعيفًا فما لبث أن فُتحَ على مصراعيه ببساطة.. لم يلفت ذلك انتباه جاسر كثيرًا، ولكن ما لفت انتباهه أن الشقة كانت مقلوبة رأسًا على عقب، وكأن هناك من بحث في كل شبر فيها، حتى إنه خلع البلاط من مكانه دون جدوى.. شعر جاسر باليأس عندما رأى ذلك، ولكنه تيقن أن من فتش بهذه الطريقة

كان يبحث عن شيء محدد، وبالتأكيد لم تكن المباحث صاحبة التفتيش الدقيق هذا..

كانت الشقة من الداخل عبارة عن صالة بسيطة تراصت فيها عدة كراسي صالون قديم مقلوبة رأسًا على عقب.. وفي نهايتها ممر حوالي أربعة أمتار على جانبيه غرفتان صغيرتان أحدهما وضعت فيه غرفة نوم بسيطة تم تفتيش كل ركن فيها حتى مرتبة السرير والدولاب الذي برزت أحشاؤه من الداخل وتناثرت بقية الملابس على الأرض..

أما الغرفة الأخرى المقابلة كانت فارغة تمامًا إلا من سجادة كبيرة فرشت على الأرض، ولكن ما أثار انتباه جاسر أكثر هو وجود بقع دموية على الجدار بارتفاع أكثر من متر ونصف.. كانت بقع دائرية على طول الأربع جدران.. تذكر أحمد وهو يخبره عن ذلك الشيء الأسود الذي في رأسه وقام وقتها بخبط رأسه عدة مرات في الحائط.. تخيل أحمد وهو يقوم بخبط رأسه في أماكن تلك البقع التي على الجدار.. بنفس طول أحمد..

وبنهاية الممر كان الحمّام البسيط.. مجرد غسالة قديمة وعليها العديد من الملابس المتسخة داخل أحد الأطباق البلاستيكية الكبيرة.. وقد علق على الحائط مرآة صدئة أعلى حوض تراصت عليه قطع من صابون بالية وفرشاة شعر وعدة ماكينات حلاقة قديمة..

وفجأة لمح جاسر خيال فالتفت مسرعًا وقد اقشعرَّ جسده ولكنه لم يرَ شيئًا، فخرج جاسر من الحمّام وهو مقبوض القلب بدون سبب.. هل ما تخيله حقيقة؟ فقد كان ينظر إلى الحوض وبحركة لا إرادية فتح صنبور المياه، ولكنه عند نظره إلى المرآة الصدئة لمح وكأن هناك قطة تنظر إليه

في نفس المرآة.. ولكنه التفت خلفه فلم يجد شيئًا بطبيعة الحال.. اندهش من قلقه وتوتره دون سبب..

بدأ جاسر في البحث في كل جزء في الشقة دون جدوى.. في كل مكان حتى ما لم يخطر ببال أحد، حتى أنهكه التعب بعد ساعة تمامًا من دخوله الشقة فجلس على أحد الكراسي الخشبية في مدخلها..

اندهش جاسر من تلك الرائحة النفاذة الموجودة في الشقة وكأنها تشبه بول القطط.. هل يكون ما رآه في المرآة حقيقة؟ هنا زال توتره لإدراكه أنه ربما كانت هناك قطة ما تدخل من نافذة قريبة أو أي مدخل آخر..

كانت تلك الرائحة تسيطر على المكان وكان يشعر كأنها تزيد شيئًا فشيئًا، ففتح جاسر باب الشقة ليسمح بدخول هواء السطح داخلها حتى يتنفس ويعاود البحث مرة أخرى.. لكن دون جدوى فما زالت تلك الرائحة تزداد..

خرج من الشقة ليقف بجوار سور السطح الذي يطل على تلك البيوت القديمة التي وقفت متراصة كعلب الثقاب تمامًا، دون أي تنظيم أو تخطيط..

اقترب من شجرة ياسمين مزروعة في حوض كبير تراصت على جانبيه العديد من قوالب الطوب.. اقترب أكثر وامتدت يده لتقطف زهرة ياسمين.. ولكنه توقف فجأة وهو يتذكر جملة أحمد الغريبة.. جملة دقت في رأسه كأجراس الكنائس في صلوات الآحاد.. (عقابي عند الياسمين.. نعم مصيري عند شجرة الياسمين).. هل يكون ما يبحث عنه جاسر مخبأ تحت شجرة الياسمين؟

عاد جاسر للشقة بسرعة ليبحث في أنحائها حتى وجد تحت المنضدة فأسًا صغيرة.. وعاد إلى شجرة الياسمين ودقات قلبه تتصارع أكثر فأكثر، فربما كان على صواب..

كان من حُسن حظه أن الشجرة كانت بجوار جدار جانبي فلن يلاحظه أحد عند الحفر.. فبدأ في الحفر قليلًا ولكنه لم يجد شيئًا.. استمر في الحفر أكثر فأكثر، فلم يكن يتوقع أن كمية الطمي كانت لأكثر من نصف متر، فظل يحفر إلى أن اصطدمت الفأس في جسم ما..

ارتفعت دقات قلب جاسر.. فترك الفأس وحفر بشدة بيديه أكثر وأكثر ليجد صندوقًا أبنوسيًا مغلفًا بكيس من البلاستيك.. حاول شد الصندوق ولكنه كان عالقًا في الطين.. بذل جهدًا آخر حتى أزاح الطين كله فأصبح الصندوق في متناول يديه.. رفعه من الأرض، كان يزن حوالي الخمسة كيلو جرامات، وقد حفرت كتابة هيروغلوفية على كافة جوانبه..

كان يشعر بشيء ما جاثم على قلبه ولكن كان في منتهى السعادة لعثوره على دليل ما على أنه يسير في الاتجاه الصحيح.. فأخذ الصندوق وتأكد أن أحدًا لا يراقبه ودخل مرة أخرى إلى داخل الشقة ثم وضعه على منضدة خشبية كانت مقلوبة.. وحاول فتح الصندوق الذي فُتِحَ سريعًا.. ولدهشته وجد برديتين في الصندوق مغلفتين بملف بلاستيكي وورقة مكتوب عليها:

"الشيخ إلهامي واحدة..

مجدي معاذ اتنين.."

وصورة من شيك مرسل من شخص أجنبي يدعى جيمس إدوارد إلى أحمد بتاريخ شهرين ماضيين قيمته خمسون ألف جنيه.. وخنجر غريب الشكل..

اندهش جاسر من تلك الورقة، ماذا تشير إليها ؟وما المقابل الذي حصل عليه جيمس إدوراد من أحمد؟ أمسك البرديتين اللتين غلفتا بعناية داخل ملف بلاستيكي، وحاول أن يتخيل كم روح أُزهِقَت بسبب ما هو مكتوب في تلك البرديات.. كان يتمنى الآن لوعلم تلك اللغة.. ولكنه كلما وقعت عيناه على أحد الرموز المرسومة كانت تتسارع دقات قلبه دون أي سبب مفهوم..

وضع البرديات داخل الصندوق مرة أخرى.. وحاول أن يرتب الأحداث الماضية ولكنه عجز عن ذلك، وكأن هناك من يدفعه لطريق آخر.. اندهش جاسر من شعور ما سيطر عليه في ذلك الوقت، ولكنه أغلق الصندوق الأبنوسي سريعًا عندما شعر أن هناك حركة ما تأتي من السطح..

كان جاسر يشعر أنه شخص ما آخر.. كان يستمد قوته من شيء لا يعرفه كان متوترًا في بداية بحثه، ولكنه الآن يشعر بالقوة دون سبب في عضلاته ورأسه.. بل وتفكيرة أيضًا.. التفت إلى جواره فوجد قطعة خشبية يبدو أنها كانت مسندًا لكرسي خشبي، فأخذها في يده ووقف وراء باب الشقة الذي لا زال مفتوحًا على مصراعيه..

كان يشعر أن هناك من يسير بهدوء في السطح، وما لبث أن وجد باب الشقة مفتوحًا فبدأ يقترب أكثر فأكثر ومدَّ رأسه ليدخل إلى الشقة

بهدوء.. وسار بخطوات حذرة حتى أصبح أمام جاسر تمامًا.. ولدهشة جاسر وجد أنه لازال يمسك بالخنجر في يده والذي وجده بداخل الصندوق.. وضعه داخل جيبه الخلفى ورفع اليد الخشبية ثم هوى بها فجأة على رأس الغريب الذي سقط مغشيًا عليه مضرجًا في دمائه..

اقترب جاسر منه وبدأ في تفتيشه سريعًا، ولكنه لم يجد في أوراقه ما يشير إلى شخصيته.. وأخذ يتفحص في ملامح الرجل.. كان وجهه قاسي الملامح يحمل نقشًا على رسغه على صورة رمز الحياة الفرعوني، كان طوله قرابة المترين إلا عدة سنتيمترات.. ذو عضلات مفتولة.. مما يشير إلى أنه مصارع أو شيء ما من هذا القبيل.. كان يشعر وكأنه ليس مصريًا خاصة مع ذلك الشعر البني الذي يغطي رأسه..

كان جاسر يقاوم فكرة طرأت في رأسه لماذا لا يقوم بنحر الغريب.. بل واقترب بالخنجر من رقبته.. كان يشعر أنه تحت تأثير مخدر ما.. تصاعدت الرغبة في رأسه أكثر فأكثر.. ولكن الغريب بدأ في الحركة البسيطة مستعيدًا وعيه.. فرفع جاسر الخنجر سريعًا، ووضعه في الصندوق الأبنوسي وأخذه ونزل سريعًا إلى الحارة التي لم يلحَظه فيها أحد، وكان يشعر وقتها وكأن شياطين الجحيم تطارده..

لم يذهب مباشرة إلى سيارته التي ركنها في الشارع الرئيسي بل ظل يلف حول المنطقة حتى يطمئن أنه ليس مراقبًا.

ذهب سريعًا إلى سيارته واضعًا الصندوق الأبنوسي في الحقيبة الخلفية مغطيًا إياه بغطاء السيارة وقادها مسرعًا متجهًا إلى منزله..

كان يشعر بالاختناق دون أن يدري لذلك سببًا.. كان يتصبب عرقًا.. لا يعرف كيف واتته الشجاعة ليقتحم شقة ويبحث عن شيءٍما ويجده ويصرع رجلاً في ضعف حجمه، بل ويكاد أن يقتله دون سبب مفهوم..

وعندما دخل إلى شقته في تلك الليلة حالكة السواد لم يجد كهرباء بالمنزل.. فلقد كان التيار منقطعًا، فسبَّ كعادته عندما ارتطمت قدمه في شيء خشبي على الأرض.. وقد دهش من تلك الرائحة التي تشبه بول القطط التي لازالت في ملابسه .

اشمئز أكثر من نفسه، فوضع الصندوق الأبنوسي على المنضدة الزجاجية في غرفة الاستقبال، بعد أن أغلق باب شقته من الداخل بالمزلاج .

كان ما جرى له خلال الساعات الماضية يجعله يطلب الموت وليس النوم..

خلع ملابسه سريعًا وألقاها بإهمال على أول مقعد.. كانت دقات قلبه تتسارع كلما اقترب من غرفته بدون سبب مفهوم..

على ضوء خافت لجواله أضاء له الطريق إلى مخدعه.. تسارعت دقات قلبه أكثر فأكثر دون أي سبب واضح.. وأمام سريره تمامًا كانت هناك مرآة زجاجية تعكس صورته الشبحية في تلك اللحظة وهو جالس على سريره يخلع نعليه.. وأمامه مقعد تراصت عليه ملابس النوم.. فمدَّ يده إليها وارتداها بدون اكتراث.. واستلقى على السرير طالبًا النوم العميق.. وعلى الضوء الخافت المنبعث من هاتفه خُيِّلَ إليه وهو يسحب الغطاء عليه أن هناك شيئًا ما فوقه تمامًا.. على العارضة الخشبية لسريره.. كان

شيئًا مبهمًا تنعكس صورته في المرآة أمامه.. رفع رأسه فجأة فلم يجد شيئًا.

لعن تلك الهواجس التي تكاد أن تفتك به في الساعات الأخيرة، واستلقى على جنبه الأيسر كعادته.. تصاعدت الأنفاس.. وشعر بالاختناق.. وتسارعت دقات قلبه أكثر.. فأكثر.. دون أي سبب مفهوم حتى كاد أن يغشى عليه، ولكنه كان يغمض عينيه بكل ما أوتي من قوة.. فصوت الأنفاس حاليًا أصبح مسموعًا بصورة مرعبة..

ولكنها لم تكن أنفاسه هو.. بل ما كان في هذه اللحظة يرقد خلفه تمامًا وينتظره فقط أن يلتفت ناحيته..

* * *

بعد هذه الليلة بأسبوع كان جاسر يجلس مع راشد وآدم في مكان لقائهم المعتاد.. كان زائغ النظرات بشكل ملفت، وقد انتشر السواد تحت عينيه وكأنه لم ينم منذ شهر، وقد برر ذلك أنها قلة نوم فقط، ونظر إلى راشد وقد تذكر شيئًا قائلًا:

- راشد أريد منك خدمة أخيرة، هناك أحد الأشخاص الأجانب الذي أريدك أن تتحرى عنه، فربما كان له دخل في الموضوع.

- مَن ذلك الأجنبي الذي تتحدث عنه، وكيف توصلت إليه يا جاسر؟

- لا وقت للأسئلة يا راشد، لقد تذكرت اسمه عندما كنت في مقابلة مع خطيبة أحمد، التي قالت لي اسمه ولكني نسيته حتى تذكرته بالأمس فقط.. هل في ذلك مشكلة لديك؟

نظر إليه راشد وقد أدهشته تلك العصبية التي يتحدث بها:

- ماذا بك يا جاسر؟إني أشعر وكأن هناك شيئًا ما يشغل بالك في الآونة الأخيرة.. فلتدعك من هذه القصة، ولننتظر التحريات..

قاطعه جاسر في حدة وهو يناوله اسم الشخص الأجنبي الذي وجده على صورة الشيك:

- لا لن أنتظر شيئًا، أريد فقط التخلص من هذا الموضوع.. هل ستساعدني أم لا؟

تناول راشد الورقة من جاسر الذي يبدو أن شيئًا ما يفقده أعصابه فبدا أشد توترًا وعصبية ونظر في الورقة قائلًا:

- جيمس إدوراد.. سأتحرى لك عن هذا الاسم، وأتمنى أن نصل إلى شيء ما بدلًا من الهواجس التي تكاد أن تقضي عليك، فلقد أصبحت شديد العصبية في الفترة الأخيرة.

- فلتعذرني على حدتي يا راشد، إنها فقط قلة النوم في الفترة الأخيرة، بسبب تلك الكوابيس التي أصبحت تراودني..

- لا عليك.. ماذا تريد أن تعرف عن صاحب هذا الاسم؟

- كل ما تستطيع معرفته عنه يا راشد.. جنسيته.. إقامته.. هل لازال في القاهرة أم سافر إلى بلده؟مواعيد سفره من وإلى مصر.. ما طبيعة عمله تحديدًا؟ فترة مكوثه في البلاد.. ومتى كان هنا آخر مرة؟

- إن ذلك يستلزم بعض الوقت..

- لك كل الوقت يا راشد.. لك كل الوقت.

بدا جاسر شاردًا متعبًا مما أقلق آدم فسأله:

- جاسر.. أتعاني من خطب ما؟ هل أنت مريض؟

- قلت لك إنها قلة النوم.. أنا تقربيا لا أنام، وإذا نمت تنتابني تلك الكوابيس المرعبة، التي تأتيني في شكل مخيف.

نظر إليه راشد متسائلًا؟

- كوابيس؟

سأله آدم بدهشة:

- ما معنى أنها تأتي في شكل مخيف يا جاسر؟

- أنا أعاني من رهاب الأماكن المغلقة، وكذلك من المياه، أحيانًا أشعر وأنا نائم وكأني في صندوق.. وأن هناك أشخاصًا يأتون ليقيدوني من يدي ويرفعوني ليضعوني داخل صندوق يشبه توابيت الفراعنة، ثم يقومون بإغلاق الصندوق عليَّ، مع ترك عدة ثقوب لأتنفس، وأظل أصرخ وأصرخ دون جدوى، وبعد أن أتعب من الصراخ يأتون مره أخرى ثم يرفعون الصندوق ليلقوه في النيل، وأشعر كأني أختنق.. فأصرخ والماء يتسلل إليَّ رويدًا رويدًا من تلك الثقوب.. والتابوت يغرق بي، وأنا أشعر أن الماء يغمرني داخل صندوق الموتى هذا.. وتملأه المياه ببطء.. حتى تصل إلى رقبتي فأشعر ببرودتها التي تكاد أن تجمد أطرافي.. فأكتم أنفاسي خوفًا من تسلل الماء إلى رئتيّ.. وعندما أشعر أني على وشك الموت اختناقًا أتنفس بكل ما أوتيت من قوة ليدخل الماء بقوة إلى رئتيّ فأشعر بآلام انفجارها..

والمرعب أني لا أموت بل أظل أشعر بألم الاختناق دون حتى أن أصحو من النوم..

نظر إليه آدم مشفقًا وهو يقول:

- يا ساتر يارب.

- والأدهى أن هذا الكابوس تكرر ثلاث مرات حتى أصبحت خائفًا من النوم.

قال راشد بقلق:

- لست مرتاحًا لهذه الأحلام يا جاسر.. رأيي الشخصي أن تدع هذه القضية من الآن ولا تفكر بها.. أخاف أن يكون مصيرك كمصير أحمد.

التفت إليه جاسر بضيق قائلًا:

- ما علاقة ذلك بأحمد.. راشد لا تضخم الأمور، إذا كنت لا تريد مساعدتي فلا توجد مشكلة، أستطيع أن ألجأ لغيرك في موضوع الشيك هذا..

نظر إليه جاسر في شك وهو يسأله:

- شيك؟ أي شيك يا جاسر؟

ارتبك جاسر وهو يقول:

- شيك؟ ! هل قلت شيك؟ أقصد تلك الورقة التي معك، يبدو أني بحاجة إلى النوم..

نظر إليه آدم مشفقًا:

- جاسر ما رأيك لو أتيت للإقامة معي لبعض الوقت في بيتي؟فزوجتي وأولادي في زيارة لأهلها لمدة أسبوعين.. فلتأت معي..

نظر جاسر لساعته بضيق قائلًا:

- وما السبب؟

- لأني أراك متعبًا وتحتاج من يكون بجوارك، وماجد لن يعود قبل فترة كبيرة، وبصراحة..لست مرتاحًا تمامًا لحالتك في هذه الفترة وأخشى أن يكون قد أصابك مس..

نظر إليه جاسر باستنكار:

- أصابني مس؟!

لم يتمالك راشد نفسه من الضحك وهو يقول:

- يقصد أنه يكون قد أصابك مس من الجن يا جاسر.. إنك تبحث في موضوع وجدنا أن فيه لعنة ما، وتصرفاتك قد أصبحت غريبة جدًا فعلًا لذلك نخاف عليك .

- ما هذه التخاريف التي تتفوهان بها؟اعذراني فأنا أحتاج للعودة إلى المنزل الآن.. ولا تقلقا فأنا بخير.. كل ما هنالك هو ذلك الصداع اللعين الذي أصبح ينتابني مؤخرًا

قالها وقام منصرفًا وراشد يراقبه وهو يرمقه بنظرة غامضة.. قبل أن يستوقفه قائلًا وهو يتصنع اللامبالاة:

- هل عرفت أن محاولة قتل قد حدثت في بيت أحمد منذ يومين؟

حاول جاسر إخفاء توتره وهو يسأل راشد:

- قتل؟

- نعم.. فلقد حاول أحدهم قتل أحد سكان المنزل الذي يسكن فيه أحمد.. يبدو أنه كان يبحث عن شيء ما في شقه احمد . فقلبها رأسًا على عقب حتى السطح نفسه وأثناء صعود أحد السكان لينشر ملابسه وجد أن هناك من يجلس على مدخل الشقة غارقًا في دمائه، وعندما اقترب منه قام سريعًا وحاول أن يهشم رأسه بيد خشبية كانت إلى جواره، وأصابه في رأسه وهبط سريعًا على السلالم ليجد امرأة جالسة أمام شقتها، فحاول أن يعتدي عليها بالضرب بعد أن حاولت استيقافه.. لكن المرأة صرخت لتستنجد بالأهالي ففرَّ هاربًا .

- وما أوصاف ذلك الرجل؟

- وفقًا لأقوال الشهود كان المعتدي طويل القامة ذو شعر بني وشارب كث بني اللون ورأسه كانت تنزف بشدة ويبدو أن أحدهم سبقه في البحث وهرب منه .

- فلتبحث إذن في المستشفيات القريبة عن تلك الأوصاف فقد يكون ذهب لإحدها لعمل الإسعافات له .

- وهل كنا ننتظر هذه النصيحة؟ لقد قام الضباط بتمشيط كل المستشفيات والعيادات الخاصة القريبة، ولكن لم يسفر بحثهم عن شيء.. برأيك من هو الشخص الآخر الذي سبق ذلك الرجل يا جاسر؟

- أهناك شخص آخر؟

- لا أدري.. ولكن شعوري أن هناك شخصًا ما قد سبق ذلك الرجل وهو الذي أصابه في رأسه..

لم يدرِ جاسر لم لا يخبر راشد بكل ما حدث ولكنه تمالك نفسه وهو يرد عليه قائلًا:

- اسمعني يا راشد.. الخواجة الذي نبحث عنه يعتبر الشاهد الرئيسي في القضية، ولسبب ما لا أدريه كان يجعل مجدي يحتفظ بالتابوت حتى وقت قريب، ولا ندري ألا يزال التابوت مكانه مجهول أم أخذه الخواجة وفقًا لما أخبرتنا به زوجة مجدي.. المهم أن ما كان يبحث عنه الخواجة كان داخل المقبرة ولكنه لم يصل إليه.. ولسبب ما أدرك أن مجدي توصَّل إلى ما كان يبحث عنه، ولو ربطت علاقة أحمد بمجدي بخاله ستدرك كما أخبرتك من قبل أن خال أحمد قد أخذ شيئًا ما كان مهمًا لدى الخواجة، والذي كان يظن أنه بداخل التابوت ولكنه لم يجده، وعندما استولى أحمد وخاله على ذلك الشيء بدأت المفاوضات بين مجدي والخواجة من جهة، وأحمد وخاله من جهة أخرى، وقبل إتمام الصفقة أو حتى بعد إتمامها قتل مجدي بهذه الطريقة وظلت الصفقة مبهمة وكذلك من قبله خال أحمد الشيخ حسن مكتشف المقبرة.. فماذا يهم الخواجة ليبحث عنه؟إلا لو كان لدى أحدهم ما يجعل الخواجة يقتل للحصول على ما أراده..

رد عليه آدم:

- وماذا عن أحمد؟

- أحمد ليس له أي فائدة الآن، ولكن هو يبحث في مقتنيات أحمد، ويفتشها لأنه يبحث عن شيء ما.. أحمد فقط هو الذي يعلم مكانه..

وافقه راشد بإيماءة من رأسه:

- تحليلك منطقي جدًا وفي منتهى الذكاء يا جاسر.. وهو الأقرب للتصديق، ولا أخفي عليك أن هذا ما توصلنا إليه في الفترة الأخيرة ولكن سبقنا طرف ثالث وتوصل إلى ما كان يخفيه أحمد.. أليس لديك أي فكرة عن ذلك الطرف الثالث؟

- لا أدري ربما تصارع عصابات.. أو ربما بعثة أخرى تبحث عن ذات الشيء.. لا أدري.

- على العموم.. فلتأخذ حذرك يا صديقي لأني أشعر الأيام القادمة سوف تحمل لنا ما لم نكن نتخيله.

- نعم يا راشد.. هذا ما أنا متأكد منه.. أستأذنكما الآن..

تابعه راشد ببصره وهو ينصرف وهو يشعر في قرارة نفسه أن جاسر يخفي عنه شيئًا ما..

شيئًا سيغير مجرى الأحداث..

وللأبد..

* * *

أما جاسر فقد كان في أشد حالات الضيق والكآبة.. فلا أحد يعرف ما يدور في عقله.. فقد بدأ الصداع ينتابه في الفترة الأخيرة بصورة غير طبيعية.. بالإضافة إلى تلك الكوابيس التي تراوده، على الرغم من الاتفاق الذي أبرمَ بينهما.. وكأن الكوابيس الملعونة هي فقط ما يحاول أن يضغط عليه به لتنفيذ أوامره.. أو هكذا تخيل جاسر..

كان هناك صراع بين ما يدور في داخله.. وبين ما يحاول أن يصل إليه في هذه القضية المعقدة، ولكن آخر شيء كان يخطر بباله أن تقع قدماه في

تلك المصيدة.. كان يتمنى أن يجد من يمد إليه يد المساعدة.. ولكنه ربما لن يجسر حتى على طلبها..

كان الاتفاق أن تظل علاقتهما في السر.. كان الاتفاق هو أن يعفو عنه ويرحل من حيث جاء.. في مقابل بضعة طقوس ومتطلبات حتى ينهيا سويًا ما بدأه بعض الرعاع.. هكذا أطلق عليهم.. نعم سويًا ولكن هم ليسا سواء، فستكون العلاقة بينهما علاقة التابع بالمتبوع..

دخل جاسر إلى غرفته المغلقة بالمفتاح دون سبب مفهوم.. ولنفس السبب الغير مفهوم أصبحت الغرفة حاليًا عارية تمامًا إلا من سجادة بسيطة على الأرض.. وخلع نعليه وجلس عليها محدقًا في سماء الغرفة داخل ظلامها الأبدي منتظر رحلته اليومية..

* * *

استيقظ جاسر ونظر إلى هاتفه الذي لم يتوقف عن الرنين.. واندهش من نومته تلك على السجادة في الغرفة العارية.. وما لبث أن أجاب على الهاتف:

- راشد.. كيف حالك؟اعذرني فقد كنت نائمًا .

- نائمًا.. !!!، لقد أقلقتني عليك انا وآدم.. أين أنت يا رجل .

- ولم القلق؟ أنا في منزلي.. وأعتقد أني لم أغب فترة طويلة لكي تفتقدوني يا راشد .

- ماذا؟ كان بيننا ميعاد أمس.. أنسيت أنك من تلح عليَّ لأستفسر لك على المدعو جيمس إدوراد..

- ماذا؟ ميعاد ماذا يا راشد؟لقد قابلتك منذ عدة ساعات اليوم وأعطيتك وقتها الورقة واتفقنا على أن نتقابل غدًا الخميس.. ويبدو أنك بحثت سريعًا حتى وجدت الشخص المطلوب .

قال راشد بقلق واضح:

- الخميس؟اليوم هو السبت يا جاسر؟أنت قابلتني الأربعاء، ولكن اليوم هو السبت.. أمتاكد أنك في حالتك الطبيعية؟

ارتبك جاسر ولم يجد ما يقوله فهتف به راشد:

- جاسر هل تسمعني؟

- نعم.. نعم.. يبدو أني فقدت الإحساس بالأيام.. لا تقلق مجرد دور برد، يبدو أنه جعلني أنام ثلاثة أيام متصلة دون أن أشعر بالوقت.

- أواثق أنك بخير؟ألا تريد أي طبيب؟سآتي لزيارتك..

- لا تقلق..بخير، يومان وسأتحسن بإذن الله وسأوافيكم غدًا في الكافيه .

- إن شاء الله.. انتبه لنفسك ولا ترهقها كثيرًا .

- سأفعل، ولكن أخبرني هل توصلت لأي معلومات عن الأجنبي ؟

- إلى حد ما.. مجرد تواريخ دخول وخروج إلى البلاد، وهو موجود في القاهرة منذ أكثر من شهرين ومعه إقامة لمدة ستة شهور أخرى ولكننا لا نجده في العنوان المسجل في القنصلية..

- هل يوجد لديه أي أرصدة بالبنوك؟

- أرصدة؟لا أعلم.. بل لا أعلم سر إلحاحك بالبحث عن هذا الرجل.. فلتخبرني الحقيقة يا جاسر ربما كان...

قاطعه جاسر قائلًا:

- في القريب يا راشد في القريب.. أستاذنك الآن فلازلت متعبًا من مرضي هذا..

وأغلق الهاتف.. ثم نظر حوله.. وجد أنه لازال في الغرفة المغلقة لمدة أكثر من اثنين وسبعين ساعة.. اثنان وسبعون ساعة لا يدري كيف قضاهم على تلك السجادة دون استيقاظ.. دون أكل أو شرب.. دون وضعية مريحة وكأنه كان تحت تأثير مخدر ما..

كان الصداع لا يزال في بدايته.. أخذ يتذكر أشياء بسيطة.. كانت هناك كلمات تدور في عقله، فخرج من الغرفة سريعًا ليأتي بورقة وقلم ليسطر عدة سطور تتراقص أمام عينيه وكأنه يقرأ ما مرَّ به خلال الساعات الماضية كانت عدة جمل غير مرتبة بالمرة، وليس لها أي علاقة ببعضها البعض، ولكنه كان يريد أن يخطها لسبب ما:

(هو مولاي الأمير «خا أم واس»حاكم منف وكاهن بتاح الأعظم).

(يا من تسكن خلف الأبواب المغلقة).

(فستفتح فمك أيها الملك بكلمات تحوت وكتابه المقدس).

(يا من محوت ذكراك فداء للآلهة.. فلتتمجد للأبد يا (أم تب وا سو).

أمسك جاسر رأسه مرة أخرى محاولًا تذكُّر الاسم الأخير.. أحس أن الصداع بدأت تزداد وتيرته.. وكان هناك من يصارعه بداخل رأسه وهمَّ

أن يصرخ (كفى) ولكن دقات متسارعة على باب المنزل جعلته يفتحه فجأة ليرى منى خطيبة ماجد وهي تنظر إليه مذهولة:

- أين أنت يا جاسر منذ يومين، وأنا أحاول الاتصال بك لقد خشينا عليك كثيرًا

- أهلًا يا منى تفضلي بالدخول أولاً..

دخلت منى إلى الشقة المغلقة نوافدها بإحكام وهي مندهشة من سوء حالة جاسر والجو المحيط به، فبادرته قائلة:

- ماذا بك يا جاسر ؟ولماذا تغلق جميع النوافذ هكذا؟!الجو خانق عندك، وما تلك الرائحة؟ألديك قط بالمنزل؟

- قط؟لا بالطبع، ولكن ربما تعلقت تلك الرائحة ببعض ملابس..

- أي ملابس؟ ماذا بك يا جاسر؟ لقد حاول راشد الاتصال بك أكثر من عشرين مرة خلال الأيام الماضية وآدم وأنا أيضًا.. لقد قلقنا عليك بشدة.

- لا عليك.. إنها مجرد نزلة برد جعلتني أظل في السرير طيلة اليومين الماضيين .

- لا أظن.. إن لديك شيئًا ما تخفيه، لقد أخبرني رلشد أنك أصبحت غريب الأطوار الأسبوع الماضي.. أخبرني.. ألديك ما تخفيه؟

ألقى جاسر بنفسه على أقرب مقعد قائلًا في إرهاق:

- منى.. بالله عليك..لست مستعدًا للدخول في مهاترات أو حديث لا طائل منه.. قلت لك إني متعب فقط وأريد الراحة .

جلست منى هي الأخرى وهي تهتف في عصبية:

- يبدو أنك تريد الاستمرار وحدك في هذا الموضوع..

هتف جاسر وقد فقد أعصابه:

- أي موضوع؟ لماذا تصرون جميعًا أن هناك شيئًا ما أخفيه، لماذا؟

قاطعته منى قائلة:

- لا تصرخ يا جاسر.. فلتنظر إلى المرآة، انظر إلى عينيك وأنت تعلم أنك لست بخير.. أنت حر.. لقد جئت فقط لأطمئن عليك وأخبرك أن خطيبة أحمد قد اتصلت بي أكثر من مرة لتخبرني أن هناك عدة أشياء قد طرأت على موضوعنا هناك، إذا كنت لا زلت تتذكره.

قال لها جاسر في برود:

- وما لديها لتخبرنا به؟ لقد أخبرتني هي وعمها كل ما نريد معرفته هذا كل ما لديهما أو هذا ما يريدان فقط إخبارنا به، إنما الأشياء المهمة هما يحتفظان بها لنفسيهما، وكأنهما فقط لديهما الحل السحري لتلك المصيبة، وأنا على تمام الثقة أنها لن تتصل بنا إلا إذا كانت هناك نكبة ما لا يستطيعان التصرف بها.

- يبدو الأمر كذلك فعلًا..

- سوف أحادثها غدًا فأنا الآن متعب وأود أن أستريح..

لم تتمالك منى نفسها من الدهشة من ذلك الفتور الذي يتعامل به جاسر مع الموضوع وكأنه لا يهمه، ولكنها بادرته قائلة:

- حسنًا.. سأذهب الآن ولكن لا تنسى أن تخبرني ما الذي حدث.

- إن شاء الله.

وغادرت منى المنزل، أما جاسر فعاد مرة أخرى إلى غرفته الملعونة، وذهب معها مرة أخرى إلى عالم آخر.

* * *

لا يدري جاسر كم مرَّ عليه في النوم، ولكنه شعر بحركة ما إلى جواره، فحاول أن يفتح عينيه فلم يستطع، فلقد كان ممددًا على طاولة خشبية حاول أن يرفع يده فوجدها مقيدة إلى جواره بقيد حديدي مثبت في الطاولة وكذلك قدميه.. حاول أن يقاوم ولكن دون جدوى..

أحس بالرعب والفزع يتملكه.. ويبدو أن محاولاته قد لفتت انتباه أحدهم، فاقترب منه هامسًا في أذنه بكلمات غير مفهومة زادت من فزعه أكثر فما لبث أن ضحك ذلك المجهول ضحكة هستيرية تبعتها ضحكة أنثوية شعر جاسر أنه يعرفها..

مدَّ المجهول يده لينتزع العصابة من على عينيّ جاسر، ولأول مرة يفتح عينيه على آخرهما ليفاجأ بمصباح كهربي فوق رأسه تمامًا، مماأصابه بعمى مؤقت فأغلق عينيه بسرعة ثم عاد ليفتحهما ببطء..

حاول أن يتكلم ولكن لم يخرج أي صوت منه، بل لم يستطع حتى أن يفتح فمه، وكأنه تحت تأثير مخدر ما أو تحت تأثير سحر ما..

أدار بصره في الغرفة محاولًا أن يعرف أين هو، كان ممددًا على تلك الطاولة وبجوارها منضدة أخرى تراصت عليها عدة أدوات، كانت أغلبها أدوات طبية من مشارط ومقصات جراحية ومنشار طبي..

وكان أحدهم منكفئًا على الطاولة يقوم بتعبئة حقنة ما موليًا ظهره إليه.. وبجواره كانت هناك فتاة ترتدي على رأسها قناعًا أشبه بإله فرعوني..

اقتربت منه الفتاة وهي تضحك قائلة:

- لا تقاوم يا عزيزي.. فقد أصبحت فريستنا الآن.. مرحبًا بك في عالمنا وبعد قليل سوف تدخل بقدميك عالمًا آخر لم تتخيله حتى في أحلامك.

شعر جاسر أن هذا الصوت مألوف لديه، وحاول أن يتذكر صاحبته ولكن دون جدوى، وكأن شريط الذكريات لديه قد تم محوه.. بل لقد نسى تقريبًا من هو، ومن أتى به إلى هنا..

أشارت الفتاة ذات القناع الفرعوني إلى الرجل المجهول بإشارة من يدها فاقترب منه ليبدو هو الآخر يرتدي ذات القناع، فاقترب منه أكثر وهو ممسكًا بحقنة في يده..

حاول جاسر أن يقاوم ولكن دون جدوى، والرجل يضحك أكثر، وهو يغرز الحقنة في ذراع جاسر، الذي بدأ في الانتفاض بمجرد أن بدأ سريان المادة في دمه..

تحدثت الفتاة بكلمات غريبة إلى الرجل، فاستدار للمنضدة ليحضر ما أمرته به، أما هي فقد اقتربت من أذن جاسر هامسة:

- لا تقاوم.. إن ما حقناك به من محلول هو فقط ليزيد عذابك.. فمع كل لمسة من الإبرة سوف تشعر وكأن خنجرًا مغروزًا في جسدك.. هذه لعنتك، أنت أردت ذلك فلا تلم إلا نفسك، أعدك أن صوتي سيكون آخر ما ستسمعه بحياتك..

والتفتت للرجل تتحدث معه بكلمات غير مفهومة.. أما جاسر فبدأ يشعر بآلام فظيعة كما لو كانت عشرات السكاكين تمزق أحشاءه، فتزيد مقاومته أكثر فأكثر، وكلما زادت مقاومته كانت يداه تدميان من تأثير القيد الحديدي، وكلما أدمت أكثر كانت آلامه تزيد ودماؤه تنزف أكثر.

اقترب المجهول من جاسر الذي كاد قلبه أن يتوقف عندما أبصر في يده إبرة لا تزيد عن خمسة عشر سنتيمتر، أعطاها للفتاة وأمسك برأس جاسر بكل قوة ووضع قيد حديدي على جبهته، وبثبته إلى المنضدة التي كان ممددًا عليها، وقام بتثبيت جفون جاسر في حاجبيه عن طريق لاصق طبي لتصبح مفتوحة على آخرها.. مما جعل جاسر يحاول أن يصرخ، ولكنه اكتشف أن فمه مغلق وكأن شفتيه قد التصقا ببعضهما..

انتفض جاسر بخوف ورعب عندما اقترب الرجل من أذنه وهمس بكلمة ما، مما جعل الرجل ينفجر ضاحكًا، وبكل هدوء قام بإدخال طرف الإبرة إلى أذن جاسر الذي انهارَ في البكاء الذي تحول إلى صراخ مكتوم حين بدأت الإبرة تخترق أذنه..

كان ألم جاسر يفوق احتماله وخاصة بعد أن فقد حاسة السمع في أذنه، ووقتها امتدت يد الفتاة لتمسك كتف الرجل وتتحدث إليه، فسحب الإبرة وتوجه إلى الجهة الأخرى ليقوم بنفس العمل..

ضحكت الفتاة وهي تنظر لجاسر:

- لا تخف يا جاسر لماذا المقاومة؟ هذا عالمك الذي اخترته.. أنت من دخلته بقدميك، هذا لا شيء أمام ما ستراه.. هنا الجحيم الذي لم يخطر ببالك أبدًا، لن يستطيع أحد أن ينقذك من مصيرك..

في حين قام الرجل بنفس العمل في الأذن الأخرى، وقتها ساد السكون التام في الغرفة لجاسر.. ولكن الآلام كانت رهيبة فوق الوصف، وقد بدأت الغيبوبة تكتنف عقله..

كم كان يتمنى أن يفقد وعيه، وكم تمنى الموت وقتها.. كانت كل ذَرَّة في جسده تنتفض.. كانت الدماء لا زالت تنزف من أذنيه بغزارة.. كان السكون يغلف كل شيء حوله إلا ذلك الصوت المنبعث من أعماقه.. صوت تلك الآلام الرهيبة التي يشعر بها.. ولم يكن كل ذلك إلا مجرد بداية فقط أدرك ذلك حينما ظهر الرجل المجهول مرة أخرى وفي يده نفس الإبرة..

لم يقوَ على الحراك.. لم يقوَ على الصراخ.. بل لم يقوَ على المقاومة.. كان يجهل فقط أين سيغرس الإبرة القاتلة هذه المرة، ولم يطل التساؤل كثيرًا فقد أجابته الفتاة وكأنها تعلم ما يفكر به.. أجابته بإشارة واحد من إصبعها على عينها، ففهم أن الدور القادم على عينيه.. فدخل جاسر في نوبة رعب هستيرية مما أثار ضحك الفتاة والرجل وجعلهم يشعرون بنشوة عارمة، وبالفعل اقترب بسن إبرته الملعونة من عين جاسر المفتوحة على آخرهما بالشريط اللاصق.. وغرزها بكل قوة..

ودوى في الغرفة صراخ رهيب..

* * *

انتفض جاسر مفزوعًا وهو ينهض ولا زال يصرخ بهستيريا ممسكًا بعينيه، وفوجئ أنه لا زال في غرفته على تلك السجادة الصغيرة التي افترش بها

أرضية الغرفة، فتحسس أذنيه وعينيه وجسده.. فحمد الله أنه لا يزال يري ويسمع..

أدرك وقتها أن ما أصابه كان بفعل بدزميران.. وفوجيء به بجواره في هيئته الضبابية.. فقفز جاسر إلى نهاية الغرفة صارخًا بهستيريا:

- لماذا تفعل ذلك؟ لقد كنت على وشك الموت..

وبكل هدوء نطق الكائن الغريب في عقل جاسر قائلًا:

- لتعلم كيف أتحكم بحياتك.. لتعلم كيف أسيطر على كوابيسك .

- نعم لقد علمت ذلك من قبل.. وعلمت كل ألاعيبك، ولكن لم يكن ذلك اتفاقنا.. أنت بذلك تدفعني إلى الجنون.. لا يزال ألم الإبرة في أذني..

- أنا أريدك أن تنظر إلى ما هو أكثر..

قالها الكائن وهو يشير إلى يديّ جاسر وقدميه، فنظر جاسر برعب إلى أطرافه فوجد أن يديه مدممتان من أثر القيد الحديدي داخل الكابوس.. ونظر إلى مكان الحقنة فوجدها تكاد أن تنزف..

- لماذا؟ أنا الوحيد الذي أستطيع مساعدتك وأقسمت لك إني سأبذل كل ما في وسعي لإرضائك .

- أنا لا أريد مساعدة من أحد.. أنت من تريد أن تساعد نفسك..

- لا لم يكن ذلك الاتفاق الذي تم بيننا في هذه الغرفة منذ..

انتفض المخلوق الغريب إلى جدار الغرفة مما جعل جاسر يجثو على ركبتيه في رعب.. وقد صرخ فيه المخلوق قائلًا:

- أنت لم تفعل أي شيء.. أنت هنا في الغرفة لا تتحرك..

أمسك جاسر بأسه في ألم وهو يتوسل إليه:

- بالله عليك لا تصرخ فصوتك يخترق أعماقي وكأنه خناجر تقطع أوصالي.

- حسنًا.. أنا أريدك أن تنهض وتبدأ في استكمال مسيرتك..

- ولكني مشوش.. مذبذب.. متوتر، ولا أعلم كيف وأين أبدأ؟ وكيف سأحصل على كل طلباتك؟

- سبق وأخبرتك.. ستزول الشرور عن كل من سببت لهم لعنات بمجرد تنفيذ كل أوامري..

- ولكن لعنتك أصابتني..

نظر إليه الكائن بتلك العينين الناريتين قائلًا باستنكار:

- لعنتي أصابتك!!!، تبًا لك أيها الإنسان.. أنت لا تعلم أي شيء عن لعنتي.. أنت لا تعلم ما أصاب غيرك.. ما أصابك لم يكن إلا كقشرة فقط..

إذا كنت تظن أن ما تراه في كوابيسك هو لعنتي فقط فأنت واهم.. فلتعلم أنه بمجرد إشارة مني ستتحقق كل كوابيسك.. أنا أتحكم بك وبعقلك وبجسدك.. أنا الآن داخل عقلك فقط.. هل تخيلت لو أصدرت أوامري إليك الآن ما سيحدث.. حسنًا سنرى..

تذكر جاسر وقتها أحمد عندما أخبره صارخًا وهو يشير إلى رأسه (أراه نعم هو هنا.. فقط.. هو قالها سآتي إليك.. انتظرني سآتي)، هنا تأكد أن

أحمد كان لديه حق في كل مخاوفه وأنه كان دائمًا يصدم رأسه في الحائط خوفًا من ذلك الكائن..

فوجيء جاسر بيده تمتد إلى المكتب الموجود بغرفته لتفتح أحد الأدراج وتتناول الخنجر الذي وجده في منزل أحمد أثناء التفتيش.. سكت جاسر في أول الأمر مطمئنًا نفسه أنه ربما كان داخل كابوس من كوابيس ذلك الملعون، ولكن يبدو أن الكائن علم ما يفكر به فقال له:

- أنت لست داخل كابوس، أنت في عالمك الواقعي أيها الإنسان، وهذا فقط لتعلم أني أتحكم في عقلك.

فزع جاسر أكثر وأكثر عندما قام بإمساك الخنجر بيديه رغمًا عنه.. حاول أن يقاوم دون جدوى مرة أخرى، وحتى عندما بدأ في الصراخ لم تطاوعه يداه حتى غرزت مقدمة الخنجر في فخذه مما جعله يطلق صراخًا حادًا:

- كفى بالله عليك لقد علمت قدرتك.. ارحمني..

- إذن فلتنفذ كل أوامري حتى أرحل من عقلك.. مهما بلغت صعوبتها أنت من وضعت قدمك في هذه اللعنة، وأنت فقط الذي يجب أن تساعد نفسك أيها الإنسان.. وأحذرك مرة أخرى.. أنت وحدك.. كل ذلك مقدر لك وحدك.. لا تخبر أحدًا.. لا تطلب مساعدة من أحد.. سأراقبك دائمًا.. ..داخلك في كل وقت .

- نعم يا سيدي.. لن يحدث.. لن يحدث.

- والآن لتنفذ ما سأقوله لك وتلتزم بكل أوامري.

* * *

طوال الطريق كانت تتداعى في ذهن جاسر عشرات من التساؤلات.. منذ أن استقل سيارته سائرًا على غير هدى..

عشرة أيام تمامًا منذ أن دخل هذا الغريب حياته.. عشرة أيام قلبت حياته رأسًا على عقب.. كان يظن أن اللعنة بعيدة عنه وأنها لن تصيبه.. ولكنها أصابته بسبب هذا الصندوق الملعون وتلك البرديات المهترئة التي وجدها في منزل أحمد الذي أصابته اللعنة أيضًا..

ربما لم تكن كبقية اللعنات كما علم ولكنها أصابته بشكل ما..

ذلك الشكل الرهيب الذي شعر به في الغرفة..

نعم، فعند رجوعه مساء ذلك اليوم والذي احتفظ فيه بالصندوق وبعد ذهابه للنوم.. استيقظ مفزوعًا تحت تأثير كابوس ما، فوجد شقته ما زال يكتنفها الظلام، ولكن كان ظلامًا مختلفًا.. فظلام الكهرباء تستطيع معه أن تبصر شيئًا ما في الغرفة، حتى إنك تستطيع أحيانًا أن تبصر يديك أو الحائط، ولكن الظلام كان يحيط به وكأنه غرق في بحر أسود.. مجرد ظلام سرمدي..

لقد كان العرق يتصبب من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه، وضربات قلبه قد تسارعت بشكل غير طبيعي.. حاول أن يبصر أي شيء بغرفته حتى وجد أخيرًا تلك العينين اللتين تحدقان فيه وكأنهما تخترقان روحه.. فتح عينيه أكثر ليتأكد أنه لم يزل في تلك الكوابيس الملعونة، ولكن تلك العينين تحولت إلى لونٍ أحمر دامٍ وكأنهما قطعتان من الجحيم..

كان هناك كائن ما.. لا يستطع تحديد ملامحه أو وجهه أو حجمه.. مجرد شيء أسود في سماء الغرفة.. شيء أسود مغطى بأكمله بشعر حالك غريب يخترقه بنظراته..

أغلق عينيه بقوة.. وحاول أن يقرأ ما يحفظه من آيات القرآن.. ولكن لرعبه الشديد لم يتذكر حرفًا واحدًا..

ارتعد جسده أكثر.. حاول أن يخرج من الغرفة، ولكن لم تطاوعه قدماه وكأن شللًا ما قد أصابه.. لايزال جالسًا هناك في ركن الغرفة، إنه ذلك الشيء الهلامي الأسود الذي كان على حافة سريره قبل النوم، وقتها ظن أنها مجرد أوهام..

لكن الأوهام تحولت إلى أسوأ كوابيسه.. لم يكن يظن أن ما يسعى وراءه أتى إليه ليجره إلى تلك اللعنة السوداء.. تحير في أمره وفي موقفه، شعر بمن يخترق عقله ويخاطبه فأغمض عينيه بقوة منصتًا إليه :

- لن تتحرك أيها الإنسي.. لن تتحرك أو تهمس إلا بإذني.. أنا من ساقته الأقدار السوداء للقدوم إلى عالمكم المشوَّه..

هكذا سمع جاسر صوت ما داخل عقله.. لم يكن الصوت مسموعًا، ولكنه كان يشعر به داخل عقله فقط.. تمامًا كما أخبره أحمد من قبل عندما قال له إنه دائمًا في عقله.. حاول أن يتكلم لكن لسانه عجز حتى عن النطق من شدة الرعب الذي يشعر به.. استمر الكائن في الحديث:

- أنا الخالد في الزمان.. أنا من أتيتك عبر أسوار الماضي.. أنا من أتيتك خلف جبال الرهبة والخوف.. أنا من أسكن خلف الأبواب المغلقة.. أنا من أسكن خلف الجدران الصماء.. أنا حارس السر المقدس.. حارس

برديات الإله تحوت.. أنا من أتيتكم من أغوار الماضي السحيق لأقتص منكم لعناتي المقدسة..

تمالك جاسر بعض من رباطة جأشه.. وقد أدرك أن الغريب يحدثه بلغة غريبة ولكن لدهشته كان يفهم تلك اللغة جيدًا.. رغم أنه لم يسمعها مطلقًا.. كان الظلام لا يزال سائدًا في كل الحجرة حتى عندما حاول جاسر أن يرفع يده لينظر إليها، ولكنه كان كأنه في قبر سحيق لا يصل إليه أي صوت.. سكون تام لا يقطعه سوى أنفاسه فقط.. ابتلع لعابه بصعوبة قائلًا:

- مهلًا.. أنا لا أفهم كيف تتحدث بهذه اللغة.. بل كيف أحدثك وأنت في عقلي فقط.. وكيف أتكلم بلغة لم أسمعها من قبل؟

- فلتخرس أيها الإنسي.. أنت لست في مجال لمناقشتي، بل أنت مجبر على أن تكون عبدًا لي.. أنت من وضعت نفسك داخل دائرتي المقدسة.. أنتم من أيقظتم اللعنات الهائمة عبر الزمان.. أنا من الآن سيدك وعليك الإنصات لي جيدًا وإلا ستصاب بتلك اللعنة الأبدية..

- ولكني لم أفعل شيئًا يا.. يا سيدي.

- أنت لم تفعل شيئًا بعد، ولذلك لم أصبك بلعناتي المقدسة حتى الآن.. أنت مجبر على إعادة الأمور إلى مسارها..

- سيدي إن كنا نتحدث عن موضوع واحد.. فكل ما فعلته هو أني أحاول إخماد اللعنة التي ظهرت بمجرد فتح المقبرة.. إذا كانت هي المسببة لكل ذلك.. فأنا أريد مساعدتك وأريد مساعدة كل من تعرض إلى لعنتك المقدسة كما تقول.. فلماذا تصر على إصابتي بلعنتك؟

- لعنتي؟!، أنت لا تعلم شيئًا عن لعنتي.. لعنتي أصابت كل من فتح هذا الصندوق.. لعنتي أصابت كل من حاول أن يمتلك تلك القوة.. لعنتي تقترب من كل نفس تظن أنها تتحدى السر المقدس.. لعنتي سلبت الحياة من النفوس المشوهة.. لعنتي أذابت جلد أحدهم ليصبح الميت الحي.. لعنتي أزالت العقل ليذهب بلا رجعة . هذه لعنة الأجيال الهائمة، صاحبة السر الأعظم يا من تجرأتم على هتك أسرارها ..

- أي سر يا سيدي.. ولماذا لم أصب بها كما تقول رغم أني الآن حامل هذا الصندوق والبرديتين؟

- لا تسأل أيها الإنسي.. أنت لم تُصَب باللعنة إلى الآن لأنك لم تشتهِ ما لغيرك.. لم تمد يديك إلى سر الكهنة المقدس.. لم تختَر الذهب إلى هذه اللحظة.. أنت يدي التي سأبطش بها..

- وطالما أنت بهذه القوة يا سيدي، فلماذا تحتاج إليّ؟

- أنا لا أحتاج إليك أيها الإنسي.. أنت من سيتضرع من أجل خدمتي ولن أخبرك كيف.. ولكني سآتي لك في كوابيسك.. سأظل داخل عقلك فقط.. لا تخبر أحدًا ولن تصيبك لعنتي.. لا تتحدث بسر الكهنة ولن تصيبك لعنتي.. لا تتحدث عن الصندوق ولن تصيبك لعنتي.. سر في طريقك وحافظ على السر الأعظم ولن تصيبك لعنتي.. فقط سأتنفس داخل كوابيسك.. سأنفث فيها شرور الزمان.. أيها الإنسي أنت لا تعلم ما السر الذي تسعون إليه.. فلتصبك اللعنة المقدسة إذا خالفت العهد أيها الإنسي..

- ولماذا؟ ؟

- كانت يد آدمية هي من تجرأت على هتك سر الكهنة المقدس وبيدك الآدمية سوف تجبر على إرجاع الأمور كما كانت..

- أقسم لك إني لم أفهم كلمة مما تقول؟ ما هو سر الكهنة ؟ وما هو الطريق المطلوب مني أن أسير فيه؟ وما هو السر الأعظم؟ وما هي اللعنة المقدسة؟ هل من المفترض أن أسير في هذا الطريق وأساعد نفسي دون أن أعلم..

- أنت تعلم ما في الصندوق.. أنت تعلم ما استولى عليه بني جنسك بطمع وجشع.. عليك أن تصلح ما أخطأتم فيه..

- كيف؟ كيف وأنت تطلب مني أن أفعل كل شيء بمفردي.. دون حتى مساعدتك..كيف سأتمكن من ذلك؟

- كل شيء ستعرفه في وقته أيها الإنسي.. يكفى أني سأعطيك شربة من ماء النيل الطاهر.. سأجعلك تقهر ثوابتك.. سأجعل المجهول معلوم لك.. سأجعل كل الغيبيات ثابتة لك.. سأطوي لك صفحة الزمان لتمر أمامك وكأنها لحظة تمر بين عينيك.. لترى ما ستعجز عن تصديقه.. ولتتكلم بلسان أبناء الآلهة.. لكني سأطمس على عقلك حتى لا تبوح بسر الكهنة المقدس..

- هل من المفترض يا سيدي أن أفهمك؟

- هذا يرجع لك أيها الإنسي.. التزم بأوامري وطقوسي.. ولتبدأ رحلتك المقدسة من المكان المنير.. لاستعادة برديات قداسة مجد كاهن المعبد المقدس.. خادم آتون وابن الإله الأكبر.. "امني نخت" وإغلاق مقبرته..

- أي مكان منير؟ ومن امني نخت؟

- هناك أيها الإنسي.. حيث جريمتكم الملعونة..

- أي مكان منير؟

- ابحث في عقلك المحدود أيها الإنسي..

- سأعمل جاهدًا على ذلك يا سيدي، ولكن كيف سأراك؟

- أنا في الغرفة المقابلة لك دائمًا.. حارس ما تبقي من الصندوق المقدس، فلتخرج جميع أشيائك منها، ولتأتِ إليَّ بما كان يقبع داخل هذا الصندوق.. ولتحضر كل مساء في الميعاد المحدد.. وكن على ثقة أني أتابعك.. فأنا في عقلك أيها الإنسي..

- نعم يا سيدي.. ولكن كيف أناديك؟

- ستتلو صلواتك ولتهمس باسمى الخالد عبر فجوات الزمان ليحضر حارس الكنز المقدس.. بدزميران.. بدزميران..

انتبه جاسر أنه في هذه اللحظة يقف أمام الكافيه المملوك لآدم صديقه.. لا يعلم كيف وصل إلى هنا برغم شروده طوال الطريق، وتذكره لتلك الأحداث ولا زالت كلمة المكان المنير تتردد في عقله مع خلفية بدزميران في ذات الوقت مما جعله يتاكد انه فى طريقه لفقد عقله بأسرع مما تصور..

* * *

هتف الدكتور نجيب ألبير عالم الآثار قائلًا:

- لا أدري يا أستاذ جاسر لماذا تصر على المضي في الحديث عن هذا الكتاب الملعون بالرغم من أني حذرتك من قبل؟

- لا لا يا دكتور نجيب ليس الأمر كما تظن، ولكني تذكرت هذا الأمر بمجرد رؤيتك في مكانك المعتاد في الكافيه، فبعد لقائنا السابق طالعت بعض الكتب، وكلها لم تفدني مثل علم حضرتك يا دكتور، وتذكرت كم أثارت هذه الكتب حيرتي جميعًا .

- هذا طبيعي، فلا يوجد شخص على وجه الأرض حاليًا يستطيع أن يجزم لك عما إذا كان هذا الكتاب حقيقيًا أم لا..

- ولكن هذا ليس حديثك معنا في السابق .

- أنت الذي لم تفهم حديثي يا سيد جاسر، فقد قلت إنه كان هناك عدة دلائل على وجود الكتاب، وكذلك على اختفائه أو حرقه ووجود بعض البرديات التي يشتبه بها لا ينفي أو يؤكد وجود الكتاب من عدمه.. فكل من يجد سرًا في الحياة الفرعونية ينسبه إلى الكتاب..

- ولكني متأكد فعليًا من وجود هذا الكتاب .

نظر دكتور نجيب لجاسر باستنكار قائلًا:

- متأكد؟!!، ومن أين أتى إليك هذا التأكيد أيها الشاب؟

تلعثم جاسر وهو يجيبه :

- لا أقصد ذلك بالمعني الحرفي، ولكني وجدت شواهد تدل على ذلك وارتباط ذلك بالكاهن امني نخت.. بالمناسبة يا دكتور من هو ذلك الكاهن؟

نظر إليه دكتور نجيب قائلًا بدهشة :

- من؟!!، من" امني نخت " هذا؟ وفى أي عصر عاش؟ هناك آلاف من الكهنة في التاريخ الفرعوني يا جاسر ولا أعتقد أني سمعت هذا الاسم من قبل.

- ولكني أعتقد أن هذا الاسم مرتبط بشكل ما بكتاب تحوت .

- تعتقد؟!! يا بني إن معظم كتب التاريخ مليئة بالترهات، فأي مؤلف يريد وضع أي كلام غير صحيح أو وفقًا للأهواء الشخصية يكتبه ويصنف أنه كتاب في التاريخ الفرعوني..

- لكني أعتقد أن هذا الكاهن هو من اكتشفت مقبرته في الصعيد مؤخرًا .

- تعتقد.. ثانية ؟!!

- لا تؤاخذني.. ولكن يا سيدي هل تعلم ما المقصود بالمكان المنير؟

- المكان منير، هذا يا ياولدي ما كان يطلقه الكهنة على مقبرتهم المقدسة، فقد كانوا يعتقدون أن هذا المكان هو بداية صعودهم إلى الحياة الأبدية .

- نعم.. نعم.. المكان المنير هو المقبرة نعم.. كيف لم أنتبه إلى ذلك.

- تنتبه إلى ماذا؟

- لا عليك يا دكتور نجيب لقد وضعت يدي على شيء كنت أبحث عنه فقط .

- لن أنصحك مرة أخرى ولكن حاذر يا ولدي .

- إن شاء الله..

وترك "الكافيه" وهو على هدى من طريقه لأول مرة منذ وطأت قدماه تلك المغامرة الملعونة.. وقبل أن يركب سيارته تذكر موضوع هند فأمسك الورقة التي أعطته إياها منى، واتصل بها وانتظر حتى أجابته من الناحية الأخرى.. بدءا في الحديث المعتاد ولكنه دخل في الموضوع مباشرة :

- أستاذة هند لقد علمت من الدكتورة منى أنكِ تريدينني في موضوع هام وعلى وجه السرعة، وأن هناك العديد من الأحداث التي حدثت بمجرد مغادرتنا للقرية، فهل لي أن أعرف ما هي؟

- إذن طالما دخلت في الموضوع مباشرة فلتمهلني دقيقة، لأن عمي هو من يريد أن يخبرك.

- وما شأن عمك بي؟

وقبل أن تجيب أخذ عمها الهاتف قائلًا:

- السلام عليكم يا أفندي، سأدخل في الموضوع مباشرة.. وأرجو أن تعتبر الأمر جديًا .

- كلي آذن صاغية .

- الشيخ إلهامي يريد أن يراك .

- وما الداعي لحضوري، وكيف وصل الموضوع إلى الشيخ إلهامي. وعن طريق مَن، ولماذا يهتم بي من الأساس؟

- اسمعني جيدًا.. فليس هناك وقت، أنا أعمل مع الشيخ إلهامي، وقد قمت بنقل كلامك حرفيًا له بعد مجيئك لدينا، ولكن منذ عدة أيام حدث حادثٌ غريبٌ للشيخ إلهامي.

- حادث؟!

- نعم الشيخ في أشد حالات المرض ولا أخفي عليك هو في أيامه الأخيرة كما يخبرنا وأحيانا يظل في غيبوبة لعدة ساعات نظن معها أنه سيفارق الحياة، ولكنه متشبث بها.. وعند إفاقته يطلب منا ضرورة إحضارك بأي شكل..

- لماذا؟

- لا أعلم ولكن هو يصر على رؤيتك بأي وسيلة..

- لا أعلم إن كانت ظروفي ستسمح بالحضور أم لا؟ ألا يستطيع مكالمتي هاتفيًا؟

- قلت لك أن الموضوع هام لذلك لايريد من أي أحد غيرك سماعه..

- إذن انتظرني فربما أحضر إليكم في نهاية الأسبوع، فعليَّ أن أزور المقبرة أولًا .

- أي مقبرة؟

ندم جاسر على التفوه بتلك الكلمة، ولكنه تدارك نفسه على الرغم من تأكده أن الطرف الآخر قد وعي جيدًا ما يقصده جاسر فتدارك القول:

- أقصد أني سأزورها قريبًا لتحضير موضوع صحفي عن المقابر الفرعونية في الصعيد.

تجاهل الحاج مراد عم هند قول جاسر وهو يقول له :

- سننتظرك يا أفندي، ولكن أقسم لك إن حدث..

وقبل أن يكمل تهديده أغلق جاسر الهاتف في وجه الرجل.. وركب سيارته متوجهًا إلى بيته.. وهو لا يزال يفكر في كلام عم هند، ولماذا يطلبه العجوز على وجه السرعة.. أيكون لديه ما يصرح له به قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ؟

* * *

عندما وصل جاسر إلى منزله وهبط من سيارته وجد عربة تقف بجوار المنزل تكاد تسد المدخل، لا يدري ما سر ذلك الشعور الغريب الذي انتابه عند رؤيتها مما جعله يدلف من الباب الخلفي للعمارة، ففوجئ بشخص ما يحادث بواب العمارة، ولم يكن ذلك الوجه غريبًا أبدًا على جاسر، ولكنه لا يتذكر أين رآه بجسده الذي يشبه أجساد المصارعين، وما إن رآه البواب حتى أشار إلى جاسر قائلًا لذلك الغريب:

- هذا هو أستاذ جاسر يا سيدي .

ترك الغريب البواب واتجه إلى جاسر، وحينما التفت إليه الغريب واقترب منه تذكَّره على الفور، فقد كان هو ذات الشخص الذي فاجأه في زيارته لبيت أحمد، وكان هو السبب في فقده الوعي بمجرد دخوله إلى الباب الذي كان جاسر متواريًا خلفه .

بالطبع لم يفكر جاسر وقتها إلا في الهروب، ولكنه تماسك نفسه مخفيًا دهشته حتى عندما اقترب الشخص إليه مادًا يده قائلًا بلهجة مصرية خالصة :

- أستاذ جاسر؟

- نعم.. مَن حضرتك؟

- أنا توم أليكس.. عالم في المصريات وأود الحديث معك في موضوع هام لو كان لديك وقت؟

- وما شأني.. بالمصريات؟

- مستر جاسر من فضلك الموضوع هام جدًا، وأود منك فقط أن تشاركني الرأي في بعض الأمور فاسمح لي إذا كان لديك متسع من الوقت هناك كافيتريا في آخر شارعك، سآخذ من وقتك خمس دقائق فقط..

- ولكني..

- خمس دقائق فقط يا مستر جاسر، ومن يعلم فقد يروق لك الأمر..

لم يفكر جاسر في الهرب منه أو التحجج بأي حجة وهمية، فها قد سنحت له الفرصة ليعرف من هو ذلك الشخص،وما سبب وجوده في بيت أحمد وكيف حصل على عنوانه؟ كان لكل منهم شيئًا ما يخفيه، فالأجنبي لم يعلم ما يخفيه جاسر، أما جاسر فلا يعلم أن مستر توم هو إيزاك مساعد «ديفيد» الأول..

وما لبثا حتى دلفا إلى الكافيتريا التي تقع في آخر الشارع الذي يقطن به جاسر وما إن جلسا وطلبا قهوة حتى ابتدره إيزاك قائلًا:

- مستر جاسر، هل لنا أن نتكلم بكل وضوح؟

- نتكلم بوضوح عن ماذا؟

- يبدو أنك لم تفهمني جيدًا، لقد أخبرتك أني أحد علماء المصريات وأمثل شخص ما لديه بعض الاهتمامات بآثاركم..

- وما شأني أنا في ذلك؟

- مستر جاسر من فضلك لا تدّعِ جهلك بالموضوع، فأنت تعلم جيدًا أننا نعلم كل شيء عن المقبرة وعن البرديات المفقودة، وعن الشيخ حسن ومقتله وكذلك مجدي ومقتله وحتى ما أصاب أحمد..

- فلنفترض ذلك، ماذا تريد مني بالضبط؟

- أرى أنك لا تعطي الموضوع أهميته سيد جاسر.. صدقني أنا أمثل أشخاص يبحثون عن تلك البرديات منذ فترة ليست بالقليلة، وأنت تبحث في ذات الموضوع.. فلماذا لا نكون فريقًا واحدًا.. وتأكد أنك لن تخسر معنا أبدًا..

- وما الذي سيعود عليَّ في هذه الحالة؟

- حياتك..

- حياتي.. !!، ماذا تقصد؟

- لا تسيء فهمي سيد جاسر.. فحياتك سوف تتغير إلى الأفضل.. إلى مزيد من الرفاهية.. وكل ذلك فقط لمجرد تبادلنا لبعض المعلومات التي قد تفيد الطرفين.. سنتحدث سويًا في الموضوع، وأنا على ثقة أن لديك ما قد يساعدنا جميعًا على إنهاء تلك الأمور..

- تكلم، كلّي آذان صاغية .

- نحن نعلم من تكون، ونعلم من يساعدك، ونعلم أنك كنت في زيارة لأحمد، بل لقد ذهب أخوك إلى زوجة مجدي للاستفسار عن موضوع البرديات والمقبرة.. ولكن لا أنت ولا هم توصلتم لأي شيء لكنك لا تزال مثابرًا في الوقت الذي سافر فيه أخوك في رحلة علمية لخارج البلاد، وقد تكون اقتربت مما تبحث عنه، فلماذا لا تنضم إلى فريق بحثنا، وكن على ثقة أن عيوننا حولكم في كل مكان..

- يبدو أنك على دراية بكل أفراد الأسرة.. عمومًا أنا لست مهتمًا بأي نوع من الآثار كما تظن، كل ما في الأمر أن...

قاطعه إيزاك قائلًا:

- البرديات.. أنت تبحث عن البرديات.. لقد تفرقت البرديات يا مستر جاسر ولا أخفيك سرًا فقد اقتربت جدًا من الحصول عليها من أحمد وقمت بدفع مبلغ باهظ لذلك.. ولكن حدث له ما حدث، ولا زلت أبحث عن تلك البرديات، ألا تعلم أين أجد تلك البرديات يا مستر جاسر؟

- أنت لا تدري خطورة ما تبحث عنه يا مستر توم.. فعندما قمت بالبحث كنت غير مقتنع بوجود نوع ما من اللعنة.. أعلم أنك لن تصدقني وهذا ما أراه في عينيك ولكن الأمر أخطر مما تتصور.. لماذا لاتترك الموضوع باكمله؟

انفجر إيزاك ضاحكًا وهو يقول :

- أنت بالطبع تسخر منّي يا مستر جاسر.. أي موضوع تتخيل أن نتخلى عنه؟

اعتدل جاسر قائلا:

- فلنتحدث بصراحة إذن.. مستر توم أقسم لك إن الأمر جدي والدليل على ذلك الأسماء التي ذكرتها الآن.. ألا يثير اندهاشك كمية الحوادث التي حدثت لكل من انتهك المقبرة وسرق البرديات، إذا كنت تتصور أني أبحث عن البرديات فأنت مخطئ.. جل ما أريده هو القضاء على تلك اللعنة بأي وسيلة كانت، وإلا أصبح مصيري أنا أيضًا كمصير من ذكرتهم، ولست أنا فقط بل أنت أيضًا وكل من يقف وراءك..

- مستر جاسر.. أنا لا أؤمن بلعنة الفراعنة.. ولن يصيبني أي شيء فكن على ثقة من ذلك.. أنا مجرد ساعي بريد أقوم باستلام طرد من جهة ما وإيصاله إلى الجهة الأخرى مقابل الثمن..

- حتى لو كنت كذلك.. ستصيبك اللعنة كما أصابت غيرك.. تذكر كلامي هذا يا سيد توم وفكر فيه، وهذا هو الكارت الخاص بي.. عندما تشعر أن الأمر جديٌّ تستطيع الاتصال بي.. ربما وقتها ستجبر على تصديق الأمر .

- وأنت يا سيد جاسر ها هو رقمي ورقم مستر ماتسون المساعد الخاص بي.. إذا غيرت رأيك سأكون ممتنًا للتعاون معنا..

استأذن جاسر في الانصراف وقام متناولاً الهاتف الخاص به، إلا أن إيزاك استوقفه قائلا:

- وتذكر أني قابلتك للحديث معك بصورة ودية، ففي المرة القادمة ربما لن يكون الأمر كذلك..

ابتسم جاسر بتهكم، ثم تركه مغادرًا.. وما إن انصرف حتى تناول إيزاك هاتفه ليتحدث فيه قائلا:

- هو قادم الآن، غادروا الشقة ولا تتركوا أي أثر لوجودكم.. هل وجدتم شيئًا؟هل بحثتم جيدًا؟ حسنًا.. حسنًا .

ثم أغلق الهاتف قائلا في حنق:

- تبًا لك يا جيمس.. أنت تعلم كم أكره هذا البلد وأهله ولا أطيق المكوث بها حتى أربع وعشرين ساعة.. ولعنة فراعنة.. هذا ما كان ينقصنا أيضًا.. أما أنت يا جاسر لن تفلت من يدي.. أقسم لك لن تفلت.. فإن كان مجدي قد قتل قبل أن أصل إليه.. فسيسعدني أن أمزق جسدك بيدي..

* * *

دخل جاسر إلى غرفته متناولا ثيابه المنزلية ليرتديها.. دون حتى أن يشعر أن هناك من كان يعبث بمحتويات شقته بحثًا عن تلك البرديات..

كان جاسر يشعر أنه قد يتعرض للتفتيش المفاجئ من أي شخص يهتم بتلك البرديات.. لذلك قام بإخفاء الصندوق نفسه على سطح منزله..

فعندما صعد إلى السطح صباح ذلك اليوم وضعه داخل برميل من تلك البراميل الملقاة على السطح وأخفاه داخله، ثم قلب البرميل على فتحته ليضع هوائي تليفزيون مثبتًا على قاعدته، مما يجعل من المستحيل التوقع أن الصندوق بذلك البرميل.. أما عن البرديات ذاتها فقد قام بفك ظهر شاشة التليفزيون المثبت على الحائط في تلك الغرفة العارية ووضع البرديتان في ملف بلاستيك واضعًا إياهم داخل الشاشة المثبتة، ثم قام بتعليقها مرة أخرى..

ولذلك عندما قام رجلان من مساعدين إيزاك بتفتيش الشقة لم يجدا أي شيء قد يشير إلى أي أثر فرعوني..

* * *

في ذات الوقت في طما وفي أحد المغارات في الجبل كان الشيخ إلهامي لا يزال يرقد في شبه غيبوبة عميقة أصابته فجأة كنتيجة لتدهور حالته الصحية في الفترة الأخيرة ورفضه تمامًا الذهاب إلى المستشفى، وهذا ما قاله للمقربين لديه.. فقد طلب منهم أن يتركوه فقط يقضي أيامه الأخيرة وسطهم، وفي المكان المحبب إلى نفسه..

كان الشيخ إلهامي من أشد معارضين البحث عن ذلك الكنز المدفون.. فهو يعلم عن ذلك السر الأعظم لتحوت الذي حوته عدة برديات.. ويعلم أن هناك بردية ما تشير إلى مكان كتاب مفقود منذ أيام الفراعنة تجعل صاحبه ذا قوة لا يُستهان بها، ولكنه على الرغم من مشاركته في الكشف عن الآثار الفرعونية مع جده الذي كان من أشد المهتمين بالبحث عن الكتاب المخبأ في صندوق أبنوسي كان قد توارث علاماته من أجداد أجداده، ذلك الكتاب الذي يوجد في مقبرة مجهولة.. ولكن بعد فترة تأكد الشيخ إلهامي أن الكتاب ملعون وأن كل من سيلمس ذلك الكتاب سوف تصيبه اللعنة الأبدية التي لا فرار منها، ولذلك حاول طوال حياته ألا يتعرض بأي شكل من الأشكال لهذا السر المخفي منذ آلاف السنين وخاصة بعد ما رآه مع جده..

كان الشيخ إلهامي هو حكيم القرية، وقد وصل إلى هذه المكانة بعد عشرات السنين من الحكمة التي توارثها عن آبائه..

ولكن يبدو أن ما كان يحافظ على ألا يتدخل فيه طوال حياته قد بدأ يتحقق في أواخرها.. فقد بدأ ظهور لعنة في القرية، وكانت تلك اللعنة هي السبب في تغيير مجرى حياته منذ عشرات السنين..

وقتها كان الشيخ إلهامي مرعوبًا من تحقق ما يخشاه وحاول بكل ما لديه من طرق لمعرفه سبب اللعنة أو من أيقظها لكن دون جدوى.. حتى ظهر ذلك الرجل في حياته مرة أخرى ليقلبها رأسًا على عقب..

أما الآن فالشيخ العجوز يصارع الموت.. وكأن الموت يؤجل لقاءه معه لسبب ما.. لا يعلمه إلا الله.. وكل ما يرجوه من مساعديه هو إحضار جاسر بأسرع ما يمكن..

فهو الوحيد القادر على إنهاء تلك اللعنة وإخمادها..

إلى الأبد..

* * *

كان إيزاك بعد ذلك بعدة أيام جالسًا في منزل زوجة مجدي بالقاهرة، وكان شديد العصبية بالرغم من محاولته التظاهر بالهدوء حتى يستطيع استخلاص كل ما لديها، ولكنه فقدَ أعصابه مرة واحدة قائلًا:

- يبدو أنك لست جدية يا مدام فايزة.. لقد أتيت بي مباشرة من أمريكا بعد أن تلقينا اتصالك عن طريق أحد السماسرة الذين يعملون لصالحنا، والذي أكد لي أنه على اتصال مباشر بك، وأنه قام بإنهاء الصفقة، وتم الاتفاق على كل شيء.. وعلى الرغم من المبالغ الطائلة التي طلبتِها فقد وافقت على ذلك.. ولذلك قطعت آلاف الأميال بالطائرة لأعطيك كل ما طلبتِ وأحصل على البرديات..والآن تقولي لي إنها ليست بحوذتك؟

حاولت فايزة امتصاص غضبه حينما قالت:

- أنت لا تفهمني يا سيد عزيز. أنا لم أقل لك إنها ليست بحوذتي. كل ما قلته لك إنها ليست موجودة الآن في المنزل.. لقد تعرضنا للسرقة منذ فترة وأنا منذ وفاة زوجي لا أقيم هنا بصورة مستمرة فكيف أحتفظ بها في هذا المكان؟

اشتد غضب إيزاك وهو يقول:

- هذا ليس من شأني. لقد أخبرتك أني سأمرّ عليك اليوم حتى ننهي صفقتنا ولكن يبدو أنكِ تراوغين.

- يا سيدي لماذا أراوغ ؟. أنا أريد أن أتخلص من تلك البرديات أكثر منك، وخاصة أنك قد وافقت على كل طلباتي. فلماذا تشعر أني قد أماطلك بل على العكس.. في ميعادنا القادم سوف أحضر لك البرديات حتى غرفة فندقك. ولكن عليك أولا أن تدفع عربونًا نقدًا. فأنا لا أقبل الشيكات..

- عربون؟!!. ياله من طمع.. وهل تظنين أني أسير ومعي آلاف مؤلفة من المال في جيبي؟ لن أدفع عربونًا.. سأدفع المبلغ كله حينما أستلم البرديات.. ولكن إذا لم تأتِ أو شعرت أنكِ تلهين بهذا الموضوع فثقي أن غضبي وقتها سيكون شديدًا..

نظرت إليه فايزة في هدوء قائلة:

- أنا لا أغش يا سيد عزيز. هذا عمل وقلت لك أن تنتظر حتى ميعادنا القادم..

خرج إيزاك من منزل فايزة زوجة مجدي وهو يلعن ذلك اليوم الذي أدخل قدميه في تلك الدائرة المغلقة.. كان بمقدوره أن يهاتف جيمس

ولكنه آثر حتى ينتظر ليوم السبت ويضع يديه على البرديات المفقودة ليطير بهما إلى لندن في أول طائرة..

أشار إيزاك لأول تاكسي مرّ بجواره.. ولكنه لم يلحَظ أبدًا ذلك الرجل الذي يجلس في انتظاره داخل تلك السيارة الزرقاء. والذي ظل واقفًا أسفل العمارة التي تسكن بها زوجة مجدي حتى هبط إيزاك.. فألقى الرجل الغامض ببقية السيجارة التي كانت معه، وأخذ في السباب مجددًا عندما رآه هابطًا السلم..

كان الرجل يجلس متخفيًا داخل عربة زرقاء اللون ذات زجاج أسود. وما إن تحرك التاكسي حتى تبعه الرجل الغامض في هدوء..

وفي عينيه غضب قاتل..

* * *

في مساء ذلك اليوم جلس جاسر في شرود ينظر إلى التليفزيون المعلق في الكافيه المملوك لآدم، والذي ظل جالسًا إلى جواره يتكلم ويتكلم دون حتى أن يلتفت إليه جاسر. الذي كان ذهنه مشغولًا بعشرات الأشياء.. كان يشعر بصداع قاتل لا يعلم هل هو بسبب بدزميران الذي يحتل عقله. أم أن تلك بوادر نزلة البرد التي بدأت تلم به في الساعات الأخيرة..

كان فقط يريد التحدث.. كان يريد أن يشاركه أحد فيما يدور بخاطره. ولكن لم يكن يستطيع فعل ذلك خوفًا من ذلك المخلوق. كما أن أحدًا لم يكن ليصدقه فسيتهمه الجميع بالجنون.. كان يشعر أن مصيره سيكون كمصير أحمد في يوم من الأيام..

كان من داخله يريد إنهاء تلك اللعنة بأي طريقة، ولكن لإنهائها يجب الحصول على تلك البرديات، والتي لا يعلم عددها أو مكانها.. كل ما لديه من تلك المغامرة برديتان مجهولتان واسم كاهن مجهول لم يذكره التاريخ..

لقد حاول أن يناقش الشيء المسمي بدزميران كما أخبره باسمه، لكن دون جدوى، فقد كان الأخير يعامله وكأنه سيد وهو التابع الذي يجب أن يطيع أوامره، كان ذلك المخلوق الغريب ينتقم لتدنيس المقبرة الفرعونية والتي كان حارسًا لها..

مغامرة ما دخل فيها رغمًا عنه ولا يدري عواقبها جيدًا.. حتى ماجد أخوه سافر وتركه وحيدًا، وبقية أفراد فريقه لن يصدقه أحد منهم.. إنه يشعر وكأنه داخل دائرة مغلقة تضيق أكثر كل يوم حتى تكاد تقتله .

فالموضوع يزداد تعقيدًا وخاصة بعد مقابلة ذلك الأجنبي الذي عرَّف نفسه باسم توم.. فقد كان يعلم أن وراء توم تنظيمًا منظمًا وليس هو الرجل الأول بل مجرد وسيط أو شخص ما يعمل لحساب أحدهم، والذي يكلفه بالمهام القذرة، والدليل على ذلك هو مراقبته لبيت أحمد ومحاولته لقتله !ولا أن تنبه جاسر وباغته هو..

ولكن اقترابهم بهذه الصورة منه كان يجعل جاسر بين شقى الرحى.. ولا يدري ما سوف تخبئه له الأيام القادمة..

كان يفكر جديًا في الذهاب إلى ذلك المكان المنير الذي أخبره عنه بدزميران، كان يشعر وكأن هناك من يجذبه لي تلك البقعة الملعونة .

ومن ناحية أخرى كان عليه أن يقابل الشيخ إلهامي، فقد كان يشعر أن لديه تفسيرًا ما، وخاصة أن ذلك العجوز قد أرسل في طلبه على وجه السرعة..

كان اليوم هو يوم السبت.. وقتها قرر أن يسافر يوم الاثنين إلى القرية، ولكن كان عليه أولًا أن يقوم بخطوة أخيره في غاية الأهمية.. ويجب أن يقوم بها على وجه السرعة..

* * *

من المستحيل دوام السعادة طالما التصقت الروح بالجسد..

وعلى الإنسان تدريب روحه في هذه الحياة الدنيا..

حتى لايضل طريقه إذا دخل الحياة الأخرى التي يستطيع فيها اجتلاء آتون..

فهنا على الأرض يكمن أمل الروح في حياة الخلود..

وكثير من الناس لايصدقون، ويعتقدون أنها حكاية فارغة تستحق السخرية..

إذ أن ممتلكات الحياة الدنيا تبعث على السرور..

ومثل تلك المسرات تخنق الروح، وتربطها إلى الحياة..

تمتلكنا أملاكنا..

لم نولد مالكين ولكننا اختزنا أملاكنا..

وكل ما يستخدمه المرء لإرضاء جسده غريب عن طبيعته الأولى..

والتي هي أشبه بالكائنات الإلهية..

تحوت..

في غضون العشرين يومًا التالية جمع الأمير «خا أم واس» حرسه الشخصي وكهنة المعبد وكبير الكهنة «نفرو» وكذلك الحكيم «كاجمني»، تاركًا وزيره الأول «حور» في القصر الملكي لمتابعة أحوال منف، وسار في في موكبه باتجاه مدينة منعت نحو قبر الأمير «نفر كا بتاح»..

كانت الرحلة شديدة الصعوبة، ولكن الأمير كان على استعداد لتحمل كل تلك المشاق من أجل الوصول لتلك البرديات المقدسة، كما لو كان مسحورًا وكأنه يسير إلى قدره الذي خطته له الآلهة..

أما الكهنة فكانوا طوال وقت يتلون صلواتهم داعين الإله أن ييسر لهم الأمر إن كان ما يفعلونه يرضي الآلهة، ولكن أكثرهم رعبًا كان كبير الكهنة «نفرو» الذي لم يشعر باطمئنان أبدًا للعجوز «كاجمني» الذي أيقظ تلك الرغبة المدفونة لدى الأمير منذ سنوات وسنوات.. منذ بدأ في معرفة الأسرار الخفية للمعبد والإطلاع على الكتب..

فقد كان يشعر أن ما هم مقدمون عليه سيثير عليهم غضب الآلهة حتى لو كانت نيتهم نشر الخير والسلام، ومن ناحية أخرى فقد كان يخاف من تغير قلب الأمير حال وصول يده إلى الكتاب المفقود وامتلاكه لتلك القوة.. ومن ناحية ثالثة فقد كان يخشى من حدوث سرقة للكتاب أثناء رحلة العودة من أي من الموتورين والذين بالتأكيد سمعوا عن الكتاب المقدس.. أما خوفه الأكبر فكان من الأمير «مرنبتاح».. فدوافعه ليست كدوافع الأمير «خا أم واس».. على الرغم من رحيل «مرنبتاح» لتأديب بعض القبائل المتاخمة للبلاد ، فقط يرسل بعض أتباعه خلف الأمير ذاته لحمايته والاستيلاء على الكتاب.. بل وحرقه إن لزم الأمر.

لكل ذلك كانت الرحلة على «نفرو» من أشد الرحلات ثقلًا على قلبه، بل لعلها زادته عمرًا فوق عمره الذي تعدى التسعون عامًا..

وفي الليلة السابعة منذ أن تحرك موكب الأمير «خا أم واس» في رحلته لاستعادة الكتاب المقدس، وحين ضرب للأمير المعسكر قرب المكان الذي ذكره العجوز «كاجمني»، وفور وصولهم جمع «نفرو» مساعديه من الكهنة المقربين والذين كانوا عبارة عن أربعة كهنة من كبار كهنة المعبد وأخبرهم بكل مخاوفه ثم استدرك قائلًا:

- هذه كل مخاوفي يا أبنائي طرحتها عليكم ولا أدري كيف سنواجهها ، لم أعرضها على الأمير فقد شغله العثور على الكتاب المقدس عن رؤية أي مخاطر تحيط به وبنا وبالكتاب المقدس.. إذا حدث وصدق «كاجمني» ووجده الأمير في المكان الذي دله عليه.

هز الكاهن «تب رع» رأسه موافقًا:

- يا سيدي الكاهن الأكبر.. معك حق في كل كلمة قلتها، فما سنحمله على كواهلنا عسير علينا أن نتحمله، كما لن نتحمل فقد تلك التعاليم المقدسة أو حتى تعريض الكتاب للخطر.. والرحلة محفوفة بالمخاطر كما ترى.

ردَّ الكاهن «امني نخت»:

- تبًا لذلك العجوز «كاجمني»، إن هذا العجوز يثير ريبتي منذ اليوم الأول وكم كنت أود أن أجادله في البلاط الملكي، ولكن التعاليم المقدسة وتأثيره على الملك منعني من ذلك.

اعتدل الكاهن «واخموس» قائلًا:

- يا سيدي الكاهن الأكبر.. إن في طريقنا العديد من القبائل الخارجة عن السيطرة وقطاع الطرق، وكم طلبت من الوزير«حور» توجيه النصح للأمير بتأديب تلك القبائل ولكن دون جدوى.. والآن ماذا سيفعل هؤلاء الخارجين عن القانون بعد أن نما إلى علمهم أن الأمير في رحلة بنفسه؟

هز كبير الكهنة «نفرو» رأسه في حيرة وقلق وهو يقول:

- وما الحل إذن؟ لم يعد لدينا سوى يوم بليلة للوصول إلى قبر الأمير«نفر كا بتاح».. والسرية العسكرية التي تؤمّن لنا الطريق ربما تستطع التصدي للخارجين على القانون في حالة حدوث اعتداء على الموكب ولكن لا أضمن ما سيحدث عند العثور على الكتاب المقدس والأمير يسير كما لو كانت حياته متوقفة على هذا الكتاب..

رد الكاهن «امنى نخت»:

- ألا تستطيع يا مولاي إثناءه عن عزمه هذا أو حتى إقناعه بالانتظار حتى يتم استقدام سرية أخرى للحماية.

هتف كبير الكهنة «نفرو» غاضبًا:

- أي هراء تتفوه به يا «امنى نخت»؟ ، أقول لك أنه يسير كما لو كانت حياته متوقفة على ذلك الكتاب وبالطبع لن ينتظر وقتًا آخر، فلو كان يريد ذلك لأرسل معنا وحدة كاملة من الجيش، لكنه يظن أن الأمر سهل، والذي بسّط له هذا الأمر بهذه الطريقة هو ذلك العجوز «كاجمني».

قال الكاهن سوتي:

- تبًا لهذا العجوز، لا أحد يدري من أين جاء، وكل ما أخشاه أن يكون كل ذلك خدعة للتخلص من مولاي الأمير كما تحدثني فراستي..

التفت إليه «نفرو» غاضبًا :

- وأين كانت تلك الفراسة عندما كنا نتباحث في القصر الملكي.. أتأتون الآن بهذا الحديث؟

حاول الكاهن«واخموس» تهدئة كبير الكهنة قائلًا:

- هناك حل ما يلحّ في ذهني يا سيدي الكاهن الأعظم، ولكنه يعتمد على مدى ثقة الأمير بكاهننا الأعظم، ومدى ثقة كاهننا الأعظم في مساعديه المخلصين.

التفت إليه «نفرو» قائلًا في لهفة :

- تكلم يا «واخموس».. ..ثقتي بكم ليس لها حدود، فأنتم الأربعة من أشد كهنة المعبد إخلاصًا ومن كبار مساعديّ، وبعد وفاتي سيتولى «امنى نخت» منصب الكاهن الأعظم، ولا تنسَ أني قد قمت بتربيتكم منذ خمسة عقود على الأقل.

استجمع الكاهن «واخموس» شجاعته وبدأ في عرض فكرته قائلًا:

- عندما نتأكد فعليًا أن الكتاب المقدس موجود وأن الأمير وضع يده عليه، وبعد أن يعلم الجميع بذلك، وعندما يتحرك الموكب في رحلة العودة للقصر الملكي، وفي طريق العودة هناك قرية قريبة من مقبرة الأمير «نفر كا بتاح».. وأنا أرى أن نضع أيدينا على الكتاب المقدس، بعد أن تستأذن عظمتك الأمير «خا أم واس»، ثم باعتبارنا أقدم الكهنة وأكبرهم

سنًا سيكون علينا أن ننقل نحن الكتاب حفاظًا عليه وعلى قدسيته، وسيكون ذلك سرًا، ثم بعد تحرك الموكب بليلتين نتحرك نحن الأربعة بالكتاب المقدس للحاق بكم بعد وصولكم في سلام.. ولا ضير في أن نسلك طريقًا آخر..

انفرجت أسارير كبير الكهنة عند سماعه لهذا الرأي قائلًا:

- ونعم الرأى يا واخموس..

قال الكاهن «تب رع» :

- فعلًا يا مولاي الكاهن الأعظم، فذلك سوف يبعد الأنظار تمامًا عن الكتاب، فالكل سيظن أن الكتاب بحوذة مولاي الأمير «خا أم واس»، ولو حدث أي مكروه فسيكون الكتاب في أمان.

اعتدل الكاهن «امني نخت» قائلًا:

- سيدي الكاهن الأكبر «نفرو» إن لديّ اقتراح آخر.. فأنا أخاف أن يصيب الكتاب المقدس أي مكروه، سواء كان مع مولاي الأمير «خا أم واس» أو حتى في حوذتنا، فإذا وصل الكتاب إلى الأمير فمعنى ذلك أننا لن نطلع عليه أبدًا، وسيظل في الخزائن الملكية، وقد تمتد إليه أيدي لا نضمن دوافعها، وربما قامت بحرق الكتاب أو التخلص منه، كما كان يقترح الأمير «مرنبتاح»، لذلك لديّ اقتراح بسيط أرجو أن توافقني عليه..

أشار إليه الكاهن الأعظم قائلًا :

- قل ما لديك يا «امنى نخت».

استطرد «امني نخت» قائلًا:

- إن أخي الكاهن «واخموس» قد اقترح أن نمكث نحن الأربعة بالكتاب المقدس ثم نتحرك للقائكم في المكان الذي سيتم الاتفاق عليه مسبقًا ولكن في اتجاه آخر منعًا لأي شبهة، ولكن ماذا لو حدث مكروه لنا.. أي مكروه كان.. ماذا سيكون موقف البلاط الملكي والمعبد الجنائزي؟ وماذا سيكون مصير الكتاب؟

عقد «نفرو» حاجبيه متفكرًا:

- بالطبع سيكون موقفنا في منتهى السوء، لأننا من اقترحنا ذلك بالإضافة إلى الخسارة الفادحة في فقدان تعاليم الحكيم تحوت وفقدان السر الأعظم من فم الآلهة .

رد «امنى نخت» قائلًا:

- لذلك أقترح يا سيدي أن ننقسم إلى مجموعتين، أعود و «تب رع» في اليوم الثاني، ثم يعود «واخموس» وسوتي في صباح اليوم الثالث .

تساءل «نفرو» في حيرة:

- وما الجدوى من ذلك أيها الكاهن؟

أجابه الكاهن «امنى نخت»:

- سوف نقوم بأمر ما سرًا.. ليظل هذا الكتاب المقدس في المعبد الجنائزي، ولا يطلع عليه أحد إلا كبار الكهنة، وإذا حدث أي مكروه للكتاب فسيكون معنا كتاب آخر .

اتسعت عينا الكاهن «تب رع» وهو يقول:

- يا آتون المعظم!!، أتقصد أن نقوم بتدوين البرديات المقدسة خلال اليومين الذين سنبقى فيهما ليكون معنا نسخة أخرى من الكتاب؟!

أومأ «تب رع» برأسه موافقًا:

- نعم تمامًا.. هذا ما أقصده بالضبط .

أكمل الكاهن الأكبر نفرو:

- ونعطي النسخة الأصلية لمولانا الأمير «خا أم واس»، ثم يحتفظ المعبد بنسخة من تلك التعاليم المقدسة.. رائع يا امنى نخت، هذا بالإضافة إلى أنه إذا حدث مكروه للنسخة الأصلية في طريق العودة سوف تكون هناك نسخة أخرى مع المجموعة الثانية منكم.. ويحتفظ المعبد الجنائزي بنسخة من الكتاب المقدس دون أن يعلم أي شخص حتى الأمير نفسه.. ياله من هدف مقدس أن تعكفوا أنتم الأربعة على نسخ الكتاب بأيديكم الكريمة.. سوف تنال أرواحكم السكينة والسلام .

قال الكاهن «تب رع» في قلق:

- ولكن هذا الأمر خطير جدًا يا مولاي الكاهن، فلو علم الأمير «خا أم واس» أن كهنته المقربون قد قاموا بنسخ الكتاب المقدس سوف تصبح كارثة، وربما وجدنا أنفسنا في أحد أديرة الصحراء لقضاء بقية عمرنا .

رد الكاهن سوتي:

- ومن سيخبره أيها الكاهن «تب رع».. لقد أقسمنا على العمل لصالح المعبد، وكل ما يخص المعبد من أسرار كهنوتية لا يحق لأي فرد حتى جلالة الفرعون الأعظم سليل الآلهة الاطلاع عليها رغمًا عنا، وكل ما

سنقوم به يصب في صالح المعبد، لكي يتم استرداد ذلك الكتاب القيم، كل ما هنالك أننا يجب أن ننهي نسخ تلك التعاليم في غضون يومين فقط وقد يزيدان عن يومين إذا سلكنا طريقًا مختصرًا للعودة إلى منف..

أومأ الكاهن الأعظم «نفرو» برأسه موافقًا:

- تمامًا أيها الكاهن سوتي.. كل ذلك في صالح المعبد برجوع تلك التعاليم المنسية.. والآن سوف نعيد خطة التحرك وتقسيم العمل مرة أخرى، ولكن عليَّ أولاً أن أستأذن الأمير «خا أم واس» في الجزء الأول من الخطة.. سأذهب إليه الآن في خيمته، فلا تتحركوا من هنا حتى أعود .

وانطلق كبير الكهنة «نفرو»ليبدأ في تنفيذ ما اتفق عليه مع الكهنة الأربعة، الذين لم يدر بخلدهم أن ذلك الاتفاق سيغير مجرى حياتهم..

وإلى الأبد..

* * *

في اليوم التالي كان الجميع يقفون أمام مقبرة الأمير «نفر كا بتاح».. وكما حدث من قبل كان كبير الكهنة يتلو صلواته ويردد من خلفه مساعدوه ويكثرون من التضرع.. أما الكاهن «كاجمني»فكان يشرح للأمير ما سيحدث عندما يرفع الحراس الحجر الكبير الذي يغطي مدخل المقبرة..

فالمقبرة لن يدخلها سوى الأمير مع الكاهن «نفرو»ليرفعا الكتاب، فليس بمقدور أي أحد غيرهما أن يمس الكتاب المقدس إلا أبناء الآلهة المقدسة وكذلك كبار الكهنة..

وما إن فرغ الحراس من رفع الحجر الضخم الذي يغطي المقبرة حتى فوجىء الجميع بنور ينبعث من داخل المقبرة، حتى إنه أنار الغرفة الخارجية للمقبرة.. وبمساعدة الحراس نزل الأمير «خا أم واس» إلى أسفل يتبعه الكاهن «نفرو»، الذي كان لا يزال يتلو صلواته للإله رع ويؤكد له أن كل ما سيقوم به هو لنشر التعاليم المقدسة وطمس كل ما قد يستخدمه البشر في نشر الشر.. فقد كان يرى من داخله أنه يؤدي بذلك خدمة للمعبد المقدس.. أما الكاهن «كاجمني» فأخذ يتلو صلواته خارج المقبرة وهو ينتظر على أحرَّ من الجمر..

وعندما نزل الأمير والكاهن «نفرو» إلى الداخل وجدا أن النور ينبعث بشدةمن صندوق صغير من الأبنوس كان مفتوحًا وبداخله وُضِعَ الكتاب..

مدَّ الأمير يده ليمسك بالكتاب فوجده مقسما إلى خمسة أجزاء .. تناول منها الأمير الجزء الأول والذي كان يحتوي على عدة برديات أمسك منها الأمير البردية الأولى وفتحها باحترامٍ شديدٍ وبدأ في القراءة:

((إن الحكمة الخالصة هي الجهد الروحي في التأمل المستمر للوصول إلى معرفة الإله الواحد آتون ..

لكن سيأتي زمان لا يطلب فيه أحد بذل جهد في الحكمة بطهارة قلب ووعي ..

إن أولئك الذين يحملون الضغينة في نفوسهم سوف يحاولون منع الناس من اكتشاف هبة الخلود التي لاتقدَّر بثمن ..

فالحكمة ستصير غامضة مغلقة بصعوبة الفهم .. وستفسدها النظريات الوهمية، وسوف تشتبك في حيل العلوم المحيرة .. كالرياضة والموسيقي والهندسة، إذ أن تلك العلوم تكشف عن أن دارس الحكمة الخاصة هو دارس لكل العلوم لا كنظريات مفهومة، بل كولاءٍ لآتون، إن البحار، وقوة النيران، وضخامة أجرام الطبيعة تزكي الرهبة أمام إبداع عالم كامل النظام بقوة الأرقام، فقياس أعماق الخالق وحكمته المتعالية والذي نظم في جمال كل تلك الأصوات المتنوعة في أن أسرار الموسيقي تشهد على مقدرة لا حد لها للصانع بنغم جذاب وحدة شاملة مفعمة .

داخلنا حب طاهر لآتون يؤيده فكر وتوحد قلب، واتباع الخير الذي يريده، فهو الحكمة التي لا تلوثها الأهواء الدنيئة أو الآراء الفارغة..

غير أني أتوقع أن يأتي في قادم الزمان متكلمة أذكياء، غايتهم خداع عقول الناس لإبعادهم عن الحكمة النقية ..

وفي تعاليمهم سوف يدعون أن إخلاصنا المقدس كان بلا جدوى، وتقوى القلب وعبادة آتون التي يرفعها إليه المصريون ليستا سوى جهدٍ ضائع ..

مصر صورة للسموات ويسكن الكون كله هنا في قدس معبدها ..

لكن الإله سوف يهجرها، ويعود إلى السماء، ويرتحل من هذا البلد الذي كان مقرًا للروحانية..

ستصبح مصر مهجورة .. موحشة .. محرومة من وجود الإله .. يحتلها الدخلاء الذين سيتنكرون لتقاليدنا المقدسة ..

إن هذا البلد الزاخر بالمعابد والأضرحة .. سيضحى مليئًا بالجثث والمآتم ..

والنيل المقدس سوف تخضبه الدماء .. وستفيض مياهه محمَّلة بالقبح ..

هل يحملك ذلك على البكاء ؟.. بل سيتبع ذلك ما هو أنكى ..

إن البلاد التي علمت الروحانية لكل الكائنات الإنسانية، وأحبت الإله يومًا.. فهذه البلاد ستتفوق على الجميع في العنف ..

وسيعرف المصريون بلغتهم فقط.. كما سيتجاوز عدد الموتى الأحياء وعدد الذين اختفوا من على وجه الأرض ..

وأسوأ أعمالهم لن تختلف عن أعمال الأجناس الأخرى ..

آه يامصر..

لن يبقى من دينكِ شيء سوى لغوٍ فارغٍ .. ولن يلقى تصديقًا حتى من أبنائك أنت نفسك..

لن يبقى شيء يروي عن حكمتك إلا على شواهد القبور القديمة ..

سيتعب الناس من الحياة .. ويكفون عن رؤية الكون كشيء جدير بالعجب المقدس ..

ولسوف تصبح الروحانية .. التي هي أعظم بركات الله مهددة بالفناء وعبئًا ثقيلًا يثير احتقار الغير..

ستضحى مصر أرملة.. فكل صوتٍ مقدسٍ سيجبر على الصمت..

وتفضل الظلمة على النور .. ولن ترتفع عين إلى السماء..

سيدمغ الصالح بالبلاهة.. وسيكرم الفاسق كأنه حكيم..

وسينظر إلى الأحمق كأنه شجاع.. وسيعتبر الفاسد من أهل الخير..

وتصبح معرفة الروح الخالدة عرضة للسخرية والإنكار.. ولاتسمع ولاتصدق كلمات تبجيل وثناء تتجه إلى السماء..

لقد كنت الشاهد من خلال العقل الواعي على ما خفي في السماء .. وبالتأمل وصلت إلى معرفة الحقيقة، وصببتها في هذه التعاليم المقدسة المتون .. وقد دونت أسرار الإله في رموز هيرميس العظيم ثلاثًا .. كأول إنسان وصل إلى جمع المعرفة ..

وقد سجلت في هذه الصخور ..

وأخفيتها لعالم المستقبل ..

الذي سوف يحاول الإنسان خفية .. بحروف مصرية مقدسة .. البحث عن حكمتنا المقدسة)).

توقف الأمير عن القراءة وهو مبهور بما قرأه والتفت إلى الكاهن الأعظم قائلًا:

- ما أعظم كلمات إلهنا الأعظم.. أي تعاليم تلك التي تمس أوتار القلوب، أيها الكاهن «نفرو».. إن تلك الكلمات على قدر ما أثارت أشجاني على قدر ما أخشى حدوثها.. إني أخشى على مصر من تحقق أيّ من تلك النبوءات المؤلمة.. أي عصر سوف تحدث فيه تلك النكبات..

- لا أدري يا مولاي الأمير فلم أطلع عليها بعد، ولكن آذن لي في استدعاء مساعديني الأربعة لاستكمال ما اتفقنا عليه يا مولاي.. إن الوقت

يداهمنا ولا ندري ما ينتظرنا خارج أبواب تلك المقبرة، فربما كان أحد المهتمين بهذا الكتاب يقتفي أثرنا حتى نتوصل إلى تلك البرديات..

- ولكن يا «نفرو»أنت ترى إن معنا فرقة كاملة من أشجع الحراس ونستطيع أن...

قاطعه الكاهن الأعظم «نفرو» قائلًا :

- مولاي الأمير اسمح لي.. إن هذا الكتاب ليس مقدسًا فقط عند أبناء الآلهة، بل له أهمية كبيرة جدًا داخل المعبد الجنائزي لما قد يحتويه من تعاليم قدسية نريد أن نحتفظ بها إلى الأبد.. لذلك أرجو أن تسمح لنا أن نكمل ما اتفقنا عليه أمس.. وسوف يتم تقسيم الكتاب إلى أجزاء حتى إذا تم فقد أحد الأجزاء فسيكون ذلك أخف ضررًا من فقد الكتاب بأكمله.. وبعد تحرك الموكب وأثناء مرورنا بالمعبد الغربي بالقرب من هرم ميدوم سوف أطلب من مساعديّ المكوث يومين، لإجراء بعض الصلوات في المعبد حتى لا نلفت الأنظار إليهم، ثم عليهم أن يلحقوا بنا في القصر خلال يومين أو ثلاثة على أكثر تقدير وبحوذتهم الأجزاء المقدسة .

- نِعْمَ الرأي يا «نفرو»، ولكن ستترك هذا الجزء من الكتاب بين يديّ لأني لن أستطيع صبرًا حتى رجوعي إلى القصر. لابد أن أكمل قراءة ما بدأته الآن..

أومأ كبير الكهنة برأسه موافقًا :

- لك ذلك يا مولاي .

وقام بالنداء على المساعدين الأربعة، الذين هبطوا إلى المقبرة في صمت وخشوع بحجة إكمال الصلوات والتراتيل المقدسة.. وأخذ الأمير الجزء

المخصص للمقدمة، وذهب إلى جوار التابوت، وجلس على أحد الكراسي الملكية داخل المقبرة، وشرع في قراءة أجزاء أخرى من الكلمات المقدسة تاركًا «نفرو» الذي شرع في الحديث إلى مساعديه الأربعة بعد أن أخذ في استيعاب أجزاء الكتاب، فقد كان مكونًا من خمسة أجزاء أحدهم جزء المقدمة التي يحتفظ بها الأمير، فاقترب من مساعديه وهمس بصوت خفيض :

- لقد قسمت الكتاب إلى أربعة أقسام يا أبنائي، فالجزء الذي يقرأه الأمير ماهو إلا مقدمة فقط، أما الأجزاء الهامة فهي أربعة أجزاء، سوف تتولون أنتم نسخ ما سأوزعه عليكم، وعندما نمر في طريقنا بالمعبد الغربي بميدوم، ستتخلفون أنتم لتبقون في المعبد الصغير في غرفة خاصة، وسأنبه على الجميع هناك بعدم إزعاجكم لمدة يومين، حتى تنهون تلك المهمة المقدسة، ليس خدمة لأحد، بل أنتم تخدمون المعبد المقدس وتخدمون الآلهة بتخليد ذكراها وتخليد كلمات تحوت المقدسة، وسوف نلتقي في القصر كما حددنا خطة التحرك لكل منكم..

أما الأجزاء فسأوزعها عليكم على حسب أصغركم لأن الأجزاء تتدرج من خمس برديات حتى عشرين بردية في كل جزء..

ثم التفت كبير الكهنة إلى الكاهن «امنى نخت» مستكملًا :

- «امنى نخت».. أنت أكبرهم سنًا وأقلهم جهدًا وسوف تتولى الاحتفاظ بالجزء الخاص بحراس الكتاب المقدس من العوالم الأخرى وبرديات اللعنة المقدسة، وهي خمس برديات سوف تقوم بنسخها كما وجدت في غضون يومين..

أومأ «امنى نخت» برأسه موافقًا :

- لك ذلك يا سيدي الكاهن الأعظم .

التفت «نفرو» إلى «تب رع» قائلًا :

- أما أنت يا «تب رع» فسوف تحتفظ بالجزء الخاص بطقوس السحر الفرعوني، وهو جزء خطير جدًا، وعليك أن تتلو صلواتك باستمرار طوال فترة النقل، وأنتم جميعًا لا تتوقفوا عن التضرع للآلهة، وهذا الجزء يا «تب رع» عشر برديات سوف تنسخها كالكاهن «امنى نخت».

- سأبذل قصارى جهدي يا كاهننا المعظم..

- أما أنت يا «واخموس» سوف تتولى الجزء الخاص ببرديات طقوس الكتاب وكيفية عدم إضرار العالم الآخر لكل من يقرأ تعاويذه والصلوات الخاصة والأدعية الخاصة بذلك، وهم خمس عشرة بردية وأنا على ثقة أنك ستنهيها في اليومين المحددين حتى تخرج مع الكاهن «امنى نخت» في طريق العودة..

التفت إليه الكاهن واخموس :

- سيدي أنا لدي من المهارة أن أقوم بنسخ كل الكتاب في يوم واحد فقط..

نظر إليه الكاهن الأعظم «نفرو» قائلًا :

- إذا انتهيت من نسخ الجزء الخاص بك، فحاول أن تساعد أيًا من الكهنة الآخرين .

- بالتأكيد يا سيدي..

- أما أنت يا سوتي فأنت أصغرنا وأشجعنا، لذلك عهدت إليك بأخطر جزء في البرديات، وهو كيفية تسخير القوة الطبيعية لتصبح طوع أمرك،

وهذا الجزء عبارة عن عشرين بردية. لك من الوقت ثلاثة أيام حتى تنهيها ثم تخرج مع الكاهن «تب رع» في طريق العودة..

- لك ذلك يا سيدي .

تنهد «نفرو» بارتياح بعد أن وزع البرديات على الكهنة الأربعة قائلًا:

- وهكذا نستطيع أن نصل بالكتاب إلى خزائن الأمير وبنسختنا المقدسة إلى خزينة أسرار المعبد.. سوف يذكر لكم التاريخ يا أبنائي فِعلتكم تلك ما حييتم وحتى بعد رحيلكم.. وبذلك نكون جمعنا الجزء الأهم من التعاليم فمولانا الأمير لديه عشر برديات من مقدمة الكتاب، وها نحن معنا خمسون بردية. ليكون مجموع الكتب ستين بردية، والآن هيًا يا أبنائي فليحتفظ كل منكم بالبرديات التي أعطيتها له ولنبدأ في تنفيذ ما اتفقنا عليه .

أومأ الكاهن «امنى نخت» قائلًا:

- نعم يا سيدي..

تركهم الكاهن الأعظم «نفرو» بعد أن فرغ من الحديث معهم وتوجه إلى المكان الذي يجلس فيه الأمير قائلًا:

- مولاي الأمير «خا أم واس».. لقد انتهيت من تقسيم الكتاب، وسوف أحكي لك على محتواه أثناء رحلتنا.. والآن هيًا بنا لنغادر المقبرة .

- يا «نفرو» إن تلك الأجزاء من مقدمة الكتاب، لن أستطيع أن أفسر لك مدى شعوري بكل حرف خطت به.. وسوف نقرأها سويًا هذه الليلةلقد صدق الحكيم «كاجمني» أنها كتبت من فم الالهة المقدسة..

- نعم يا مولاي، والآن هيًا بنا فلنكمل حديثنا في الخارج..

- نعم.. نعم هيا بنا فلنخرج الآن .

* * *

كانت فايزة لا زالت متوترة من المقابلة المحدد لها اليوم مع إيزاك أو السيد عزيز كما عرفها بنفسه، فقد ظلت تدور داخل شقتها المتواضعة وقد نظرت للمرة العاشرة إلى ساعة الحائط التي كانت تشير إلى الثانية عشرة ظهرًا فلم يعد باقٍ على ميعادها معه سوى ساعة كاملة..

دلفت مرة أخرى إلى غرفة نومها ووقفت بجوار خزانة ملابسها ومدت يدها خلفها حتى أخرجت حقيبة مغلقة بإحكام، واطمأنت أنها لازالت في مكانها منذ أن وضعها زوجها في هذا المكان، وأوصاها ألا تفتحها أبدًا مهما كانت الأسباب ومهما كانت الدوافع، ورغم اطمئنانها عشرات المرات عليها إلا أنها كانت دائمًا تخشى من سرقة هذا الكنز كما كان يخبرها دائمًا زوجها، وكانت تشعر أن لكل شيء وقته، وها هو وقتها يأتي تمامًا كما تم التخطيط له بدقة.. كانت تنتظر وتنتظر وتدعو الله أن تحصل على مبتغاها في أقرب فرصة..

أما إيزاك ففي هذا الوقت تمامًا كان يهبط من الفندق وبيده حقيبة صغيرة، كان يلتفت يمينًا ويسارًا وهو يتأفف من حَرّ القاهرة في هذا الوقت..

اقتربت منه سيارة أجرة فما لبث أن أشار إليها واستقلها في طريقه إلى المكان الذي اتفق عليه مع زوجة مجدي..

كان الطريق في ذلك الوقت من منتصف النهار في القاهرة مكتظ بزحام شديد.. مما جعل الجو خانقًا والسيارة لا زالت تسير الهويني.. فما لبث أن قال للسائق بعد أن نظر إلى ساعته..

- من فضلك حاول أن تسرع، لدي موعد هام وأخشى أن أفوته .

- كما تأمر يا سيدي، ولكن الطريق كما ترى، وفي القاهرة طالما لديك موعد لابد أن تكون في الطريق قبلها بساعتين على الأقل و...

قاطعه إيزاك متأففًا:

- لماذا تتحدثون كثيرًا ؟ ، لقد علمت ذلك.. والآن حاول أن تسير في أي طريق جانبي، فأنت تسير في الطريق الرئيسي منذ أكثر من نصف ساعة..

- كما تريد يا سيدي..

وانحرف السائق بشدة ناحية اليسار قاطعًا الطريق على السيارات القادمة من الجهة المقابلة، وطبعًا كان لابد أن يتبع ذلك سيل من السباب سواء من إيزاك أو من سائقي السيارات المقابلة.. وانطلقت السيارة تسير بسرعة نحو إحدى الطرق السريعة المؤدية إلى القاهرة الجديدة، حيث اختارت فايزة ذلك المكان النائي في أحد المولات هناك..

لاح المول في الأفق فأخذت السيارة أحد الطرق الفرعية الغير مأهولة، وفجأة توقف السائق بالسيارة قائلًا:

- أعتذر منك يا سيدي، ولكن عليَّ أن أقضي حاجتي..

نظر إليه إيزاك بدهشة واستنكار قائلًا:

- ماذا؟ !!، تقضي حاجتك أين أيها المعتوه؟

أجابه السائق ببرود:

- خلف تلك الشجرة يا سيدي..

نظر إليه إيزاك متقززًا وهو يقول :

- ماذا؟!!، أأنت تهذي؟!!، ألا زالت تلك العادات القذرة متأصلة في نفوسكم؟

ولم يرد السائق بل نزل سريعًا متجهًا إلى إحدى الأشجار القريبة من الطريق وما لبث أن اختفى وراء تلك الأشجار بجانب الطريق.. مرَّ الوقت ببطء على إيزاك، ونظر إلى ساعته للمرة العشرين خلال عشر دقائق.. وأخذ ينادي على السائق ولكن دون مجيب، فنزل من السيارة ليحضر ذلك السائق المأفون وأخذ مفاتيح السيارة معه، واتجه إلى تلك الأشجار حيث اختفى السائق وهو ينادي عليه دون جدوى، فقرر أن يتحرك بالسيارة، وليذهب السائق إلى الجحيم..

ولكنه عندما التفت عائدًا إلى السيارة باغتته ضربة قاتلة على رأسه.. فسقط على الأرض مغشيًا عليه والدماء تسيل من رأسه بغزارة.. هرول وقتها السائق ليقترب من ذلك المجهول الذي باغت إيزاك وهو يقول له بفزع :

- سيدي هذا ليس اتفاقنا.. لقد قتلته .

- لا تقلق فلم أقتله أيها الغبي.. أنا فقط أفقدته وعيه لحساب قديم بيننا، والآن ساعدني في نقله لسيارتي..

هتف السائق بقلق وتوتر:

- وأين سيارتك تلك؟

- لقد أخفيتها وراء تلك الأشجار .

ساعده السائق في حمل إيزاك الذي لا زال فاقدًا للوعي وقاما بوضعه في حقيبة سيارة ذلك المجهول بعد أن قاما بتقييده وأخذ الحقيبة التي كان يحملها، واستدار السائق لينصرف مسرعًا، إلا أن ذلك المجهول استوقفه ليعطيه مبلغًا من المال.. كان السائق يرتعد وقد اشتد رعبه حينما واجه تلك العيون النارية لذلك المجهول الملثم الذي قال له:

- تستطيع الآن أن تنصرف ولا تنس إبلاغ تحياتي للسيد رأفت وأبلغه أنني سأزوره قريبًا..

أومأ السائق برأسه في توتر وانطلق سريعًا ليستقل سيارة الأجرة لاعنا رأفت مالك السيارة الأجرة الذي أجبره على فعل ذلك..

انتظر الغريب حتى اختفت السيارة وبعدها تناول حقنة ما من حقيبة داخل السيارة واقترب من إيزاك الذي كان قد بدأ في التأوه، ثم غرزها في ذراعه ليذهب ايزاك في غيبوبة عميقة..

* * *

بعد حوالي ساعة من الحادث كان إيزاك قد بدأ يفيق من غيبوبته شيئًا فشيئًا.. حاول أن يبصر المكان الذي حوله ولكن كان الظلام يحيط به من كل جانب.. كان مقيدًا بشدة في أحد الكراسي الخشبية المثبتة إلى الحائط.. حاول أن يصرخ طالبًا النجدة ولكن لم يسمعه أحد، وبعد عدة دقائق شعر أن هناك من يفتح بابًا حديدي في الأعلى فأدرك أنه في قبو ما.. تبع ذلك نزول شخص ما على سلم حديدي وهو يجر شيئًا معدنيًا كان يحدث صوتًا مزعجًا عند ارتطامه بالسلالم..

سمع إيزاك صوتًا شعر أنه مألوف لديه يقول بغضب :

- تبًا لك أيها المنافق المخادع.. كنت تريد أن تخدعني؟ !

حاول إيزاك أن يتخلص من قيوده وهو يهتف بتوتر :

- من أنت؟ ، أظهر لي في الضوء إن كان لديك ذرة من شجاعة، ولتفك قيدي وسوف ترى أي عقاب سوف أحله بك..

- سترى عواقب فعلتكم أيها الكلب المخلص لسيدك الإنجليزي.. أتظن أني كنت أجهل لعبتكم الحقيرة ؟ حتى حقيبتك اللعينة ممتلئة بأوراق ليس لها أي أهمية..

كان المجهول يقترب من إيزاك حتى وصل إلى منتصف الحجرة، وما إن إقترب منه حتى رفع يده ليجذب سلكًا حديديًا يتصل بالمصباح الكهربي مباشرة، مما جعل إيزاك يجفل من شدة الضوء فأغلق عينيه سريعًا، ولكن المجهول اقترب منه مباشرة وجذبه من شعره صارخًا:

- فلتفتح عينيك جيدًا أيها الكلب حتى ترى فعلتكم..

حاول إيزاك أن يفتح عينيه بالتدريج ولكن بمجرد رؤية الوجه الذي أمامه صرخ رعبًا قائلًا:

- أنت؟ ، كيف حدث ذلك؟

- نعم.. أكنت تنوي خداعي.. لقد ظننتني ساذجًا لأصدقكم .

وترجم تلك الجملة بضربة هائلة على قدم إيزاك بعصي حديدية كانت في يده مما جعل إيزاك يصرخ رعبًا وألمًا.. عاجله المجهول بضربة أخرى سمع معها صوت تهشم عظام إيزاك الذي زاد صراخه من شدة الألم والمجهول ينظر إليه بتشفٍ قائلًا:

- هذه ليست إلا بداية العذاب، سوف تعترف لي بكل ما لديك، ربما وقتها أفكر في أن أقتلك مباشرة دون عذاب..

أتبع المجهول قوله بضحكة مستيرية استكمل على إثرها:

- ولتصرخ كما شئت، فلن يسمعك مخلوق.. ستتعذب وستصرخ وستتوسل طالبًا للرحمة..

خفف عن نفسك العذاب ولنبدأ منذ البداية.. أين حقيبة المال ؟

كان إيزاك لا يزال يصرخ ألمًا مما جعل المجهول يقترب من ظهره قائلًا:

- يبدو أنك ستصمت مجددًا.. إذن..

أتبع كلماته بضربة أخرى هشم معها كف يد إيزاك الذي زاد صراخه طالبًا الرحمة..

- سأخبرك بكل ما تريد.. سأخبرك .

* * *

في صباح اليوم التالي وعلى الرغم من إجهاد جاسر كان عليه أن يذهب إلى مستشفى الأمراض العقلية لمقابلة دكتور إسلام ليطلعه على ما حدث من تطورات في حالة أحمد، وزيارة أحمد ليحاول معه مرة أخرى، ولكن إسلام لم يعطه أي نتائج مبشرة بل على العكس..

- هذا ما حدث تحديدًا يا جاسر.. الحالة تسير من سيء إلى أسوأ دون أي سبب مفهوم، فقد زادت تلك الهلاوس بشكل كبير، كما زادت محاولات الانتحار بصورة مستمرة وبأي وسيلة كانت، بل وصل الأمر لمحاولة قتل

من يمنعه.. ولذلك فإننا نبقيه دائمًا تحت تأثير المهدئات لقد أصبح وكأنه جثة هامدة، بالإضافة إلى أنه فقد سمعه.

- هل فقد سمعه؟

- نعم يا جاسر، ولا ندري ما سبب ذلك، فحالته تتدهور سريعًا فقد رفض الأكل والشرب.. لذلك اضطررنا للجوء إلى المحاليل لتبقيه حيًا..

ظهر على وجه جاسر علامات التأثر وهو يقول:

- سكين يا أحمد.. خفف الله عنك..

- لا أعرف يا جاسر ربما يكون الموت أرحم له، فتأثير الهلاوس في أغلب الحالات يؤدي إلى الانتحار.. لقد أصبحت ملامحه مرعبة وكأن شياطين الجحيم تتملكه.

- ألم يقل في أثناء إفاقته أي معلومات ذات قيمة يا إسلام؟

- لا يا جاسر.. لقد أصبح الآن يتحدث بلهجة غريبة أو لغة غريبة لم أسمع مثلها قط قبل ذلك .

- وما تفسير ذلك؟

- قد لا تصدق ذلك ولكني أكاد أجزم أن هذا الشخص ممسوس.. والذي مسه شيء غير طبيعي بالمرة، فهو يختلف عن الحالات الأخرى التي رأيتها لأشخاص ممسوسين من قبل..

- فليكن الله بعونه.. هل أستطيع رؤيته يا إسلام؟

- صعب ذلك جدًا يا جاسر فهو كما أخبرتك تحت تأثير مهدئ.. وهو نائم أغلب الوقت ولن يستطيع الإفاقة قبل عدة ساعات ولكني سأجعلك تراه من بعيد .

وخرجا من المكتب قاصدين غرفة أحمد والتي استأذن إسلام في أن يدخلها بمفرده لمتابعة الحالة أولًا، وظل جاسر واقفًا على باب الغرفة بهدوء بعد أن دخل إسلام ولكنه نظر من فرجة ضيقة في الباب فوجد وجه أحمد كأبشع ما يكون فلم يستطع احتمال المشهد، فأغلق الباب سريعًا متألمًا مما أصاب ذلك المسكين .

* * *

- يا سيدي بدزميران.. إن الوضع يسوء.. وها أنا ذا أتبع تعليماتك بدقة ولكن للأسف كلما اقترب أكثر من حل الموضوع يتحرك بعيدًا عني.. وأكاد أن أصبح مجنونًا تمامًا، ولا أدري من يدفعني.. أنا لم أخالف تعليماتك.. لم أفعل إلا ما تأمرني به يوميًا.. ولا أدري ما الخطوة القادمة .

- هناك.. الخطوة القادمة هناك كما أمرتك.. في المكان المنير حيث ستسطع أمامك شمس الحقيقة لتشرب من مائها العذب الذي سوف يروي ظمأك نحو المعرفة..

- أي معرفة يا سيدي؟ ، كل ما أريده فقط هو جمع البرديات المفقودة ووضعها في المكان المنشود..

- هناك أيها الإنسي سوف تبدأ رحلتك الخالدة من مقبرة «امني نخت».

- لقد بحثت يا سيدي لا يوجد أي كاهن بهذا الاسم.

- هم من محوا ذكراهم من الزمان تخليدًا لكلمات الآلهة .

- سيدي.. إن كل ما تتفوه به يعجز عقلي المتواضع عن إدراكه .

- اذهب أيها الإنسي.. هناك سوف تقرأ ما تعجز عيناك عن قراءته.

خرج جاسر من الغرفة وهو لا يدري أكان يهذي كعادته أم أن تلك توجهات بدزميران، والتي أملاها له وهو مجتمعًا معه في تلك الحجرة الصغيرة .

كان يتصبب عرقًا كعادته عندما يكون في حضرة ذلك الكائن، وفي تلك الليلة صمم أن يكون غدًا هو بداية رحلته إلى المكان المنير .

* * *

لم يصدق جاسر نفسه وهو يدلف إلى المقبره المنشودة حيث عرف طريقها عن طريق ملف التحقيقات الذي سلمه إليه راشد.. وكانت تقع بجوار ثلاث نخلات متخذين شكل ما.. لم يكن بجوارها سوى عدة مساكن مهجورة، فلم يتجرأ أحد من أهل القرية على البناء أو المكوث في ذلك المكان الكئيب، وخاصة أن المكان يطل عليه بمسافة ليست بعيدة مقابر الصدقة.. حيث يدفن من لا يعرف أهله أو أقرباءه، وقد استعملت هذه المقابر في وقت ما ثم أُغلِقَت بعد هذا منذ فترة طويلة دون سبب كما فتحت دون سبب.. وخاصة أن تلك المقابر كان يسكنها الجن كما أخبره الحاج مراد عم هند.

كان المنزل مهجورًا تمامًا حتى من الخفير الذي يحرسه، والذي لم يتواجد كعادة الخفراء الذين يحرسون شيئًا مهمًا بالنسبة لهم، فهو لا يعلم أي أسرار كانت تحتويها تلك المقبرة، فمن وجهة نظره هو يحرس فقط مجرد جدران، وهي ليست قابلة للسرقة.

لذلك لم يجد جاسر أي صعوبة في التسلل إلى المقبرة بعد أن ترك سيارته بالقرب من المنزل وتسلل إليه..كانت عقارب ساعته تشير إلى الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين..

دخل المنزل فوجد فتحة بأرضية الحجرة فنزل فيها بعد أن أغلق الباب الخارجي.. وتوجه إلى الحائط مباشرة رافعًا مصباحه الضوئي إلى الجدار.. الذي كان مليئًا بالرسومات الرائعة، ولكنه انتفض فجأة حينما وجد نفسه يقرأ ما هو مكتوب على الحائط.. دون معرفته باللغة الهيروغليفية، ولكنه كان يقرأها كما كان يقرأ العربية مما زاد من رعبه..

رفع المصباح للأعلى ليقرأ ما هو مكتوب بدقة.. فتسارعت دقات قلبه مع كل حرف يقرأه:

يا من تسكن خلف الأبواب المغلقة..

إني أنتظرك..

يا من توجد خلف الجدران..

إني أنتظرك..

فلتأتِ عبر الزمان حيث لا يقف أمامك حائل..

لتقتص لعناتك المقدسة ممن ينتهك أسرار المعبد المقدس..

إني أنتظرك..

شعر جاسر بدقات قلبه تتسارع وتتسارع، وتطفو في عقله آلاف الذكريات دون سبب أو تفسير.. وهو يقترب أكثر من الحائط المجاور ليقرأ بقية الطلاسم:

لقدأتيت عبر الزمان.. بجوارك للأبد..

يامن جئت لتسرق لن أسمح لك بتدنيس المقبرة..

فأنا حامى أم تب وا سو المكرمين في سطور الخالدين..

لقد جئت أحوم حولك لأحميك أيها الكاهن الأعظم..

لقد أتيت أدافع عنك..

إن قوتى تعضد ظهرك وقوتى ستكون ورائك للأبد..

كل يد تمسك تنقطع.. كل أنف تشمك تسقط.. كل عين تراك تنطفئ

فلتنهض يا صاحب الجلالة..

يا من يحيطك اللهيب يا من تأتي من انو .. لم أرتكب إثمًا..

يا ملتهم الظلال يا من أتيت من كرتيت .. لم أقتل ولم أرتكب ذنبًا..

يا من عينيك من النار يا من أتيت من ساوت..لم أسلب كاهنًا أو ملكًامقدسًا..

يا ملتهم الدماء يا من أتيت من حجرة الذبح..لم أفعل الغش..

يا من وضعت رأسك موضعه يا من أتيت من عرشك..لم أسرق توابيت الموتى المقربين..

وقتها لم يتمالك جاسر نفسه.. فخرَّ جالسًا على الأرض.. كان الظلام قد بدأ يحيط بالمكان، رغم الضوء القوي الذي يشع من مصباحه المشحون.. كانت الغرفة تدور بجاسر دون سبب مفهوم كان يشعر أنه الآن في رأسه.. صداع قاتل ودوار يلم به.. فأصبح التنفس الآن أكثر صعوبة.. بدا مرتعبًا أن تكون نهايته هنا دون مساعدة.. كان العرق ما زال يتصبب غزيرًا وكأنه في بركة ماء.. امتدت يده إلى هاتفه المحمول وأخرجه محاولًا الاتصال بأي نجدة، ولكنه سقط من يده ليسقط هو الآخر في غيبوبة عميقة..

*

لم يدرِ جاسر كم مرَّ عليه من الوقت وهو في تلك الغيبوبة ولكنه حينما فتح عينيه أدار بصره في المكان محاولًا أن يتذكر أين هو ؟ وما الذي ساقه إلى هذا المكان المقبض..

كانت الأحلام الغريبة لازالت تطوف برأسه وهو لا يزال بتلك الغرفة المظلمةأخذ يبحث بجواره عن المصباح الكهربي، ولكن لدهشته وجده قد انطفأ لانتهاء شَحنه.. مدَّ يده إلى هاتفه ولكنه فوجئ أيضًا بأنه لا يعمل..

استند إلى الحائط وتحسس طريقه صاعدًا إلى الأعلى حتى وصل أخيرًا إلى الغرفة الخارجية.. وكان ضوء القمر يتسلل إليها في هدوء، وقتها تأكد جاسر أنه قد مرَّ عليه وقت طويل وهو في تلك الغيبوبة.. كان لا يزال يشعر بدوَّار وإرهاق شديد، وكان يشعر بالعطش الشديد..

نظر خارج المنزل ليرى هل الخفير المكلف بالحراسة جالسٌ على ذلك المقعد الخشبي بجوار الباب، ولكن كعادته لم يجده في مكانه فتسلل إلى خارج المنزل.. وذهب إلى سيارته التي تركها على بُعد عشرات الأمتار.. راوده ذلك الإحساس بأنه مراَقب. فالتفت خلفه فجأة لكنه لم يجد أحدًا..

كان يتساءل في أثناء سيره إلى السيارة.. كم مضى عليه في غيبوبته تلك؟ أي روح تتلبسه وتطوف به في أنحاء المعمورة.. كان يشعر أن روحه تطوف إلى أماكن عدة وترحل إلى أماكن بعيدة..

ما الذي يفسر قدرته على قراءة تلك اللغة المندثرة منذ آلاف السنين، والتي لا يستطيع قراءتها سوى المختصين فقط..

دلف إلى سيارته محاولًا إدارتها، وقد قرر وقتها أن يعود إلى القاهرة ويؤجل زيارته للشيخ إلهامي إلى وقتٍ آخر. ولكن السيارة لم تدر كما هي العادة عندما يكون في عجلة من أمره.. حاول إدارة تلك السيارة العجوز مرة ثانية ولكنه فؤجيء بشخص يطرق على زجاج سيارته بعصي خشبية غليظة على زجاجها حتى كاد أن يكسرها.. فما كان من جاسر إلا أن فتح الباب بغضب قائلًا في عصبية واضحة:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

نظر إليه الرجل في هدوء قائلًا:

- أستاذ جاسر؟

نظر إليه جاسر في شكٍ مستغربًا كيف عرف الرجل إسمه، ولكنه تمالك نفسه قائلًا:

- نعم.. ماذا تريد؟

- لقد أتيت لك من طرف الشيخ إلهامي، فهل تتكرم وتأتي معي لمقابلة الشيخ؟ فهو يريدك على وجه السرعة وينتظرك .

- سأزور الشيخ، ولكن ليس الآن فأنا...

قاطعه الرجل بصرامة:

- مستحيل يا سيدي أنا مرابط بجوار سيارتك منذ عدة أيام.. والشيخ يريدك في أسرع وقت..

أصاب الذهول جاسر من قول الرجل، هل بقى في تلك الغيبوبة عدة أيام أخرى؟ ولكنه تمالك نفسه وسأل الرجل :

- عذرًا، ولكن هل لك أن تخبرني أولاً في أي يوم نحن؟ فأنا دائم النسيان..

- اليوم هو الأربعاء يا سيدي؟

تمتم جاسر بحنق:

- الأربعاء..!! ، أي لعنة تلك التي أصابتنى يا ربي..

- ماذا تقول يا سيدي؟

- لا عليك قل لي كيف عرفت أن تلك سيارتي؟ ومن أمرك بالمكوث بجانبها؟

- الحاج مراد..

- الحاج مراد.. !!!

- لقد أمرني الحاج مراد بأن أظل بجوار سيارتك التي يعرفها جيدًا، وبمجرد ظهورك، طلب مني أن أبلغك بضرورة مجيئك معي لمقابلة الشيخ إلهامي.

استدار جاسر ليعود لسيارته قائلًا:

- ربما في وقتٍ لاحق، فأنا الآن متعب وأود الرجوع إلى القاهرة الليلة..

ودلف لسيارته وأغلق بابها من الداخل محاولًا إدارتها مرة أخرى، ولكنه فوجئ بالرجل يبتسم قائلًا:

- لن تدور يا سيدي..

- لماذا ؟

- لأني أخذت البطارية..

استشاط جاسر غضبًا، وخرج من السيارة صارخًا بعصبية:

- ماذا؟!

أجابه الرجل ببرود:

- فلتهدئ من روعك يا سيدي، ولتصاحبني في هدوء لمقابلة الشيخ الهامي، وسوف يصبح كل شيء على ما يرام.

لوح جاسر بيديه للرجل في غضب قائلًا:

- لن أذهب أيها الغبي، ولو اضطررت للذهاب إلى القاهرة سيرًا على الأقدام، والآن ارحل عنّي قبل أن أرتكب حماقة معك..

- إذًا فلتعذرني يا سيدي عما سأفعله ولكنها الأوامر..

قالها الرجل وهو يرفع عصاه الخشبية فجأة مناولًا جاسر ضربة هائلة على رأسه، جعلت جاسر يفقد الوعي مرة أخرى.. فرفعه الرجل الضخم على كتفه وكأنه يحمل طفل صغير مسرعًا بالخطى نحو سيارة نصف نقل كانت تقع على مقربة منهم ليضع جاسر فيها وينطلق في طريقة إلى الشيخ..

* * *

كانت الشمس تنير الغرفة الصغيرة والتي كان جاسر يرقد على سرير بسيط بها وكان بجواره رجل جلس ليحتسي كوب من القهوة الساخنة

وهو ينتظره ليستعيد وعيه، ولم يطل الأمر كثيرًا إذ قام جاسر صارخًا دون أن ينتبه لمن يجلس بجواره:

- كيف تجرؤ وتمد يدك على أيها العامل؟ أنا ابن الكاهن الأعظم «تب رع» خادم المعبد المقدس؟ أنا من خضعت...

توقف فجأة حينما رأى ذلك الرجل وكأنه يحاول أن يستوعب ما حوله، فنظر إليه الرجل في قلق محاولًا تهدئته:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. ماذا بك يا أستاذ جاسر؟ أكنت تحلم؟ لقد أفزعتني عليك..

انتبه جاسر إلى المكان المحيط به وهو ينظر للرجل الجالس أمامه والذي لم يكن سوى الحاج مراد الذي ظل إلى جواره طوال ذلك الوقت حتى يكون أول من تقع عليه عيناه لمحاولة إفهامه أنهم كانوا مضطرين لإحضاره بهذه الطريقة لرغبة الشيخ إلهامي برؤيته.. والذي أكد لهم أن ذلك ربما يكون آخر ما يطلبه في الحياة، فكان عليهم جميعًا أن يطيعوه، وخاصة عندما أبلغهم أن سر زوال اللعنة عن قريتهم مرتبط بمقابلته مع جاسر.. حاول الحاج مراد كثيرًا حتى تقبل جاسر اعتذاره عن سوء الفهم ووافق على مقابلة شيخ يحتضر..

أشار الحاج مراد إلى جاسر ليتبعه، فخرجا من الغرفة ليفاجأ جاسر أنه داخل مغارة كبيرة جدًا تشعبت الطرق داخلها.. كان مراد يتقدمه حتى وصلا إلى مدخل كهف مغطى بقماش سميك مما يستعمل في الخيام وكان هناك رجلٌ يجلس بجوار مدخل الكهف.. فمَا لبث أن همس إليه

الحاج مراد ببضع كلمات حتى سمح لهم الرجل الجالس بالدخول.. عندها فهم جاسر أن الشيخ إلهامي يقبع داخل هذا الكهف..

دلف جاسر إلى داخل الكهف والذي كان مجهزًا من الداخل بعدة بطاريات أنارته موجهًا ضوءها إلى سقف الكهف، بينما كان هناك سرير بسيط تمدد عليه عجوز يبدو عليه الإعياء الشديد.. وقد جلس على الأرض صبي صغير لا يتعدى الثانية عشر من عمره، هبَّ واقفًا بمجرد دخولهم.. واقترب من العجوز مربتًا بخفة على يده قائلًا:

- جد.. لقد وصل الغريب يا جد..

فتح الرجل عينيه ليرى الشخصين، واتجه بنظره ناحية جاسر مثبتًا نظراته عليه.. أما جاسر فشعر في وقتها أن الرجل يمتلك نظرات غير طبيعية، وكأن بدزميران استولى على روحه هو الآخر.. فكان يشعر بحديث الرجل مباشرة في عقله دون أن يتكلم، مما جعله يرتعد أكثر من المكان الموجود به وهذا الجو المحيط..

تحدث إليه العجوز بوهن واضح قائلًا:

- اقترب يا ولدي، فأنا لا أستطيع الحديث بصوت عالٍ..

ثم التفت إلى الصبي قائلًا له:

- وأنت يا عمر.. اخرج مع الحاج مراد، ولا تدخل إلا عندما أستدعيك، ولا تجعل أي شخص يقترب أو يدخل إلا بعد أن تستأذنني.

أومأ الصبي برأسه قائلًا:

- أمرك يا جد..

ثم أشار الصبي للحاج مراد قائلًا:

- هيًا بنا ننتظر في الخارج يا عم مراد.

وخرج الصبي مع الحاج مراد تاركًا جاسر مع الشيخ إلهامي أخيرًا وجهًا لوجه، والذي بادره قائلًا:

- اسمعني جيدًا يا ولدي.. أتمنى ألا يكون الوقت قد تأخر.. أعلم أنه بداخلك، أنا أشعر بك جيدًا.. لقد لمحته في عينيك منذ أن وطأت قدماك هذه الغرفة.

ارتبك جاسر من نظرات العجوز وحديثه فقال بتوتر:

- أنا لا أعلم عما تتكلم..

- يا بني لا تكابر.. لقد كنت مثلك تمامًا منذ أكثر من خمسين عامًا وأصبت بفيداخ..

- فيداخ؟ !!

- نعم هذا هو اسم ذاك الكائن الذي أصابني وقتها.. نفذت جميع أوامره حرفيًا.. حتى تحل عنّي اللعنة المقدسة، إنها ذات اللعنة التي أصابتك.. فلا تكابر واسمع لما سأقوله جيدًا، وعليك تنفيذه حرفيًا فليس هناك وقت.. اقترب منّي ولا تخف.

اقترب جاسر أكثر من العجوز وجلس على أريكة بسيطة بجوار سرير الشيخ إلهامي، والذي بدأ في السرد وكأنه يحكي قصة قديمة لا يعلمها أحد.

- منذ فترة كبيرة جدًا كنت أعمل في التنقيب على الآثار، فهي مهنتي أبًا عن جد.. ولن أحدثك عن الأفاعيل الشيطانية التي كنت أتبعها على يد جدي والذي أخذت العهد على يديه في كيفية التنقيب عن الآثار.. وأثناء حفرنا لأحد المقابر في الصحراء البعيدة.. كنا وقتها أربعة رجال، جدي الذي كان يقوم بإلقاء التعاويذ لصرف الرصد وأنا ومساعد لنا والتابع..

كان أصغرنا التابع فكان في العشرين من العمر، وكنت وقتها في أواخر الثلاثينات وكنا نبحث لحساب أحد الأشخاص في القرية والذي كان مهتمًا بالبحث عن الكنوز.

قاطعه جاسر قائلًا في لهفة:

- هل فعلًاأسطورة الرصد صحيحة يا شيخ إلهامي..

- أنصت إليَّ يا ولدي ولا تقاطعني حتى أفرغ من كلامي وسوف تعرف كل شيء في حينه.

- معذرة يا شيخ إلهامي.. فلتتفضل.

أخذ الشيخ نفسًا عميقًا ليكمل:

- وقعنا على كنز مدفون في هذا المكان، ونزلنا للمقبرة وكان هناك تابوت والعديد من الصناديق المحتوية على كثير من الذهب، ولكن كان هناك صندوق أبنوسي الشكل أخذه جدي، علاوة على مكافآتنا عن الكنز.. وقد أخذ الرجل الصناديق وترك أشياء بسيطة، لم يعِر لها أي اهتمام في ذلك الوقت..

مجرد برديات وعده أطباق وأدوات للمومياء.. ثم أغلقنا المقبرة إلى الأبد.. حمل مساعد جدي الصندوق، والذي كان يحتوي على خمس عشرة بردية.. أما التابع لنا فكان دائم الأسئلة عن ذلك الصندوق الذي فضله جدي على بقية الصناديق.. بالطبع كلنا لم نهتم وقتها إلا بنصيبنا من الذهب فقط..

أخذ جدي الصندوق واجتمع هو ومساعده لوقت متأخر في تلك الليلة، أما أنا فنمت قرير العين وفي يدي نصيبي الذي كان يتعدى العشرات من الجنيهات وقتها.. وبعد أسبوع واحد صحونا جميعًا على ظهور لعنة ما في القرية.. حرائق تقوم ليلًا وتنطفئ دون أي سبب.. اشتعال النيران ببعض بيوت القرية، وبيتنا كان من أوائل البيوت التي نشبت بها النيران.. وامتدت إلى البيت المجاور لنا وهو بيت المساعد والذي قضت عليه هو وزوجته وأولاده..

أما نحن فقد حرقت النار المنزل بأكمله، وللغرابة أنها لم تمس غرفة جدي وقتها، وهو لم يخرج من الغرفة رغم صراخ أهل القرية.. بعدها قال لي إنه لو كان قد خرج لالتهمته النيران فقد كان بحمايته لأنه يريد البرديات سليمة أكثر من روح جدي..

لم أعِ ما يقول وقتها حتى أخبرني بكل شيء فيما بعد، وبدأ بعض أهل القرية يشاهدون الجن في بعض المنازل في صور عديدة، على هيئة قِط أو كلب يقومان بأفعال غريبة، وأنا شخصيًا رأيت ما لن أقدر على سرده لك، ورأيت أيضًا نوعًا من السعار يصيب أهل القرية..

كانت مأساة وقتها، ولكني ربطتُ ما حدث من تلك الأحداث بماأخرجناه من الكنز المدفون، كان يا ولدي شيئًا مرعبًا ولكنها الحقيقة..

أصر جدي بعد ذلك على استكمال مشواره والذي اتفق هو ومساعده على المضي به، ولكن القدر كان أرحم على المساعد من جدي..

نعم لا تندهش يا ولدي.. القدر كان أرحم عليه رغم ميتته البشعة فقد كان لجدي شأن آخر.

استدعاني جدي بعد ذلك بيومين، فهو لم يعرف الرموز الفرعونية بعكس مساعده الذي احترق في بيته.. ولقد كنت أعلمها وأحفظها وأترجم ما كان يكتب على المقابر والتوابيت الفرعونية.. المهم أن جدي أخبرني بالسر الأعظم المدفون داخل هذا الصندوق الأبنوسي.. سر يستطيع معه الحصول على كنوز الأرض عن طريق الجن.. فالجن مسخرون لحراسة تلك البرديات..

وقد علم تلك الأسطورة من أبيه، فقد توارث الجميع أساطير موجودة ومتوارثة منذ مئات السنين عن صناديق مدفونة في مقابر ما تستطيع أن تجعل من يمتلكها ملك هذا الزمان.. مال لا يُعد.. قوة لا تقف أمامها قوة أخرى على سطح الأرض..

لم أصدقه في بداية الأمر، ولكن جدي عرض عليَّ البرديات.. كانت تتحدث عن لعنة ما تصيب كل من يمتلك تلك البرديات وتهدده بأبشع الميتات، ولكن جدي أصر على الاستمرار..

لم أقوَ على الاستمرار حينها في ترجمة الكلمات التي حوتها تلك البرديات.. فقد أصابتني رعشة مفاجئة وذهبت في غيبوبة لا أدري ما سببها، ولكن عندما أفقت لم أكن وحدي بالغرفة.. لقد كان معي...

لا أستطيع أن أصفه لك.. فأنت تعلم عشيرته.. هو أكيد من نفس الجنس.. نفس الرصد الحارس للبرديات الملعونة.. لا أدري ما حدث بعدها ولكنه استقر في رأسي.. كان يأمرني بأن آخذ البرديات بأي شكل وأن أقوم بدفنها في المكان المنير الذي سوف يحدده لي.. بإشارات معينة.. وإن لم أفعل فسوف تظل اللعنة تطاردنا للأبد..

وبالفعل.. زادت الحوادث في القرية بشكل مرعب، وكان جدي يحتفظ بالبرديات في مكان لا أعلمه، فلقد بحثت في كل مكان ولم أجدها.. كان جدي يحاول إقناعي بالتعاون معه في ترجمة الطقوس الموجودة في أول بردية وكان يقول أن اللعنة ستتفاقم فقط حتى نتجاوز تلك المرحلة ثم نستطيع إجبار الجن على مساعدتنا.. بشرط أن أقوم بالترجمة..

كان لا يأمن للاستعانة بأي شخص غيري.. وكما كان يلح عليَّ كان المخلوق يأمرني أن أحصل على تلك البرديات لأدفنها مرة أخرى حيث يأمرني.. ولكن أين؟ وكيف أصل إليها وهي في حوزة جدي ليل نهار هو يأمر فقط وأنا أطيع فقط، أما المكان فهو لا يتحدث عنه.. وكأني يجب أن أعلم وحدي..

يومان فقط وأصيب جدي بشلل رباعي كنتيجة لإصابته بجلطة في المخ لم تفلح محاولات الطبيب لنجدته.. ولا يدري أحد ما السبب في تلك الجلطة، فهو لم يشكُ طوال أعوامه التسعين من أي مرض بل كان

يتفاخر بصحته.. وبالطبع كنت أنا من أقوم بخدمته.. استمر الأمر على ذلك المنوال حتى اكتشفت بالصدفة أن جدى قام بإخفاء البرديات في ذلك المذياع القديم العاطل عن العمل.. واكشفت ذلك صدفة عندما كنت أقوم بنقله خارج الغرفة بسبب الزيارات المستمرة من أهل القرية..

على الفور أخفيت البرديات عن الأعين وتوصلت إلى الصندوق الفارغ وصممت على عودة ذلك الصندوق بجميع محتوياته إلى حيث يدلني ذلك المخلوق لتنتهي تلك اللعنة إلى الأبد..

كان المخلوق معي يرشدني ليلًا إلى ذلك المكان الملعون.. لن أخبرك عن مدى رعبي مما قمت بفعله وقتها، ولكن كان عليَّ إنقاذ القرية وإنقاذ جدي.. وبالفعل كانت البيوت هناك كثيرة جدًا في تلك البقعة، وذلك قبل إخلائها لأنها أصبحت في مجرى السيل.. وكان من المستحيل أن أكتشف البيت مرة أخرى بدون مساعدته..

كنت أشعر أنى أسير وهو من يقتادني إلى المقبرة حتى وصلنا أخيرًا.. عندئذ دفنت الصندوق في المقبرة وأغلقتها إلى الأبد، وخرجت سريعًا، وقد تركت المخلوق هناك إلى الأبد أيضًا في تلك المقبرة كما كان الاتفاق بيننا على زوال اللعنة ..

لكن جدي لم تزل لعنته.. ولم يزل مرضه، بل على العكس كان كل يوم أسوأ من اليوم الذي يسبقه.. والأدهى من ذلك أن جدي كان قد أخبر التابع بكل أسرار الصندوق، والذي أتى إليَّ بعد فترة قائلا إنه يريد مساعدتي وأنه لابد من امتلاكنا نحن هذا الصندوق.. وأننا في يدنا أن نملك كنوز الأرض..

كان جدي يخبره بتلك الأحلام والطموحات دون أن يخبره باللعنة التي بين السطور.. ذلك الكائن الغريب.. الذي ينتظر مئات السنين لينقضّ على من يهمس بتلك اللعنة المقدسة..

وعبثًا حاولت إفهامه خطورة ذلك الشيء دون جدوى.. وأخيرًا أخبرته أني قد دفنت تلك البرديات إلى الأبد، وأني لن أسمح له أبدًا بإيقاظ تلك اللعنة مجددًا.. وتشاجرنا كثيرًا وطردته من خدمتنا، وصممت أن أهجر تلك المهنة الملعونة إلى الأبد..

أما جدي.. فكان لحمه يذوب من المرض.. واستمر في مرضه طوال ثلاث سنوات كاملة أخدمه فيها.. ولا أخفيك سرًا أني كنت أتمنى له الموت ليل نهار.. فقد كان يصرخ طوال الليل وأحيانًا يظل مستيقظًا عدة أيام يهمس بشفاهه وكأنه يحادث أناسًا من عوالم أخرى.. وقد كانت ملامحه طوال تلك السنوات مرعبة.. حتى رحمه الله بعد طول عذاب وبعد ما لاقاه عقابًا على فعلته تلك.. ولن أحكي لك عما لاقيناه لدفنه وما وجدناه حتى داخل قبره، فليس ذلك مجال لحديثنا..

قاطعه دخول الصبي فجأة إلى الداخل قائلًا:

- جدي.. عم مراد يريدأن يستأذنك للذهاب إلى صلاة الجمعة..

نظر إليه جاسر ذاهلًا :

- الجمعة!!!، أعتقد أن اليوم هو الأربعاء..

تجاهله العجوز وهو ينظر للصبي ويقول :

- أخبره أن يذهب يا عمر.. ولكن ليأتِ سريعًا قبل صلاة العصر، وذكّره ألا ينسى أن يذهب لتلك المهمة التي أخبرته بها بالأمس.. نبهه على ذلك يا عمر، لا تنسَ يا ولدي

أومأ الصبي برأسه قائلًا:

- سيحدث يا جدي.

وما إن غادر الصبي حتى التفت الشيخ إلى جاسر قائلًا:

- نعم يا ولدي اليوم هو الجمعة يبدو أن قوة الضربة جعلتك تفقد وعيك منذ مساء الأربعاء حتى صباح اليوم.

- يبدو أني سأجن عمًا قريب يا شيخ إلهامي، المهم ماذا حدث بعد ذلك؟ هل انتهت اللعنة بعد ذلك؟

- نعم يا ولدي انتهت من القرية ولم تعد، ومن وقتها وأنا لم أعمل بتلك المهنة، ولكني اتجهت إلى فك السحر بجميع أنواعه.. لقد تبت إلى الله عما فعلته في حياتي السابقة.. وذهبت للحج مرتين وحفظت القرآن، وطوال تلك الأعوام كنت أعد لآخرتي وأنا أظن أن الأمر انتهى.. حتى ذلك اليوم المشئوم..

فمنذ رحيل التابع عن القرية انقطعت أخباره فترة كبيرة، ولكنه عاد للظهور في القرية مرة أخرى بعد سنين عدة، وكان قد تعلم كيفية استخراج الكنوز عن طريق بعض الجماعات المتخصصة بالسحر الأسود والطقوس الشاذة. لقد ظهر مرة أخرى ليكمل بحثه عما يتخيل أنه أعظم كنوز الأرض كما حدثه جدي. فقد كان يبحث عنه في كل مقبرة يفتحها..

في بداية الأمر كان غير مرحب به في القرية، لكن مع استخراج بعض الكنوز تقرب منه البعض وذاع صيته، وتقابلنا في عدة مناسبات كان يطلب مني دائمًا أن أساعده بأي صورة، وخاصة أن كل من يفك الرموز الفرعونية أصبحوا معدودين، كما إني على دراية كاملة بكل رموز تلك اللغة.. لكني رفضت رغم كل الإغراءات..

كانت تأتيني أخباره من بعيد وكل فترة كنت أراه.. ومرت سنوات وسنوات وسنوات.. حتى فوجئت به من عدة شهور يأتي إليّ فرحًا سعيدًا قائلًا إنه وضع يده أخيرًا على البرديات المقدسة.. ووضع أمامي ذلك الصندوق.. كان صورة طِبق الأصل من الصندوق الملعون والذي أخفيته من عشرات السنين وبداخله كانت توجد بردية والتي تشبه تلك التي قرأتها منذ عشرات السنين.

- لا تقل لي إنه؟

- نعم يا ولدي هو ذاته التابع لنا.. هو الشيخ حسن.. أتى إليّ مهرولًا ومعه إحدى البرديات التي حصل عليها، وطلب منّي أن أساعده مقابل أي شيء أطلبه.. وقتها دار بيننا شجار عنيف بعد أن حاولت أن أخبره وأفهمه أن ما فتحه سيجر الخراب مرة أخرى على القرية وعليه شخصيًا.. لكنه كان كما الأصم لم يسمع كلمة مما أقول..

كان عليّ أن أطرده فورًا ولكن دون سبب احتفظت بالبردية على أمل أن أقوم بإرجاعها مرة أخرى إلى تلك المقبرة التي وجدت بها.. بل وأرسلت في أعقابه رجالي لمحاولة البحث عن ذلك الصندوق مرة أخرى، ولكنه اختفى كمن ابتلعته الأرض.. أخفيت البردية في هذا الكهف وصممت أن

أحمها أنا ورجالي حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.. وفشلت محاولاتي في البحث عنه وبدأت اللعنة في الظهور في القرية مرة أخرى..

وعلمت بعد ذلك عن طريق الحاج مراد بوفاة الشيخ حسن بطريقة بشعة هو وأحد الأشخاص، وأعتقد أنه من كان يقوم له بالترجمة في أحد المنازل المهجورة لاستعمالها في تحقيق أهدافه وطموحاته التي ظل يحلم بها طوال كل هذه السنوات.. واختفت البرديات بموت الشيخ حسن.. لم نكن نعلم من أخذها، فقد يكون ابن أخيه والشخص الوسيط وهناك تلك البعثة..

قاطعه جاسر متسائلًا :

- تقصد بالوسيط مجدي.. أليس كذلك ؟

- نعم.. نعم هو مجدي.. فقد فشلت جميع محاولاتنا في البحث عن الحقيقة.. وما إن تأكدنا أن مجدي قد حصل على البرديات من أحمد وأنه سيبيعها حتى مات هو الآخر بنفس طريقة حسن.. واختفت البرديات إلى الأبد..

كنا يا ولدي ندور في حلقة مفرغة حتى ظهرت أنت.. وقتها علمت أن وراءك سرًا، وإنك تسعى وراء البرديات،وطلبت وقتها أن أراك في أقرب فرصة لأني أشعر بدنوّ أجلي، وفشلي في رفع اللعنة عن القرية..

لقد أرسلت في طلبك لمجرد شكّي، ولمجرد محاولة من رجل يحتضر يريد معرفة الوسيلة التي ستتخذها لإنقاذنا من اللعنة.. وعلمت أنك على وصول، وكنت أعلم أنه لو صدق حسي ستكون أول خطواتك إلى ذلك المكان الذي بدأت منه الأحداث.. فأخبرت الحاج مراد أن يجعل أحدهم

يجلس بالقرب من المقبرة ليل نهار، وإبلاغه عن أي غريب يقترب.. وصرفنا ذلك الخفير المقيم هناك حتى نفتح لك المجال للدخول..

وفعلًا أتيت إليها وتم إبلاغ الحاج مراد، لكنك لبثت كثيرًا في الداخل فأمرت مراد بعدم الدخول عليك والتدخل فيما لا يعنيه.. هو مصيرك وقدرك وعلينا فقط الانتظار حتى تخرج..

وخرجت وأحضرناك إلى هنا بهذه الطريقة فقط لأني لا أضمن أن أظل حيًا حتى تأتي يا ولدي.. وحينما رأيتك شعرت به داخل عقلك.. لقد شعرت به يتملكك ويجري في دمائك.. ولذلك أعطيتك سري.. صدقني أشفق عليك يا ولدي مما ما هو مقدّر لك.. عليك فقط إطاعته والبحث عن الأربع برديات حتى تجتمع مرة أخرى تحت يديك.. وتعيدهم إلى المكان المنير الذي سوف يدلك عليه .

تنفس جاسر بعمق وهو يتراجع في مقعده قائلًا:

- يا لها من قصة غريبة يا شيخ إلهامي.. !!

نظر إليه الشيخ قائلًا:

- الآن فلتخبرني بكل ما لديك يا ولدي لنقرر معًا ما الخطوة التالية..

* * *

بعد انتهاء صلاة الجمعة نظر الحاج مراد إلى ساعته وذهب في طريقه مسرع الخطى.. فقد كان لديه موعد آخر ثقيل على نفسه.. كان لا يريده أبدًا.. ولكنه الشيخ إلهامي حكيم القرية.. تتلمذ الكثير على يديه.. فهو

يعتبر الأب لكثير من أبناء القرية.. كان الكثير يحترمه ويكنّ له أقدس المشاعر.. لم يكن يتخيل كيف تكون بلدته بدون الشيخ إلهامي..

اقترب أكثر من ذلك الشيخ الضرير الذي يجلس في بيت بسيط يطل على المقابر وبجواره شابان يجلسان في هدوء.. فبادره قائلًا:

- السلام عليكم يا شيخ زايد..

هتف الشيخ الضرير:

- عليكم السلام.. مَن ؟ الحاج مراد..

- نعم يا شيخ.. أريد أن.. أن...

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. هل آن الأوان يا حاج .

- لا يا شيخ زايد، لكنه يصر على فتح المقبرة اليوم وتهويتها وتجهيزها..

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

وأمر الشابين بتجهيز الرمل ومفاتيح مقبرة الشيخ إلهامي..

تركهم مراد وهو يقترب من مقبرة ما وسط المدافن وهو يقرأ الفاتحة، ويدنو منها حتى جلس إلى جوارها.. وهو يشعر بأن الأيام القادمة سوف تحمل ما كان الجميع يخشاه..

ألقى التحية على الشيخ زايد مودعًا وتوجه مرة أخرى نحو الجبل لمقابلة الشيخ إلهامي بعد أن فرغ من تلك المهمة الثقيلة..

* * *

اعتدل جاسر بعد أن قصَّ على الشيخ إلهامي ما حدث قائلًا:

- هذا كل ما حدث يا شيخ إلهامي.. وإلى ذلك الوقت لا أدري كيف سأحصل على البرديات..

- أنت الآن لديك برديتان.. وأنا لدي واحدة.. وبذلك تتبقى برديتان، وهذا شيء جيد.. وبذلك نكون قد اقتربنا من إنهاء اللعنة .

- ولكن ماذا عن التابوت؟

- هو يهمه البرديات أكثر من التابوت أو المومياء يا ولدي .

- ولكن أين الباقي؟

- كما أخبرتك مجدي قد مات وأخذ السر معه، هذا إن لم يكن لزوجته شأن آخر.. وإن كنت أعتقد أن لتلك المرأة سرًا لا تستطيع البوح به..

- سأقابلها مرة أخرى يا شيخ إلهامي.. وأدعو الله أن أصل معها إلى حلّ.

- فليكن الله يعونك يا ولدي.. والآن اقترب منّي ولتمد يدك أسفل تلك الوسادة، ستجد جريدة بها ظرف أصفر اللون كبير وبداخله ظرفان أحدهما أبيض يحتوى على أربع برديات قديمة، كنت محتفظًا بها من إحدى المقابر، وهي ليست ذات أهمية كما أعتقد، ولكن أنا على ثقة أنك ستحتاجها في وقت ما.. لا تسألني كيف عرفت ولكن فلتحفظ بها لأوانها..

أما الظرف الآخر فهو في كيس بلاستيك بداخله البردية الملعونة والتي أخذتها من الشيخ حسن، فلتأخذها ولتسِر في طريقك، وأدعو الله وأنا على فراش الموت أن تنجح في إزالة اللعنة عن القرية.. كنت أود أن أنير لك طريقك ولكنه مقدر لك يا ولدي طريق عليك أن تسير فيه وحدك ودليلك هو المخلوق.. وإلا ظل كل شيء كما هو.

تنهد جاسر قائلًا:

- تلك مهمة ثقيلة.. أدعو الله أن أكون قادرًا على تحمُّلها .

أومأ الشيخ برأسه في إرهاق:

- ستقدر عليها يا ولدي، أنا على تمام الثقة.. وكن على ثقة أن الجميع هنا وراءك.. لن يتركوك لحظة.. وسيكونون من خلفك دون أن تشعر بهم.. وإذا احتجت أيًا منهم فلتخبر الحاج مراد..

اقترب جاسر من سرير الشيخ إلهامي ومدَّ يده في بطءٍ تحت مرقد الشيخ حتى وصل إلى جريدة جذبها بهدوء ثم فتحها ليجد الظرف الأصفر .

بعد أن أخذ جاسر الظرف نادى الشيخ على الصبي:

- يا عمر..

دخل الصبي سريعًا إلى داخل الكهف واقترب من الجد الذي أشار إليه قائلًا:

- فلتقم بتوصيل عمك جاسر إلى سيارته بعد أن جهزت..

ثم التفت إلى جاسر قائلًا في وهن:

- كنت أتمنى يا ولدي أن تظل معنا اليوم في ضيافتنا، ولكن هناك أشياء ستحدث، ولا أريدك أن تكون هنا عند حدوثها.. اذهب يا ولدي اذهب، وليكن الله بعونك أينما كنت..

اقترب جاسر من الشيخ إلهامي مصافحًا إياه في وداع.. وأخذ الظرف الذي فيه البرديات وخرج سريعًا وهو يسرع الخطى خلف ذلك الصبى..

* * *

طوال الطريق وهو يقود سيارته إلى القاهرة كان جاسر يربط الأحداث جميعًا بعضها ببعض، منذ بداية دخول البعثة إلى المقبرة وكيفية حصول مجدي وأحمد على البرديات.. ومغامرته في الصعيد حتى وصل إلى البردية ..

الآن يتبقي لديه برديتان فقط ويتخلص من ذلك الكابوس الذي ظل يؤرقه طوال الأسابيع الماضية، ولكن السؤال.. أين التابوت والبرديتان المتبقيتان؟ هل حصل أحدٌ عليهم؟

الشيء المؤكد أن مجدي لم يقم ببيعهم، بل حاول قراءة التعاويذ أو بدأ فعليًا في عرضهم للبيع، وبالتالي أصابته اللعنة القاتلة ومات.. ومات معه سر مكان البرديتين والتابوت..

وصل جاسر أخيرًا إلى منزله ودلف مباشرة إلى الغرفة الفارغة بعد أن أخفى البردية الثالثة مع باقي البرديات بنفس الطريقة السابقة.. أما الظرف المحتوي على أربع برديات قديمة فأخفاها في ظهر الثلاجة..

ثم دلف أخيرًا إلى غرفته.. ليرتاح قليلًا من عناء السفر .

لم تمر عدة ساعات حتى فوجيء جاسر بطرقات متتالية على باب الشقة تتبعها دقات متسارعة من الجرس..

فزع جاسر وقام مرتاعًا ليفتح باب الشقة.. فوجد عدة أشخاص تقدم أحدهم قائلًا في صوت خشن:

- أنت أستاذ جاسر؟

نظر إليهم جاسر بإرهاق ورد قائلًا:

- نعم...

- أنا المقدم محمد أمين من مديرية أمن القاهرة.. أرجو أن ترتدي ثيابك وتتفضل معنا إلى المديرية.. وهذا أمر التفتيش.

وأمر رجاله بالانتشار في أرجاء الشقة والبحث عن شيء ما.. لم يدر جاسر لماذا دبَّ الشك في قلبه عمَّا إذا كان هؤلاء رجال شرطة فعلًا.. فطلب منه إبراز بطاقة تحقيق الشخصية الخاصة به..

ابتسم الضابط وناوله إياها قائلًا:

- تفضل ها هي.. اطمأننتَ الآن؟ !

نظر إليه جاسر متسائلًا في توتر:

- خير؟ أنا لم أرتكب أي خطأ..

تقدم أحد العساكر إلى المقدم قائلًا:

- لا يوجد أي شي يا سيدي.

- حسنًا..

والتفت إلى جاسر قائلًا:

- وأنت سوف تعلم هناك كل شيء..

- لن أتحرك إلا بعد أن أعرف ما الذي يدور حولي..

- في هذه الحالة سأقبض عليك على الفور، دون حتى أن ترتدي ملابسك..

قالها وأصدر أوامره إلى اثنين من العساكر بالقبض عليه وجذبه خارج الشقة قائلًا في عصبية:

- أنت متهم بقتل شخص أجنبي بعد تعذيبه.. إنجليزي الجنسية يدعى إيزاك إيفوم.. أتريد شيئًا آخر؟

انطلق الضابط ورجاله وهم يصطحبون جاسر، غير مبالٍ بصرخات جاسر ونفيه أنه لا يعرف أبدًا شخص بهذا الاسم ..

* * *

هتف راشد بجاسر في غضب:

- لماذا لم تتصل بي ياجاسر عندما اقتادوك؟ لقد مرَّ على احتجازك يومان.. لماذا لم تقل لهم إنك تريد أن تتصل إليَّ ؟

- قلت.. لقد طلبت منهم ذلك يا راشد.. ولكن لم ينصت إليَّ أحد إلا في الحجز عندما اتصلت بآدم، وهو الوحيد الذي أحفظ رقمه ليبلغك بما حدث لي..

- لا تقلق بالتأكيد إن في الأمر سوء تفاهم.. أمتاكد أنك لا تعلم أي شخص يهودي الأصل يا جاسر.

- هل تخرف يا راشد.. يهودي؟ وأقتله؟ وأعذبه؟ كيف؟

- كل ما علمته أنهم وجدوا كارتك الشخصي في ملابسه.. وهم لازالوا في مرحلة التحريات..

- هم لم يوجهوا لي أي أسئلة إلا عن شخص يدعى إيزاك.. انتظر ماذا قلت.. وجدوا الكارت الشخصي الخاص بي لديه؟!!، شيء غريب فعلًا .

- تذكر يا جاسر أهناك أي شخص أجنبي التقيت به في الآونة الأخيرة؟

- شخص أجنبي؟ لقد قابلت أحدهم بالفعل في الأسبوع الماضي.

- مَن هو؟ ولماذا قابلته وأين؟

- لا أتذكر السبب، ولكني أتذكر أني قد أعطيته الكارت الخاص بي..

- يا جاسر إن موقفك سيء، لقد تعرَّف بواب العمارة لديك على صورة ذلك الشخص وقال إنه كان قد قابلك الأسبوع الماضي، وأنه كان ينتظرك أسفل العمارة .

- نعم.. نعم لقد تذكرت.. لماذا لم يقوموا بإبلاغي بهذا الشكل.. كنت سأقول لهم على ما أعرفه بدلًا من احتجازي في ذلك المكان القذر منذ يومين وسؤالي عدة أسئلة بلهاء.. فهم لم يعرضوا عليَّ صورته من الأصل..

- ومن هو إذن؟ وما حكايته معك ؟ ولماذا يحتفظ بالكارت الخاص بك؟

- كل ما في الموضوع أني أبحث عن سيارة جديدة بدلًا من سيارتي الدائمة الأعطال، ومنذ أسبوعين كنت أبحث عن نوع معين فاتصلت برقم كان في الجريدة، ولكن لم يجبنى أحد وبعد يوم وجدت رقمًا آخر يتصل بي مستفسرًا فأجبته عن سر اتصالي فقال إنه سيقابلني في غضون يومين ومعه السيارة لكي أعاينها.. هذا كل ما في الموضوع.

- الشخص أجنبي يا جاسر، فكيف يمتلك سيارة؟

- هذا فعلًا ما سألته عنه عندما قابلته. وقد عرَّفني على نفسه على أن اسمه هو توم على ما أتذكر. وعندما واجهته بعدم امتلاكه سيارة بحكم كونه أجنبيًا. قال إنه يعمل وسيطًا لصاحب السيارة .

- وعاينتها؟

- نعم.. ولكنها لم تعجبني، وأراني صورًا لعدة سيارات أخرى في التابلت الخاص به، واخترت سيارة بالفعل، وكان سيعرضها عليَّ الجمعة القادمة..

- ولماذا إذن أعطيته الكارت الخاص بك؟

- هو من طلب رقمي لأنه يوميًا يتلقى عشرات الطلبات الغير جدية، فأعطيته الكارت الخاص بي..

- وأين كنت طوال الأسبوع الماضي؟

- كنت في زيارة لبعض الأشخاص بالصعيد..

- صعيد..!!، لماذا؟

- لماذا؟ !!، تستطيع أن تتصل بهم أو أتصل..بهم وسيشهدون أني قد مكثت طوال الفترة الماضية هناك.. بل إن سيارتي عطبت مرة أخرى هناك..

- سيحدث.. سيحدث.. ولماذا لم تقل هذه المعلومات بمجرد وصولك؟

- و هل أنا السبب؟ قلت لك لم يواجهني أحد لا باسمه أو صورته ولا أدري لماذا أنا أيضًا هنا؟ لم يخبرني أحد حتى وصلت أنت يا راشد..

- ألديك رقم من كنت لديهم بالصعيد وعنوانهم؟

- لقد خرجت حافيًا بملابس النوم.. وتسألني عن رقم !! ، لعنة الله على تلك الأساليب التي تتبعوها في القبض على الأفراد..

- لا عليك.. فلتهدأ.. سأدخل الآن إلى رئيس المباحث وأحكي له كل شيء بالتفصيل.

* * *

كان جاسر طوال الطريق إلى منزله شارد الذهن وهو يجلس بجوار راشد الذي أقله بسيارته حتى منزله.. حتى إنه لم يستمع إلى حديثه المعتاد كان دائم التفكير في ما حدث لإيزاك؟ وكيف تم اكتشاف القتل؟ والتعذيب؟ أسئلة كثيرة كانت تدور في ذهنه ولكن بلا إجابة..

نعم كانت أزمة تعرَّض لها غير كل الأزمات التي مرت في حياته، كانت تلك الأزمة بإمكانها أن تلقي به في غياهب السجون سنوات وسنوات طويلة.. وليس لديه أي أمل في إرجاع البرديات وقتها، أو حتى تخلصه من تلك اللعنة التي ستظل تلاحقه للأبد بحيازته الثلاث برديات الملعونة..

كان عليه أن يخرج من تلك الورطة التي وضع فيها رغمًا عنه.. وكان الحل بسيط جدًا.. أن يصطنع تلك القصة ويقول إن إيزاك أو أيًا كان اسمه كان وسيطًا في تجارة السيارات بدلًا من الآثار..

وما ساعده أكثر هي شهادة الحاج مراد الذي اندهش جاسر أنه في القاهرة، وبمجرد استدعائه عن طريق الهاتف حضر مسرعًا إلى المديرية للشهادة، والغريب هو شهادته التي أدلى بها حيث شهد أنه فعلًا كان في الصعيد، والأغرب ذلك السبب الذي أخبر به المحقق، فلقد قال إنه كان

في الصعيد ليتقدم إلى ابنة أخيه هند.. ولذلك مكث عندهم من الاثنين حتى مساء الجمعة..

ولذلك تم الإفراج عن جاسر بدون حتى توجيه أي اتهام. فقط يومان في الحجز وخوضه تجربة من أسوأ ما مرَّ به.. لكن يبقي سؤال هام.. من الذي ....؟

قطع راشد حبل أفكاره وهو يقول له:

- تفضل يا جاسر، لقد قمت بفتح باب شقتك بطريقتي، ادخل ارتَح الآن بعد ما عانيته خلال تلك الأيام الصعبة، وسأمر عليك غدًا للنقاش في بعض الموضوعات.

أجابه جاسر وهو لا يزال شاردًا:

- إن شاء الله يا راشد.. سأنتظرك، ألن تتفضل بالدخول قليلًا؟

- لا.. أنت تحتاج إلى راحة.. ادخل وارتَح ولكن سوف يكون لنا كما قلت لك حديث مطول.. لأني لم أقتنع بكلمة مما أخبرتني إياه يا جاسر.. هناك سر في الموضوع.. وسوف تخبرني به إن عاجلًا أو آجلًا.

التفت إليه جاسر وهو ما زال شاردًا:

- إن شاء الله.. اعذرني الآن فأنا متعب.

ودعه راشد وانصرف تاركًا جاسر الذي دخل سريعًا إلى الغرفة الخالية ليطمئن أن البرديات لازالت في مكانها الذي خبأهم فيه.

* * *

في صباح اليوم التالي كان على جاسر أن يستأنف مهمته مرة أخرى.. كان يضع أمامه خطة بسيطة تعتمد على مواجهة فايزة زوجة مجدي ليستشف منها هل تعلم فعليًا مكان البرديات والتابوت أم لا؟

كان يتذكر مقابلة أخيه وخطيبته معها.. كان يشعر أن تلك المرأة لديها ما تخفيه.. ربما يكون مجدي قبل وفاته قد أخبرها عن مكان البرديات والتابوت ، كان الحل الأمثل هو التظاهر بأنه صديق مجدي أتى من الخارج وفوجئ بخبر وفاة زوجها.. أو حتى كان من ضمن البعثة التي قامت بالتنقيب.. أو حتى سمسار آثار مثل ذلك الأجنبي البغيض.. وقتها سيرى رد فعلها وعن طريق ذلك سيحدد هل تعلم مكان البرديات أم لا؟

دلف إلى سيارته ولكنها لم تدر كعادتها.. نزل منها وحاول إدارتها بعد أن فتح غطاء المحرك دون جدوى..

نظر إلى ساعته وهو يفكر بمشواره الهام ويفكر، فاقترب منه تاكسي حتى صار بجواره قائلًا:

- هل تحتاج أي خدمة يا سيدي؟

- شكرًا لك.. إنها السيارة، لم تدر كعادتها .

- هل أستطيع أن ألقي نظرة عليها؟ فربما يكون هناك كابل ما يقوم بتسريب كهرباء أو ما شابه ذلك؟

- حسنًا.. حسنًا، تفضل، أخشى فقط أن أعطلك..

- لا يا سيدي.. ليس هناك أي عطلة.. فقط اجلس خلف عجلة القيادة وبمجرد أن أطلب منك إدارتها قم بتشغيلها..

جلس جاسر خلف المقود. أما السائق فعبثًا حاول إدارتها عدة مرات ولكن دون جدوى فمسح يديه قائلًا:

- لن تدور يا سيدي، ولو جربت عشرات المرات إن البطارية بها ربع تالف تمامًا ولن تدور.. يلزمك بطارية جديدة .

هتف جاسر ساخطًا وهو ينزل من السيارة :

- اللعنة على تلك السيارة، وعلى البطارية أيضًا..

- أكنت في طريقك لمشوارٍ ما.. قد أستطيع إيصالك..

- في الحقيقة.. نعم هل تستطيع إيصالي لزهراء مدينة نصر من فضلك ؟

- المكان بعيد والزحام شديد.. لكن قد أستطيع أخذ الطريق الدائري ثم من القاهرة الجديدة.. تفضل بالركوب يا سيدي سوف أقوم بتوصيلك..

جلس جاسر بجوار السائق ليبدأ طريقه إلى فايزة ليحاول الحصول منها عما يفيده في البحث عن تلك البرديات.. ولكن بمجرد تحرك السيارة بدأ شيء ما يدق في رأسه وكأنه على أعتاب مصيبة أو مشكلة ما ..

كان السائق يتكلم ويتكلم دون توقف.. شعر جاسر بالغثيان من طريقة السائق في الحديث.. نظر إلى المرآة التي بجواره.. شعر وكأن هناك سيارة "فان" زرقاء اللون تتبعه.. فتتوقف كلما توقف وتسير كلما سارت السيارة..

شعر جاسر وقتها أنه مراقب.. وربما من يراقبه هو من أعطب سيارته ليقع في هذا الفخ الذي يسير إليه بأقدامه.. بل شعر أن بدزميران هو من كان ينهبه الآن، ولكن هل يستطيع أن ينقذه حال وقوع أي مكروه؟

كان ذهنه يفكر سريعًا في كيفية الخلاص من ذلك المأزق؟

أيكون ذلك السائق مشتركًا معهم في تلك المكيدة؟ بالتأكيد لا.. لأنهم لو كانوا يريدون إيذاءه لأذوه على الفور بمجرد هبوطه من بيته بجوار السيارة أو حتى قتله دون أن يراهم أحد.. هم فقط يتبعونه..

كان يشعر أن من يتبعه هم من كان يعمل لديهم إيزاك.. فربما هم يشكُّون أن له يدًا في الأمر.. وهو بسذاجته يؤكد لهم ذلك.. بسعيه إلى زوجة مجدي..

كان عقله يعمل بسرعة البرق، كيف سيتخلص من هذا المأزق بسرعة قبل أن يتوجه إلى منزل فايزة زوجة مجدي.

بل عليه الآن أن يضع في حسبانه أن السائق معهم.. وذلك بافتراض الأسوأ..

قطع أفكاره رنين هاتفه، فأخرجه من جيبه السفلي ناظرًا إلى المتصل فوجده الحاج مراد.. لم يرد عليه على الرغم من اتصاله به مرة أخرى.. أغلق جاسر الهاتف وأعاده إلى جيبه، كان لا يريد أي إزعاج حاليًا.. فقد كان متأكدًا أنه يتصل به ليطمئن عليه بعد خروجه من الحجز.. كان يريد شكره أيضًا، وكذلك الاطمئنان على الشيخ إلهامي، ولكن ليس الآن فليفرغ من مهمته قبل ذلك .

كانت السيارة قد دخلت إلى التجمع الأول حيث يندر دخول السيارات بكثرة في هذا الطريق المؤدى إلى زهراء مدينة نصر بالقرب من الطريق الدائري كان يبحث في عقله عن أي سبب يتحجج به إلى السائق، وفجأة طرأت فكرة ما في رأسه فنظر للسائق وقال :

- من فضلك هل ممكن أن تقف ولو دقيقة بجوار تلك الأشجار؟

- شيء غريب يا سيدي.

- ما هو الشيء الغريب؟

- لقد كنت سأطلب منك ذات الطلب، لأني أود أن أقضي حاجتي خلف هذه الأشجار الكثيفة..

- حسنًا أنا أيضًا..

ركن السائق السيارة بجوار الأشجار وهبط منها، واتجه ناحية جاسر فاتحًا الباب الذي بجواره قائلًا:

- ألن تهبط يا سيدي؟

- نعم سأهبط.. ولكن بعد أن تنتهي أنت.. وأيضًا حتى لا نترك السيارة هنا وحدها في هذا المكان المنعزل، اذهب أنت وعد إلى بسرعة .

- فعلًا يا سيدي.. ولكن بعد إذنك هل لك أن تناولني علبة المناديل الورقية التي تحت كرسيك؟

انحنى جاسر برأسه إلى أسفل الكرسي باحثًا عن أي مناديل، ولكنه لم يشعر إلا بضربة مفاجئة على رأسه أفقدته الوعي..

نظر السائق يمينًا ويسارًا للتأكد من أن لا أحد يراقبه.. وحمد الله أن جاسر لم تنزف رأسه حتى لا يضطر إلى غسل الكرسي مرة أخرى.. فأسند رأس جاسر إلى الكرسي الجالس عليه ثم عاد مرة أخرى إلى المقود ليأخذ من جواره هاتفه المحمول.. ويتصل بذلك المجهول وهو يقول له بصوت مرتعش متوتر:

- أين أنت؟ لقد أفقدته الوعي.. إذا لم تأتِ في خلال دقائق وتأخذه من سيارتي سأتركه في عرض الطريق..

ردَّ عليه ذلك المجهول قائلًا:

- أنا في طريقي إليك. اصمت ولا تتكلم كثيرًا .

وفي غضون دقائق كانت العربة "الفان" الزرقاء تتوقف بجوار التاكسي ليهبط سائقها بجوار الباب الجانبي ليفتحه ويحمل جاسر بسرعة ليلقيه داخل سيارته قائلًا لسائق التاكسي:

- فلتذهب الآن، ولا تنسَ إبلاغ سلامي ل...

قاطعه السائق وهو يستقل سيارته حانقًا:

- لن أبلغ احدًا شيئًا، وهذه آخر مرة أقوم بتلك الفعلة، فأنا لدي أولاد أريد تربيتهم وسأتحدث مع صاحب السيارة في ذلك.. يكفي ما حدث المرة السابقة، فأنا لست مجرمًا..

قالها وانطلق بالسيارة سريعًا ليذهب إلى حال سبيله تاركًا ذلك الرجل الغامض في اندهاشه بجوار باب سيارته الذي لا يزال مفتوحًا.. امتدت يد الغريب ليقيّد جاسر سريعًا خلف ظهره ويغلق الباب متجهًا بسرعة بسيارته إلى إحدى مناطق الفيلات المهجورة.

* * *

فتح جاسر عينيه بصعوبة بالغة.. محاولًا تذكر ما الذي أتى به إلى هذا المكان.. نظر حوله في أنحاء الغرفة التي كانت غير مكتملة البناء مما يوحي بالكآبة أكثر..

كان البلاط الإسمنتي لا زال على الأرضية وتحيط به جدران من الطوب الأحمر.. بينما كان شعاع الضوء ينسدل من فتحة في الجدار مكان نافذة لم تركب بعد.. بينما كانت أكوام الرمل مكومة في أحد أركان الغرفة..

حاول أن يفك قيده المثبت في عمود خرساني ولكنه لم يستطع.. كان يشعر تلك المرة بصداع قاتل كعادته إلا أنه كان مختلفًا.. تذكر كيف أتى بغبائه إلى ذلك المكان.. وكيف خدعه سائق التاكسي ليلقي به في هذا السجن الذي لا يعلم ما سوف يحدث له فيه إلا الله وحده..

لا يدري لماذا تذكر كوابيس بدزميران.. لماذا لا يكون فعلاً داخل أحد الكوابيس الملعونة.. وعلى الرغم من صعوبة الفكرة إلا أنها قد أراحته نفسيًا لمجرد اعتقاده أنه داخل كابوس.. كان فقط ينتظر الإشارة ليتأكد ويطمئن، والغريب أنه بمجرد شعوره أنه داخل كابوس اختفى الصداع من رأسه، مما منحه شعورًا بالاطمئنان..

لفت نظره في تلك اللحظة صوت يأتي من أعلى على أقصى يمينه فنظر ناحيته فوجد سلمًا حديديًا مثبتًا إلى جوار الجدار ينتهي من أعلى بباب خشبي، مما أكد له أنه في دور سفلي من منزل ما تحت البناء..

فتح الباب الخشبي ووجد خيال رجل في ضوء الشمس لكنه لم يتبين ملامحه جيدًا..

بدأ الرجل في النزول على السلم الحديدي حتى اقترب من جاسر.. والذي كانت ملامحه تتكون لدى مخيلة جاسر الذي كان يفتح عينيه على مصراعيها كلما اقترب منه ذلك الرجل الغامض، والذي ظل يتقدم في خطواته حتى وقف أمام جاسر مباشرة.. وقتها كان جاسر في قمة الرعب

وقد تأكد فعلًا أنه داخل أحد الكوابيس الملعونة لبدزميران.. عندما نظر إلى وجه الرجل الذي أمامه..

كان الرجل لا يحمل أي ملامح بوجهه.. كان جلده تقريبًا ذائب، وقد برزت عظام وجهه على نحو غير مألوف، ومال وجهه معها للزرقة الغير طبيعية مع لون أبيض لعظام الوجه التي كانت واضحة جدًا مع بروز مخيف لمقلتيه جعلته أشبه ما يكون بهيكل عظمي متحرك..

مد ذلك المجهول يده ليقبض على رقبة جاسر بيد فولاذية لا تتناسب تمامًا مع شكل العظام الهشة، والتي ظن جاسر معها أنه ضعيف جدًا، وقد هتف فيه بغضب :

- أخيرًا أنت هنا بين يديّ.. اسمعني جيدًا.. سأكون سعيدًا أن أراك تتعذب وأشاهد أمعاءك وهي تخرج من جسدك الذي سأقوم بتشويهه أمامك.. سأستمتع برؤية الدماء التي ستخرج من كل جزء من جسدك..

انفجر جاسر ضاحكًا وهو يقول :

- هيًا إذن ماذا تنتظر؟ لقد سئمت ألاعيبك معي، وأنا الآن أصبحت لا أصدق كلمة مما تقول.. اقتلني كما تريد فأنا أعرف خاتمتي كالعادة .

نظر إليه ذلك المجهول بشكٍ وهو يقول :

- ماذا؟!! ، كيف واتتك الجرأة لتتحدث معي بهذه الطريقة؟ أنت لا تخشى القتل؟ حسنًا أنا لن أقتلك.. لأني أحتاج أن أعلم الكثير من التفاصيل منك.. ولكن ما رأيك إن جعلتك تتذوق الموت؟ أن تشعر بالدماء تسيل منك دون أن أقبض روحك؟ أن تشعر بجزء من جسدك وتراه أمامك وتندم على أنك لم تتعاون معي من بداية الأمر، أن أضع هذا الجزء

أمامك حتى يأكله الدود وأنت عاجز حتى أن تصل إليه.. بالتأكيد هو شعور مقبض.. ماذا لو...؟

قالها وهو يتناول أداة من التي تستخدم في نزع المسامير من الخشب كانت ملقاة على الأرض بجوار الرمل، ووقف خلف جاسر.. وانتزع اصبعه الأصغر باترًا إياه في سرعة بواسطة تلك الأداة.. وسط صراخ جاسر من شدة الألم..

أخذ ذلك الرجل الغريب يضحك وهو يلتقط إصبع جاسر ليضعه أمامه على برميل مقلوب على الأرض والدماء تنزف من مكان الإصبع المبتور.. قائلًا له في سخرية:

- اصرخ وابكِ كما تريد فلن يسمعك أحد.. وزيادة في الاحتياط سأغلق فمك بلاصق حتى تتنفس بصعوبة أيها الشجاع..

وبالفعل أخرج من جيبه لاصقًا طبيًا واضعًا إياه على فم جاسر الذي كان كان ينزف بغزارة من مكان إصبعه المبتور، والغريب يكمل:

- والآن عقابًا لك على مجرد تفوهك بذلك الهراء، سأتركك هنا يومين حتى تتعلم كيف تخاطبني في المرة القادمة.. وصدقني في المرة القادمة ستكون يدك هي المبتورة..

وخرج وهو يضحك في سخرية من جاسر دون حتى أن يخبره بما يريده منه على وجه التحديد..

أما جاسر فحاول أن يصحو من النوم دون جدوى بل أخذ يدق بأقدامه على الأرض حتى يصحو دون فائدة.. كان الألم هذه المرة أفظع آلاف

المرات من أي كابوس كان يراه.. كان يقاوم الغيبوبة التي بدأت تقترب منه بعد أن فقد الكثير من الدماء..

بدأ يشعر أنه على أرض الواقع ويشعر بعجزه في قيوده، كان ينظر إلى إصبعه المبتور وهو ملقى بإهمال على سطح البرميل.. كان يتمنى أن يفك قيده ويحاول الخروج سريعًا إلى المستشفى لمحاولة إسعافه.. فقد سمع عن أحدهم الذي فقد إصبعيه ولكن تم إيصاله مرة أخرى إلى كف يده..

ولكن كل أحلامه بدأت في التبخر عندما وجد أن هناك فأرًا بحجم القط الصغير يتشمم رائحة الدماء التي نزفت منه، بل واقترب دون خوف من أقدامه محاولا الصعود إلى ظهر جاسر ولكن جاسر تحرك وركل الفأر بقدمه حتى اصطدم بالبرميل.. ولكن لدهشة جاسر فإن الفأر لم يتحرك بل فعل ما هو أكثر من ذلك، وكأنه يثأر لكرامته فصعد يتشمم على سطح البرميل حتى وجد الإصبع المبتور وسط صراخ جاسر ومحاولة إبعاده بركل أي شيء تصل إليه قدمه لإلقائها على البرميل..

ولكن الفأر لم يتحرك قيد أنملة بعد أن وجد تلك الوجبة الشهية التي لم تخطر بباله فبدأ في قضم أجزاء بسيطة وسط هستريا جاسر، الذي بدا متحسرًا على إدبعه خاصة والفأر يأخذه بعيدًا عن نظر جاسر وسط بكائه وصراخه..

كان الموقف أصعب مما يحتمل.. أحس بخدر يسري في جسده من تأثير كمية الدم التي فقدها، والصداع الذي بدأ يدب في رأسه مجددًا مع تلك الصعوبة التي وجدها في التنفس..

كان أخر ما سمعه هي أصوات جلبه في الأعلى أعقبه صوت كسر في الباب الخشبي..

وذهب جاسر في غيبوبة أخرى..

* * *

أفاق جاسر ليجد نفسه ممددًا على سرير. كانت الدنيا ظلامًا من حوله حرك نفسه يمينًا ويسارًا فتحرك بحرية.. تنفس الصعداء أنه خرج من الكابوس كعادته..

كان يشعر بألم بسيط في يده اليسرى مكان إصبعه المقطوع في الكابوس ولدهشته نظر إليه فوجده ملتفًا بقطع من الشاش الطبي.. فزع أكثر عندما اعتادت عينيه الظلام فقد كان الضوء يأتي من الخارج ملقيا بظلاله على الجدار المقابل.. وجد نفسه في غرفة بسيطة، وبها سرير ومنضدة صغيرة تراصت عليها بقية طعام وعدة شاي وقهوة بجوار موقد صغير..

حاول أن يقف على رجليه فاستند على حافة السرير، عندها عاوده الصداع فوضع يده على رأسه متأوهًا.. حرك رأسه يمينًا ويسارًا.. تناول كف يده اليسرى والتي بدأ الألم يصرخ فيها مجددًا.. وتلمس إصبع يده في ذعر قاتل.. فوجده بالفعل مبتورًا أسفل الشاش..

نظر في ساعته التي كانت تشير إلى السابعة مساءً.. كان كل همه حاليًا أن يجد طريقًا للخروج من هذا المكان.. لا يدري من حلّ وثاقه كل مايتذكره أنه كان هناك شيءٌ ما يدور في الأعلى أعقبه كسر في الباب الخشبي المؤدي إلى الغرفة السفلية..

تحرك في هدوء نحو باب الغرفة، لكنه قبل أن يخرج شعر بحركة في الركن المظلم من الغرفة مما أثار فزع جاسر أكثر فتناول سكينًا كانت على المنضدة، ولكنه سمع صوتًا يقول:

- استيقظت أخيرًا يا أستاذ جاسر؟

كان يعلم هذا الصوت جيدًا.. لكنه لا يتذكر من هو..

- لا تخف أنا الحاج مراد.

- حاج مراد.. اعذرني فأنا لا أرى جيدًا منذ فقداني للوعي مرتين اليوم.. أخيرًا وجدت وجهًا أثق به.. ماذا حدث أخبرني بالله عليك . وكيف وصلت الى هنا..؟

ربت الحاج مراد على كتف جاسر برفق قائلًا له :

- فلتجلس أولًا وتهدأ فقد نزفت كمية كبيرة من الدماء، وعليك أن تهدأ حتى لا يصيبك الإغماء مجددًا، إلى أن نستطيع نقلك إلى أقرب مستشفى..

جلس جاسر على طرف السرير الذي كان يرقد عليه وقد جلس قبالته الحاج مراد، إلا أن جاسر استدرك قائلًا :

- أخبرني أولًا.. كيف توصلتم إليّ؟ ومن قيدني؟ ومن هذا الرجل المشوّه؟ لقد كنت أشعر أني داخل كابوس ولكن بمجرد رؤية يدي أفقت على واقع لا يقل رعبًا عنه .

- هون عليك الموضوع إننا لم نتركك منذ أن أخذت البردية من الشيخ إلهامي عليه رحمه الله .

ردّ جاسر بتأثر:

- ماذا؟!، هل توفى الشيخ إلهامي؟

- نعم.. بعد آذان عصر ذلك اليوم.. وقمنا بدفنه قبيل المغرب.. سبحان الله، الرجل كان يشعر بدنو أجله..

بعد أن فرغنا من دفنه كان علينا أن نعمل بوصيته من ضرورة حمايتك وحماية ما تحتفظ به من برديات.. لا أعلم ما المقصود ولا أعلم كيف ستكون أنت سببًا في رحيل اللعنة عن قريتنا.. نحن نساعدك فقط تنفيذًا لأوامره..

- عليه رحمة الله، وماذا حدث بعد ذلك؟

- نزلت أنا إلى القاهرة ومعي عدد من الرجال، وكان علينا مراقبتك دون أن تشعر، ولكننا فوجئنا بالشرطة تقوم بحبسك دون أن نعلم حتى السبب، فكان علينا حماية الشقة من أي متطفل، وبالفعل حرسنا الشقة، وظلت أعيننا عليك، حتى من داخل الحجز ولا تسأل كيف، حتى تم استدعائي، وكان عليّ أن أساعدك، وهنا طرأت على ذهني فكرة أنك كنت لدينا لتقوم بخطبة هند حتى يكون السبب مقنعًا.. وخرجت من الحبس..

وبعد ذلك كنت صباح اليوم في طريقك إلى مكان ما، ووجدنا أن هناك من يعبث بسيارتك.. وقتها كنا نتبعك من بعيد في سيارتنا وحاولنا تحذيرك عندما وجدنا ذلك السائق يقترب منك ولكننا وجدناك قد ركبت معه.. ولذلك تتبعناك من بعيد وفي حالة الخطر كنا سنتدخل، ولكن كان يلزمنا تحذيرك فقمت بالاتصال بك ولكن لم تجب على الهاتف،

وذلك عندما وجدنا سيارة زرقاء اللون تتبعك من بعيد.. فشعرنا بالقلق واقترينا منكم كثيرًا، ولكن سائق التاكسي اختفى من أمامنا فجأة.. وكان علينا أن نتبع حدسنا ونتابع العربة الزرقاء ونحمد الله على ذلك.. كانت قد أبطأت حتى دخلت في طريق جانبي وتبعناها من بعيد حتى وجدناه يتوقف بجوار التاكسي ولم نستطع معرفة ما يحدث داخله حتى وجدنا سائق السيارة الزرقاء يرفعك إلى داخل سيارته..

كان أمامنا حلان إما أن نخلصك من بين يديه أو نتابعك من بعيد حتى يصل إلى مكان ما ووقتها نعرف ما يدور داخل هذا المكان..

- ولماذا لم تتدخلوا على الفور بمجرد اقتيادي لذلك المكان؟

- لقد أغلق الرجل كافة مداخل الفيلا.. فعلى الرغم من أنه لم يكتمل بنائها بعد إلا أن الملعون كان يحيط أغلب المداخل بسلك كهربائي.. فكان لابد من فصل التيار الكهربي أولًا.. ولم نتأخر عليك إلا فترة بسيطة كنا نحاول خلالها الدخول واقتحام المكان..

وبعدها دخل أحدنا من فتحة بسيطة بعد إزاله الكهرباء، وفتح لنا بهدوء فسمعنا صوت ذلك الرجل وهو يغلق الباب المؤدي إلى أسفل حتى فوجىء بوجودنا أمامه.. وحاول الهرب لكن ضربة على رأسه من الريس شعيب جعلته يفقد وعيه إلى الآن..

- ريس شعيب؟!!

وفي نفس اللحظة دخل ذلك الرجل الضخم الذي قابله جاسر أمام المقبرة وقد تذكر ضربته القاتلة على رأسه.. والرجل يهتف قائلًا:

- حاج مراد.. حاج مراد.. لقد أفاق الجني..

هتف جاسر مستنكرًا:

- جني؟ !!

أجابه الريس شعيب بتوتر:

- نعم.. إن هيئته وطبيعته لا تدل على أنه بشري نهائيًا يا أستاذ جاسر..

ردَّ عليه الحاج مراد بهدوء:

- يا ريس شعيب.. أتظن أنه لو كان جنيًا أكنت تستطيع ربطه بتلك الطريقة؟ أو ضربه بعصاك؟

ابتسم جاسر قائلًا:

- والله يا حاج مراد أعتقد أنه لو كان زعيم الأبالسة ذاته قد ذاق طعم ضربة من عصا الشيخ شعيب لكان قد فقد الذاكرة وليس الوعي..

ضحك الحاج مراد وحاول الريس شعيب أن يفهم ما يقصده جاسر الذي طلب منهم أن يتركوه مع ذلك الرجل الغريب فقط ليعلم من هو ومن ورائه؟ فوافق الحاج مراد مناديًا على بقية رجاله ليصعدوا للأعلى ليستكملوا إصلاح الكهرباء، أما جاسر فقد تناول سكينًا صغيرًا وهو ينظر بحسرة إلى يده المدممة.. مما جعل مراد يمسكه من كتفه قائلًا:

- لا يا أستاذ جاسر إلا الدم.. لن أسمح لك بقتله؟

ضحك جاسر بسخرية قائلًا:

- قتل؟!، ومن قال لك إني سأقتله؟ سأعلم من وراءه؟ وما الذي دفعه لتعذيبي؟ وما كان يريده تحديدًا مني؟ فلتتركني معه ولا يهبط أحدًا من

رجالك حتى أنادي عليكم إن كنتم تريدون رحيل اللعنة فليس من شأنكم أن تملوا عليَّ تصرفاتي.. فالله وحده يعلم ما بداخلي..

تركه ليهبط إلى الدور السفلي وعشرات الأفكار الشيطانية تراوده..

* * *

كان هناك ضوء شاحب يأتي من مصباح زيتي ليضيء شعلته في الغرفة ويلقي ظلالًا من الأشكال السوداء التي تبدو كأنها شياطين الجحيم تتراقص على الجدران، وكأنها تشعر أنه في غضون دقائق سوف ترى ما لا تصدقه من شهوة الانتقام..

اقترب من الرجل المقيد في هدوء واقترب أكثر من وجهه محاولًا تخيُّل ملامحه أو حتى معرفة ما إذا كان ذلك القابع أمامه بشرًا أم جنيًا أم من يكون؟ لكنه لم يتمالك نفسه عندما لمح شبح ابتسامة على وجه الغريب فناوله بقبضة يده في أنفه تمامًا مما جعله ينزف منها بغزارة.. وجاسر يراقبه قائلًا:

- أنت تنزف.. هذا شيء جيد.. والآن هل تسمح لي أن أغلق فمك الكريه حتى لا تزعج أصدقاءك في جهنم، وخاصة أنك ستتمنى الموت ولكنك لن تجده .

وقبل أن يتفوه الغريب ببنت شفة تناول جاسر قطعة من جوال ملقى على الأرض وقطعها حتى أصبحت في حجم كف اليد ودسها في فم الرجل وتناول ذات الجزء من اللاصق الذي كان على فمه صباح اليوم ليضعه على فم ذلك الرجل قائلًا:

- سبحان الله.. أهلًا بك يا سيدي المشوه.. أهلاً بك في عالمي الخاص أنا لا أريدك أن تتكلم.. بل لن أسمع منك شيئًا.. أتتذكر كلماتك وموعظتك التي ألقيتها عليَّ صباح اليوم أيها المسخ؟ فلتنس كل شيء ولنبدأ من الصفر.. هل تسمعني؟ نعم أنت هنا لمجرد أن أتسلى عليك، سأجعلك تتعفن من مكانك دون أن تموت.. أتعلم أيها المسخ.. سأحضر لك محاليلَ طبية.. سأداويك كلما نزفت.. سأمرضك كلما تعبت.. سأكون طبيبك الخاص حتى لو استمررنا على هذا العذاب سنوات.. سأكون ليلًا الكابوس الذي لن تتخيله.. سأحول لك هذه الغرفة لجهنم.. وفي الصباح سأداويك وسأقوم بخياطة كل الجروح ولكن دون أي مخدر.. أتسمعني؟ فلتهز رأسك أيها المشوه..

ولكنه لم يلقَ إيجابًا فما كان من جاسر إلا أن ناوله بركلة قوية بقدمه في بطنه مما جعل الغريب يتلوى من قوة الضربة.. فأردف جاسر قائلًا:

- عندما أسألك فلتهز رأسك.. لن أكرر أي كلمة مرة أخرى..

وأخرج السكين من جيبه الداخلي واقترب منه وهو يضع حافة السكين على وجنة الغريب قائلًا:

- والآن عزيزي المسخ.. ما الجزء من جسدك الذي لن تحتاجه؟ سأشير لك على الجزء الذي سأنتزعه، وأنت قل رأيك بإيماءة من رأسك؟ أرأيت ديمقراطية أكثر من ذلك؟

وأخذ جاسر يسير بحرف السكين الحاد على جسد الغريب وهو يتلوى من الألم والرعب كلما غرز حافة السكين في جسده.. وجاسر يهمس بتلذذ:

- لا..لن أبتر أي شيء الآن.. أريد فقط أن أراك تتلوى من الألم..

قالها جاسر ثم إلتفت حوله باحثًا عن شيء، وهو يتساءل:

- أين هي؟

كان جاسر يبحث عن تلك الأداة التي بتر بها إصبعه حتى وجدها تحت أقدام الغريب فتناولها في سعادة كطفل وجد دميته الضائعة منه وهو يقول :

- والآن دعني أفكر.. أي إصبع لا تريده..

ومرَّ بجوار الغريب واقفًا خلفه والغريب يصرخ من الرعب ويطلق صرخات مكتومة من فمه المغلق باللاصق وهو يقبض على أصابعه حتى لا يتمكن جاسر من الإمساك بأحدهم.. وجاسر يهتف بسخرية:

- أنت تغش.. أنا لم أفعل بك هكذا.. إذن فلنبدل المنطقة.. حسنًا أنا لا أريد تلك الأذن..

وبالفعل رفع جاسر تلك الأداة ثم وضعها على شحمة أذن الغريب ممسكًا إياها في قوة ويده الأخرى قد ثبتت رأسه إلى العمود الخرساني ثم بدأ الضغط رويدًا رويدًا، والغريب ينتفض بكل جسده دون جدوى، وجاسر يضغط أكثر حتى بدأت الدماء تنزف من أذنه، وقبل أن يبترها تركها مدلاة تنزف بشدة وهو ينظر للغريب بتشفٍ قائلًا:

- يعجبني شكلك هكذا أيها المسخ.. والآن يحضرني شيء ما أود تجربته عليك.. لماذا تتدفق تلك الافكار القاتلة الآن!!!

والآن أتسمح لي أن أخلع لك سروالك.. لا تقلق سأطلع على ساقيك فقط؟

وبالفعل غرز طرف السكين الحاد المدبب في فخذ الغريب ثم عمل فتحة بسيطة في السروال وجعل السكين يفتحه حتى آخره.. وفي الناحية الأخرى فعل نفس الشيء حتى كشف فخذيه..

كان الرجل في حالة يرثى لها من الرعب من توقُّع ما قد يفعله به جاسر، فأخذ يتمتم بكلمات مبهمة محاولًا إفهام جاسر أنه يريد أن يتكلم. ولكن جاسر لم يرد الآن سماع أي شيء، لذلك استطرد قائلًا:

- والآن أيها المسخ يبدو أنه ليس هنا أي قطعة من اللحم في جسدك فلنجرب طريقة أخرى.. ما رأيك لو قمت بسلخك حيًا؟!!

بدأ الرجل في التملص مرات ومرات ولكنه صرخ كعادته صرخات مكتومة عندما اقترب جاسر من فخذه وقام بعمل فتحة بعرض عدة سنتيمترات وبدأ في محاولة نزع جزء من الجلد وسط صراخ الرجل..

كان جاسر نفسه مندهشًا من كمية القسوة التي طرأت عليه ولكنه استمر حتى انتزع قطعة جلديةصغيرة وأمسكها بتلك الأداة وبدأ في جذبها للخارج.. وعندما بدأ الرجل في النزيف توقف جاسر ورفع اللاصق عن فمه فشهق الرجل في شدة وأخذ يصرخ من الألم، فوضع جاسر يده على فمه محذرًا:

- هذه عينة فقط مما سوف تراه إن كنت تريد أن تتكلم فتكلم وسأرى إن كنت تكذب أو تقول أشياء ذات أهمية.. ربما وقتها قد أعفو عنك أيها المسخ فلنبدأ بسؤال عادي.. من أنت؟

هتف الرجل في ألم متوسلًا:

- بالله عليك.. أنا لست حمل أي ألم فليكفي ما أنا فيه.. سأخبرك كل الحقيقة وأقسم لك ولكن اتركني لحال سبيلي .

أجابه جاسر في برود :

- هذا ما أقرره.. إن وجدت منك صدقًا.. لقد سألتك من أنت وما الذي دفعك لفعل ذلك معي؟

- أنا مجدي معاذ..

نظر إليه جاسر باستنكار قائلًا:

- ماذا ؟!! من؟ !، مجدي معاذ؟!، أنت تخرف.. مجدي معاذ قُتِل نتيجة تلك اللعنة وقد تعرَّفت زوجته على جثته ودفن و...

بتر جاسر كلامه فجأة وكأنما قد تذكر شيئًا ما وما لبث أن أكمل:

- انتظر.. زوجته فقط هي من تعرفت عليه.. نعم.. نعم.. كيف كان الجميع بهذا الغباء.. كنت أنت من تتحرك في الخفاء.. بعد أن أوهمت الجميع بأنك ميت لتتحرك بحرية وتكمل ما بدأته.. ممتاز أحييك على تلك الخطة، ولكن أريد منك إيضاحات كثيرة.. من صاحب تلك الجثة إذن؟ لا.. لا.. فلتخبرني القصة منذ البداية .

نظر إليه الرجل متوسلًا:

- سأخبرك ولكن هل لك أن تحل وثاقي؟

نظر إليه جاسر بقسوة قائلًا:

- لا.. ستتكلم وسأقرر في النهاية إن كنت سأفك قيدك أم سأقتلك؟

أومأ الرجل برأسه مستسلمًا في ألم وهو يقول:

- حسنًا يا سيدي..في البداية كنا اثنين أصدقاء.. أنا وأحمد في الجيش، وما لبثنا أن قضينا مدتنا وذهب كل منا إلى حال سبيله.. كل منا حاول...

قاطعه جاسر متأففًا :

- فلتختصر.. إنك لن تقص عليَّ تاريخ حياتك، أريد فقط من أول تعرفك على البعثة ونبشكم للمقبرة .

- لم أنبش مقابر بل كانت كل مهمتي أن أقوم بالاتصال بأحمد لترتيب فتح مقبرة في مكان قريب من بلدته، وعليه أن يحضر شيخًا مناسبًا لفك ما يسمى الرصد، وفعلًا تم الاتصال به وترتيب كل تلك الأمور مع قريب له في تلك البلدة، وتم الاتفاق على كافة التفاصيل ثم قابلت أحمد مع الخواجة واتفقا أمامي على كل شيء، وأخذ منه عربونًا عشرة آلاف جنيه..

كانت تلك مهمتي فقط، أما عملي الأصلي هو محاولة التصرف في الذهب أو الآثار الفرعونية نفسها، والخواجة كان لا يعنيه ذلك فكان كل ما يهمه فقط هو التابوت، أتذكر أنه قال لي ذات مرة إنه كان يبحث عن مقبرة كاهن فرعوني منذ فترة كبيرة جدًا، وكان يستطيع أن يحفر بنفسه لولا تلك الطقوس الملعونة.

وتم الاتفاق على ميعاد فتح المقبرة، وفعلًا تم استخراج الكنز، ولكن ما حدث أن الخواجة كان يضمر الخيانة للجميع، وأنا أقسم لك إني ما كنت أعلم ذلك، ولكن أحمد شعر بتلك الخيانة وهرب هو وقريبه..

وفي ذلك اليوم طلب مني الخواجة الاحتفاظ بالتابوت في مكان بالقرب من هنا فقمت باستئجار مكان ما ووضعت التابوت فيه..
أما هو فأخذ كافة الصناديق الموجودة وأعطاني مبلغًا من المال لحراسة التابوت.. وقال إنه سيرسل مندوبًا عنه سيستلمه معطيًا لي بقية حقي..
ثم قابلت أحمد بعد ذلك، وأقسمت له إني لا أعلم أي شيء عن المذبحة التي تسبب فيها الخواجة، وبعد أن تاكد أحمد أني لا أكذب في ذلك، أخبرني أن قريبه كان يبحث هو الآخر عن صندوق ما.. وحصل عليه بالفعل في المقبرة.. فقمت بالاتصال بالخواجة لأحصل على بقية حقي من تلك العملية وأسلمه التابوت، وخاصة أني بدأت أشعر أن هناك شيئًا غامضًا يحوم حول التابوت.. شيء لا أستطيع وصفه..
فقد كانت الغرفة التي وُضِعَ بها التابوت مظلمة دائمًا حتى في ضوء النهار، وكأن هناك من يجثم على التابوت.. مما أصابني بالرعب، وقتها فكرت أن أضع شخصًا يعيش في تلك الغرفة لحماية التابوت من السرقة.. وكان هذا الشخص تابعًا لي.. وكان خبيرًا في التصرف في الكنوز المدفونة ببيعها لأشخاص معينة تستطيع تهريبها خارج البلاد وكنت أثق به.. فاتصلت بالخواجة وأخبرته ما حدث، فقال لي إنه على وصول وعليّ أن أنتظر..
طال الوقت ولكني فوجئت بأحمد يطلب مقابلتي في أمرٍ هام جدًا وكان هذا الأمر الهام هو وفاة قريبه فجأة دون سبب.. وحصول أحمد على صندوق يحتوي على أربع برديات.. كانوا في حوزة قريبه الشيخ حسن، ويبدو أنه كان في طريقه لقراءتها مع أحد المختصين، فأصابته لعنة قاتلة كما أخبرني أحمد الذي فكر أن يحرق تلك البرديات لأنه كان مرعوبًا، وخاصة أنها كانت بحوزته..
- وكيف حصل عليها من الأساس؟

تأوه الرجل في ألم وهو يجيب جاسر :
- قال لي إن حسن قد أخفى الصندوق والبرديات عندما دخل للمقبرة بعد فتحها، وأنه اكتشف بالبرديات كنزًا لا يعد ولا يحصي، كان يبحث عنه منذ سنوات عديدة، وعليه أن يلاقيه يوم معين، وحدد له الميعاد ليرى تلك المفاجأة، وعندما تأخر في الوقت ذهب ليجد جثة حسن وشخصًا آخر كان معه..
قام أحمد بإبلاغ الشرطة بعد أن أخفى الصندوق المحتوي على البرديات، وقام بالاتصال بي ليعرف ما يفعله بتلك البرديات الملعونة وإن كنت أستطيع الحصول له على مشترٍ لهم، وإن لم أجد فسوف يحرقها لكني طلبت منه الانتظار فقط..
وقتها كان الخواجة في زيارة للقاهرة وقابلته وعلمت منه سر تلك البرديات المجهولة، والتي يبحث عنها منذ سنوات وسنوات، وأنه على أتم استعداد لدفع أي مبالغ مقابل الحصول على هذا الصندوق فأخبرته بأنها في حوزة أحمد ولكنه يطلب مبلغًا كبيرًا.. وطلبت منه نصف مليون جنيه ثمنًا لتلك البرديات بالإضافة إلى نسبتي عن كشف المقبرة.. ففوجئت به وقد وافق على الفور، وأخرج دفتر شيكاته وكتب لي شيكًا بمائة ألف جنيه عربون، لكني طلبت منه أن يكتب شيكًا آخر بخمسين ألف باسم أحمد فوافق أيضًا.. مما أثار الشك داخلي أكثر حول أهمية هذه البرديات..
فأخبرته أن يترك لي هذا الموضوع لأحله، ولكنه اتصل بي بعد عدة أيام، ولم أقل له بالطبع عن مكان أحمد أو عنوانه أو أي شيء بخصوصه.. أخبرته فقط أنه سيتسلم منى الصندوق وبه البرديات كاملة..

وبخصوص التابوت قال لي إنه في خلال عدة أيام سينقل التابوت خارج القاهرة وأن الشيكات تستحق بعد أسبوعين، وأني أستطيع أن أحتفظ بالبرديات لحين وضع مال في حسابه بعد فترة من الوقت فقمت بالاتصال بأحمد عارضًا عليه شراء البرديات بمائة ألف جنيه فوافق طبعًا.. بل وأتى إليَّ ليلًا وأعطاني برديتين فقط، وقال لي إنه سيعطيني البرديتين المتبقيتين مع الصندوق بعد أن يحصل على بقية المبلغ نقدًا.. وأخذ الشيك وانصرف تاركًا معي البرديات في المنزل.. وبعد يومين أرسل الخواجة أحد مساعديه واسمه توم..

قاطعه جاسر مستفسرًا:

- توم؟ هل كان رجلًا ضخمًا و..

قاطعه مجدي هذه المرة وهو يئن من شدة الألم:

- لم يكن اسمه توم بل إيزاك وهو يهودي، ولكني لم أكن أعلم إلا مؤخرًا.. المهم أنه استلم مني بالفعل التابوت بعد أن رفض إعطائي كامل المبلغ، وأعطاني خمسين ألف جنيه أخرى كسمسرتي فقط ولاحتفاظي بالتابوت طوال هذه الفترة، وقال إن الحساب الأخير مع الخواجة.. على الرغم من أني كنت منتظر عربونًا لأني بحاجة للمال، ولأدفع إيجار المكان الذي وضعنا به التابوت.. والشيك ذاته سيستحق بعد إسبوعين..

ورحل التابوت الملعون لتحل عليَّ لعنة البرديات التي لم أكن لأتصورها.. بل لن أخبرك عن الشؤم الذي حل على المنزل.. لن أخبرك عما رأيته بنفسي خلال الليالي التالية.. كوابيس ونار أحترق بها وحدي دون أن يكون لها أثر.. فقررت أن أنقل البرديات لتكون في مكان آخر بعيد عنا..

لذلك استأجرت هذا المخزن وأتيت بإبراهيم مرة أخرى ليقيم بجوارهم طوال الوقت.. واتصلت كثيرًا بالخواجة فعلمت أنه في الخارج، وحينما تحدث إليَّ هاتفيًا كان يلح عليَّ أن أستلم البرديات فنما الشك وقتها داخلى وأخبرته أني لم أحصل على البرديات بعد.. وبدأت في الاستفسار عن نحوت بعد أن أخبرني باقتضاب بقصته في إحدى المرات.. وبحثت عن قصة تلك البرديات الملعونة، كنت أريد أن أعرف ما الذي يدفع أحدهم للمغامرة بحياته للحصول عليها كما حدث مع الشيخ حسن؟ إلى أن علمت من أحد الأثريين أن تلك البرديات تساوي ثروة هائلة..

أما البرديات فكنت أتركها هنا في غرفة مغلقة وفى خارجها يجلس ذلك التابع ليل نهار..

لا أعلم ماذا حدث.. ولكن كان عليَّ أن أقرر إما الاستمرار في انتظار فتات الخواجة أو التصرف كما اعتدت أن أتصرف في الآثار المكتشفة فأنا أيضًا لي زبائني، ولكن الأحداث مع أحمد تسارعت على نحو محموم.. ففي آخر مرة كان يهاتفني أخبرني أنه ذهب إلى البنك ولم يجد أيَّ رصيد للشيك، وكان يشعر أني خدعته.. فأقسمت له إني مثله تمامًا لم أحصل على بقية حقي، فحدثني عن أشياء غريبة تحدث له.. شيء أسود يمر بجوراه.. شيء يأتي إليه داخل كوابيس تكاد أن تقضي عليه.. يصحو من نومه ليلًا على شيء يجثم على صدره يمنعه من التنفس دون أن يراه..

كان يحدث لي مثل هذه الأشياء تمامًا لكني لم أخبره، أما هو فكان متأكدًا أن لذلك علاقة بتلك البرديات الملعونة، فهددني إن لم آتِ له بالمال في أقرب فرصة سيحرق البرديات التي لديه بنفسه.. حاولت مرارًا أن أهاتف الخواجة أو حتى ذلك اليهودي دون فائدة..

كنت أشعر أني كنت ضحية لعملية نصب.. حاولت الاتصال بأحمد لتهدئته دون جدوى، حتى علمت أن أحمد قد جن تمامًا، وأنه قد أصبح نزيلًا في إحدى المصحات العقلية.. وقتها كان يجب أن أقرر ما سأفعله في البرديات التي عندي..

- وماذا فعلت أنت في بردياتك؟

- لقد حاولت فك طلاسم تلك البرديات بعد أن علمت أنها تساوي ثروة طائلة، ولكنني لم أفلح، بالرغم من محاولتي أنا وإبراهيم الذي كان يحرس البرديات، وبالطبع لم أخبره عن أهمية تلك البرديات..

كل ذلك حدث في ليلة واحدة.. حياتي تغيرت تمامًا في ليلة واحدة وقتها تأكدت أن بالبرديات لعنة لن نستطيع الفكاك منها..

- ماذا حدث؟

- تركت البرديات بعد أن عجزنا عن الاستمرار.. ولما كان الوقت قد تأخر فقد قررت أن أقضي ليلتي هنا معه.. وتركته في هذه الغرفة.. وصعدت لأنام في الدور العلوي، ولكني لم أستطع النوم، وسمعت إبراهيم وكأنه يتحدث مع شخصٍ ما.. فقمت فزعًا خوفًا من أن يكون أحدهم قد اقتحم المكان..

حاولت أن أفتح الباب لكني لم أستطع.. كأن هناك من يقف خلفه وإبراهيم بالداخل يتضرع ويبكي ويصرخ.. تناولت عتلة حديدية وكسرت الباب وبمجرد أن كسرته دلفت مسرعًا إلى الحجرة.. لكن بمجرد دخولي الحجرة كان كل شيء من حولي عدم..

تخيل أنك دخلت غرفة لا يوجد بها أي شي؟ ولا حتى جدران أمامك.. مجرد ظلام أسود من حولك، والمرعب أنه ليس ظلامًا دامسًا بل أنت ترى قدميك ويديك وما بجوارك لكن أنت في العدم.. سكون إلى مالا نهاية.. سكون مرعب.. حتى صوت إبراهيم المتوسل لم يعد له وجود..

وجدت نفسي كأني في مكان أسود.. تدوس أقدامي على شيء أسود لا أعرف كنهه.. جلد أو شعر أسود كثيف.. لا أدري.. كانت العتلة لا زالت في يدي.. وكنت أرتعد من قمة رأسي وحتى أخمص قدمي..

كنت أظن أني أحلم.. فجأة وجدته.. شيء ما بدون وجه أو ملامح أو جسد كان هائمًا في سماء المكان الذي كنت به.. وكنت أنظر إليه من خلال تلك العينين الحمراوين اللتين بدتا وكأنهما نبتتا من الفراغ..

تسمرت في مكاني ووجدته يهمس داخل عقلي.. لا أتذكر كلماته.. لا لم تكن مجرد كلمات، بل كانت أدعية أو تعاويذ فرعونية من تلك التي كنت أراها على تلك الجدران.. والغريب أنه كان يخاطبني بلغة ليست معروفة أبدًا ولكني كنت أفهمها.. ووقتها رسخت تلك الجملة التي أخبرني بها في رأسي..

(لتكون لمن خلفك عظة.. لتكون لمن خلفك عظة..)

ومدَّ شيئًا أسود اللون غير محدد الملامح لا أعرف إن كانت يده أو شيء ما لمسني.. وقتها سرت رعشة قاتلة في عقلي وجسدي، ووجدت نفسي فجأة كأني أمام فراعنة يحاسبونني على أخطائي، ومنهم من كان يعد لي أدوات التحنيط إلى جواري.. لقد كان كابوسًا لا أتذكره ولا أريد أن أتذكره.. كل

ما أتذكره أني رأيتهم أمامي كما أراك تمامًا.. واقتربوا مني وأمسكني أحدهم.. فلم أشعر بشيء وكأني ذهبت في غياهب الموت..

بعد عدة ساعات أوحتى أيام لا أدري، ولكن قُدِّرت لي النجاة لأفيق على كارثة.. فقد وجدت إبراهيم ميتًا بشكل في غاية البشاعة وكأنه ميت منذ سنين.. كان جلده على العظم فقط بشكل مرعب.. أما أنا.. فها أنا أمامك.. تدق كلمته في أذني لأكون لمن خلفي عظة حتى الآن.. تحولت إلى مسخ.. تحولت إلى الميت الحي.. جسد محنط ولكن الروح لازالت في الداخل.. كيف؟ لا أعلم ولكنها تلك اللعنة..

وقتها كنت سأجن.. أغشي عليَّ من الصدمة وأفقت وأغشي عليَّ ثم أفقت.. وبعد أن جلست أفكر مليًا فيما حدث لي، وماذا أفعل خاصة بعد أن أصابتني تلك اللعنة؟ وكيف أخرج من الكارثة فورًا بأقل ضرر وأكثر مكسب.. كان عليَّ أن أبدأ في عرض البرديات على كافة المهتمين بهذا الموضوع.. وأن أحصل على المال بأي شكل ممكن وأهرب خارج البلاد.. والأهم من ذلك أن أهرب من تتبع الخواجة واليهودي وأحتفظ بالخمسين ألف جنيه، مع محاولة عرض البرديات التي معي للبيع، ومحاولة معرفة مكان البرديات التي مع أحمد..

كان عليَّ أن أضع الخطة بسرعة خوفًا من تعرُض المكان كله للسرقة، أو وصول الخواجة وإيزاك بطريقة ما إلى هذا المكان..

أصبحت لا أثق بأحد وكان عليَّ أن أبدأ في تنفيذ أولى خطوات الخطة وهي إعلان موتي.. اتصلت بزوجتي وشرحت لها أني تعرضت لحادث حتى أخفف عليها الصدمة تدريجيًا عند رؤيتي.. وطلبت منها تنفيذ ما

سأخبرها به، وجاءت إلى هنا وكادت تجن مما رأته، ولكن بعد أن شرحت لها أن كل ذلك سيكون جزء المسرحية التي سوف نقوم بها سويًا، وسنخرج منها بمبلغ لا يقل عن نصف مليون جنيه ونهرب لنعيش خارج البلاد وافقت على الفور..

كان علينا أن ننتظر حلول الظلام حتى ننقل جثة إبراهيم إلى منزلنا، وقد نقلناه فجرًا وبالطبع كانت الجثة مشوهة تمامًا، لذلك كان من الصعب التعرف عليها إلا من أحد الأقرباء، وسارت الخطة كما وضعتها.

وفي صباح اليوم التالى اتصلت زوجتي بالشرطة في حالة هلع ورعب لتخبرهم أنه عند رجوعها من المنزل بعد عودتها من الإسكندرية وجدتني على هذه الحالة، وتعرفت عليَّ وبالفعل صدقت الشرطة هذا الكلام وخصوصًا أنهم وجدوا صعوبة كبيرة في تشريح الجثة ومعرفة سبب الوفاة بسبب الحالة التي وجدت عليها..

عقد جاسر حاجبيه وهو يسأله بهدوء:

- وماذا بخصوص البرديات؟

- كان عليَّ أن أنقلها إلى المنزل بعيدًا عن الأعين من جهة، وحتى لا تصيبني لعنة أخرى حال تركها في هذا المكان.. لأني لو تركتها هنا كان عليَّ أن أحرسها بنفسي.. على الرغم من أني أعتقد أنه لن يصيبني أسوأ مما أنا فيه..

- ونقلتها للمنزل فعلًا؟

- نعم وضعتها في حقيبة وأخفيت الحقيبة خلف خزانة الملابس وأخبرت زوجتي أن تلك برديات عادية من عهد ملك قديم ويوجد عدة زبائن لها، وعليها ألا تفتح الحقيبة أبدًا مهما حدث إلا بناء على أوامر مني..

واختفيت عن الأنظار في هذا المكان البعيد.. وأعطيت زوجتي رقم هاتفي الجديد.. تخلصت من كل ما كان يربطني بالماضي.. وبدأت هي في الاتصال بكل من أعرفه من سماسرة لتعرض ما لدينا من برديات.. وطال الوقت وكنت أراقب الجميع من بعيد لأتأكد من تصديقهم لقصة موتي.. وفعلاً بلع الجميع الطعم..

اعتدل جاسر في مقعده على ذلك البرميل القديم المواجه لمجدي وهو يقول:

- وبدأت تحرك الأحداث من بعيد وزوجتك تبلغك بكل شيء؟

- نعم ولقد أخبرتني بتلك الزيارة التي قام بها أخوك وأبلغتني بزيارتك المستمرة لأحمد في المستشفى، وهو ما جعلني أشك في كل تصرفاتك.. فأخبرتها أن تتصل بإيزاك والذي لم تره أبدًا لتخبره بأن هناك من يبحثون في الأمر..

كنت أريد صرف أنظارهم عنا وفعلا نجحنا في ذلك.. ولكن شكي وقلقي زادا حينما علمت بزيارتك لخطيبة أحمد وأهلها.. كان في الأمر شيء ما يقلقني.. ولكن لم أضع الأمر كثيرًا في رأسي وتفرغت لما هو أهم..

- البرديات؟!!

- نعم.. لقد بدأت أتصل بالجميع عن طريق زوجتي ووصلت أخيرًا إلى سمسار يدعى "ماتسون". وافق على البيع واتصل بزوجتي وكنت معها

واتفقنا على السعر باعتباري سمسار آخر. وطلبتُ مبلغًا كبيرًا وافق عليه على الفور واتفقنا على ميعاد محدد. وانتظرت أنا خارج المنزل وفي الوقت ذاته لأراقب الموقف من بعيد وأرى مَن القادم.. وهل كان بمفرده أم لا. واتفقت نا وزوجتي أن تعطي له الحقيبة بمجرد إعطائها المال، ولكن بشرط أن أهاتفها أولًا فإن لم أهاتفها لا تتم الصفقة أبدًا .

نظر إليه جاسر قائلًا في استنكار:

- وهل واتتك الجرأة أن تترك زوجتك بمفردها؟ كان من الممكن أن يقتلها ويستولى على البرديات والمال..

- لقد وصلت لمرحلة أني أصبحت لا أثق بأحد.. هل إذا أصبحت أنت بذلك الوجه.. أكنت تخاف على أحد؟ أكنت تضحي بنفسك من أجل أحد؟ لقد اعتبرتها طُعمًا هي الأخرى.. وكنت أحرِّك الأحداث من بعيد..

- وبعد ذلك هل استلم البرديات؟

- لا لقد كانت خدعة..

- خدعة.. !!

- نعم.. كانت خدعة من الخواجة وخادمة الكلب اليهودي.. وذلك للحصول على البرديات بلا أي مقابل.. فلقد انتظرت خارج المنزل في سيارتي، فوجدته يصعد بمفرده حتى دون أي حقيبة.. كنت على وشك أن أصعد وأقتله في الأعلى عندما عرفته.. ولكني انتظرت حتى هبط.. وقد فهمت زوجتي أني أرفض إعطاءه الحقيبة حين لم أتصل بها فتحججت كما أخبرتني بأنها ليست معها، وستحدد وقتًا آخر..

المهم أني تتبعته حتى وصل إلى المكان الموجود به واستمررت في مراقبته بعد ذلك، حتى حان ميعاده في ذلك اليوم الذي حددته زوجتي لتسليمه البرديات، حيث أعددت ما خططت له حين هبط وركب تلك السيارة التي أعرف سائقها وأتى به تمامًا كما أتى بك.. حتى وصل إلى هذا العمود المقيد به..

- إذن فهو أنت.. أنت من قمت بقتله.. لماذا؟

- نعم.. ولكني لم أقتله مباشرة.. بل قتلته بعد أن أذقته عذابًا لم يتحمله بشر.. مات من التعذيب.. كانت شياطين الجحيم تستولي على عقلي كلما مسكت أداة لأعذبه بها.. تمامًا كما استولت عليك دون سبب..

نزعت منه ما كنت أريد أن أعلمه.. عرفت منه أنه أخبر جميع السماسرة حتى إذا حدث وظهر أي شخص يريد بيع برديات قديمة فعليهم إخبار ماتسون مساعده الآخر في مصر.. وشربت أنا الطعم تلك المرة حتى وصلوا إلى منزلي ومكان البرديات.. وأنهم كانوا يخططون لاقتحام منزلي وإجبار زوجتي على الاعتراف بمكان البرديات في حالة إذا لم تقم بتسليمه البرديات في الميعاد المتفق عليه..

ومنه عرفت أيضًا أنه قابلك لشكه أن باقي البرديات لديك، وأنك من تساومه على البرديات المتبقية.. فكان لابد أن أجبرك أنت الآخر على الاعتراف..

فأحضرتُك إلى هنا بنفس الطريقة، وكان عليَّ أن أقيدك هنا وأعرف منك هل توصلت أنت إلى ما عجزت أنا على الوصول إليه؟ وقدكان.. وقيدتك حتى أتى هؤلاء وقاموا بإنقاذك..

- وزوجتك والبرديات؟

- كان عليَّ أن أنقل الاثنين إلى مكان آمن.. مكان لن يصل إليه أحد أبدًا..

- وبالطبع لن تخبرني أين هم؟

- لن أخبرك.. حتى لو قطعت جسدي أجزاء صغيرة فلن أتكلم.. فهي ضمانتي الوحيدة للخروج من هنا بسلام..

- حسنًا يا مجدي.. حسنًا..

نظر مجدي إلى جاسر متوسلًا وهو يئن من شدة الألم قائلًا:

- هل لي بشربة ماء من فضلك..

اقترب منه جاسر مرة أخرى واضعًا الشريط اللاصق على فمه بعد أن ناوله جرعة من الماء كما طلب.. وبدأ يفكر في الخطوة القادمة..

صعد جاسر إلى الأعلى حيث الحاج مراد ورفاقه، وطلب منهم أن يعودوا مرة أخرى إلى البلدة، وأنه سوف يلحق بهم بمجرد الانتهاء من الحصول على البرديات، وعلى الرغم من اعتراض الحاج مراد إلا أن جاسر طمأنه أنه الآن في أفضل حال وعليه فقط أن يستمع إليه ويرحل إلى البلدة في أقرب فرصة..

وبعد أن خرج الجميع تناول جاسر القطن والمطهرات التي أحضرها له رجال الحاج مراد، وبدأ في تطهير الجرح لنفسه حتى يذهب إلى أقرب مستشفى..

كان في عقله الباطن يفكر كيف سيدفع مجدي إلى الحديث.. فهو لاشك سوف يرفض التفوه بأي كلمة عن مكان تواجد زوجته والبرديات.. كان

جاسر يفكر في ابتكار وسائل جديدة لتعذيبه على الرغم من أنه من داخله كان يشمئز مما فعله بمجدي، لكنها تلك اللعنة التي أصابته هو أيضًا والتي تجبره على الإتيان بأشياء لم يحلم أبدًا أن يراها، فضلًا عن أن يمارسها.. وبداخله كانت تتصارع أفكار شياطين الجحيم كما قال له مجدي لتفرغ أسوأ أفكارها الملعونة على بني البشر..

أخذ يبحث في الأدوات المتاحة.. كان هناك منشار حديدي.. كان يناسب تلك الفكرة التي طرأت على ذهنه من نشر أقدامه.. ولكن إن بترها فمن الممكن ألا يتكلم أبدًا أو يموت من الصدمة أو حتى النزيف.. لابأس بتجربة السلخ مرة أخرى.. لكن إن استمر بها، ورفض الحديث حتى ولو سلخ بقية جلده فماذا سيفعل؟ هل هناك تجربة أخرى تكون أكثر ألمًا من نزع الجلد؟

أخذ يدور في أنحاء الغرفة العلوية حتى وقع نظره على هاتف مجدي.. مدَّ يده بتلقائية وبدأ يبحث في قائمة الهاتف.. وجد أسماء.. الخواجة.. إيزاك.. توم.. ماتسون.. فايزة.. السائق.. أكل سوري..

عاد مرة أخرى إلى اسم فايزة وتذكر أنها زوجة مجدي.. طرأت له فكرة لمعت في ذهنه فجأة.. جلس مرة أخرى إلى المنضدة الخشبية مراجعًا ما سيفعله عما قليل..

كانت الساعة تشير إلى ما قبل العاشرة ليلًا عندما أمسك الهاتف مرة أخرى.. واتصل وانتظر قبل أن يجيب الطرف الآخر..

- السلام عليكم.. حضرتك أستاذه فايزة .

- عليكم السلام من معي؟ وكيف تتصل من هذا الرقم؟

- أنا محمد عبد المقصود الضابط النوبتجي في مستشفى القاهرة الجديدة.. هل أنت مدام فايزة زوجة السيد مجدي ؟

- أنا لا أعلم عما تتحدث..

- حسنًا أنا متأسف.. السلام عليكم يبدو أن الرقم خطأ..

- انتظر.. من أعطاك هذا الهاتف لتكلمني؟

- يا سيدتي لقد دخل السيد مجدي المستشفى لحادث بسيط أصابه، ولكنه قبل خروجه اشتبه الأطباء في إصابته بالجذام..

- ماذا.. جذام؟

- سيدتي بما أن الأمر لا يعنيك فاعذرني سنرحِّله إلى الحميات غدًا بعد أن أنهي المحضر الذي بيدي .

- انتظر..أنا زوجته، اعذرني فقد كنت أشعر أن في الأمر مضايقة ما..

- هل أنتِ متأكدة هذه المرة أنكِ فعلًا زوجته؟

- نعم.. نعم، بالله عليك ماذا حدث.. أهو مصاب أم ماذا؟

- اهدني يا سيدتي.. ما حدث أن الأطباء اشتبهوا في إصابته بالجذام وتم تحويله إلى الحجر الصحي هنا بالمستشفى، وغدًا سيرحَّل إلى الحميات في عنبر مخصوص، ولكن المريض أخذ يصرخ نافيًا إصابته بهذا المرض، مدعيًا أنه يمارس حياته بشكل طبيعي، وأخبرنا عن اسمك وعنوانك وأعطانا هاتفه للاتصال بك للتأكد.. ولكن أخبرنا عنوانًا في زهراء مدينة نصر لم نستدل عليه، وكان علينا أن نخبرك عن ترحيله غدًا..

- لماذا؟ لقد أكدت لك أني زوجته، وهو طبيعي، ولم يتعرض للجزام أبدًا.

- ولكن يا سيدتي لست أنا من سيقرر، فاللجنة الطبية هي من ستقرر غدًا، وسيحول إلى الحميات.. وأنتِ اعذريني فلم أتأكد بعد أنك زوجته، بل لقد أنكرتِ في أول الأمر..

- أقسم لك يا سيدي أنا زوجته.. ومستعدة لآتي الآن ومعي وثيقة الزواج وكل الإثباتات أن ما أصابه هو مجرد حادث وليس جذامًا.. ولكن هل لي أن أحادثه الآن؟

- مستحيل لأني كما قلت لك هو في عزل طبي الآن، وكل أشيائه بالطبع معزولة هي الأخرى، وهو من طلب مني أن أخبرك بذلك لتأتي وتخرجيه.. كل ما نريده منك هو إثبات تحقيق شخصية لك، وصورة من عقد الزواج، وأي تحاليل طبية لديك، هل لك أن تحضريها الآن؟

- في الغد أفضل إذا سمحت فأنا لن أستطيع أن أصل إليك الآن على الرغم أني بالقرب من التجمع الأول في القاهرة الجديدة..

- حسنًا.. سأخرج في وردية مسائية الآن، ويمكن أن أجعل أحد الأمناء يمر عليك ويأخذ كافة الأوراق لأضمنه على مسئوليتي، فلو انتظر الأمر للصباح ساكون قد أنهيت ورديتي، ولا أخفي عليكِ زميلي في العمل أكثر دقة، ولن يمر عليه هذا الموضوع بسهولة وسيقرر ترحيله إلى مستشفى الحميات بعد إنهاء المحضر، لأنه لا يحب أي نوع من المجاملات، فإذا أحببت أن أساعدك لوجه الله فخبريني الآن .

- شكرًا يا سيدي أنا في غاية الشكر لك..

- سأمرّ عليكِ في خلال دقائق، عليكِ فقط أن تجهزي الأوراق..

- حسنًا يا سيدي إليك العنوان..

مرَّ الموضوع بسهولة جدًا واندهش هو نفسه من الطريقة التي حصل منها على العنوان الجديد الذي تقيم به..

خرج جاسر من مخبئه بعد أن اطمأن على قيود سجينه.. وقام بتصويره عدة صور قام بحفظها على هاتفه تمهيدًا لتهديدها بزوجها حال رفضها الحديث معه.. وعندما خرج إلى الشارع تذكر أنه بدون سيارة فدخل مرة أخرى وظل يبحث عن مفاتيح سيارة مجدي حتى وجدها واستقلها، وهنا بدأت شياطين الجحيم تطارده مرة ثانية من كم الألم الذي يشعر به..

سأل أولاً عن مكان وجود أقرب مستشفى وتوجه إليها لتضميد جرح إصبعه، والذي ادعى أنه بتر بسبب حادث في العمل بعد إلحاح الطبيب على معرفة السبب.. فقام الطبيب بخياطة الجرح بعدة غرز مما أثار جنون جاسر من الألم الذي يشعر به، وإن كان يريد الآن الرجوع إلى ذلك المخبأ الذي حفظ مكانه ليفرغ ألمه في مجدي..

انطلق بعدها ليتوقف بالسيارة أمام العنوان الذي أعطته إياه زوجة مجدي بعد أن ظل يسأل عن العنوان المقصود حتى اهتدى إليه أخيرًا.. كانت عمارة عبارة عن خمسة أدوار بها عدة نوافذ مفتوحة ومضاءة، مما يدل على وجود بعض السكان الذين لا زالوا مستيقظين في هذا الوقت المتأخر حيث قاربت الساعة على الثانية عشرة ليلًا في هذا المكان المنعزل..

كانت فايزة تسكن في الطابق الأخير.. دار حول السيارة وفتح حقيبتها وأخذ يبحث عن شيء ما فوجد عصا مطاطية كانت تبدو كعصيّ الأمن المركزي.

وضع العصيّ بهدوء داخل قميصه واقترب من باب العمارة، وصعد دون أن يصدر أي صوت.. وحمد الله أن الوقت كان قد تأخر حتى لا يلاحظه أحد.. ظل يصعد حتى الطابق الأخير.. وكانت هناك شقتان أمام بعضهما ولكنه لم يعرف أيهما تسكن داخلها المرأة.. كان باب إحدى الشقق مغلقًا بباب حديدي آخر، وأشد ما يخشاه أن تكون تلك الشقة..

أمسك بهاتف مجدي مرة أخرى واتصل بها مخبرًا إياها أنه على باب الشقة وتحققت مخاوفه بالفعل..

لقد سمع المزلاج الداخلي للشقة ذات الباب الحديدي يُفتَح وتطل من وراءه امرأة في العقد الثالث من العمر تنظر إليه في ريبة.. كان جاسر مخفيًا يديه خلف ظهره.. فبادرها قائلًا:

- السلام عليكم.. أستاذة فايزة.. هل لي في الأوراق إذا تفضلتِ لأني في عجلة من أمري..

- حضرتك الضابط الذي تحدثت إليّ من المستشفى؟ هل لي أن أرى بطاقتك؟

ارتبك جاسر ولكنه تظاهر بالتماسك قائلًا في ثقة:

- نعم سيدتي، ممكن حضرتك تعطيني...

قاطعه دوي نفير سيارة في الأسفل مصادفة فانتهز تلك الفرصة وأكمل حديثه سريعًا قائلًا:

- بسرعة بالله عليك لأن هناك حادثًا ما قريب ونريد الذهاب لموقع الحادث وهم يستعجلونني بالأسفل..

- حاضر فلتمهلني دقيقة فقط..

وغابت دقائق في الداخل فأخرج العصا المطاطية من ملابسه ووضعها بجوار الباب الخارجي، وتوقع أن تفتح الباب الحديدي لتناوله الأوراق، ولكنها عادت ومدت يديها بالأوراق من فتحة بسيطة في الباب الحديدي..

كان جاسر على وشك الجنون مما فعلته زوجة مجدي.. فقد كان كل ما يريده هو فتح الباب الحديدي ولو سنتيمترات قليلة.. ففكر وقتها في حيلة أخرى قائلًا:

- تمام هذا ما أريده تحديدًا.. هذه صورة البطاقة وهذه صورة وثيقة الزواج وهذه بضع شهادات مرضية تثبت أن الحالة المرضية ليست جذام.. عظيم جدًا شكرًا يا سيدتي سأنصرف الآن وعليكِ استلامه غدًا من المستشفى..

استوقفته قائلة:

- انتظر لقد أخبرتني أنه سيخرج...

- نعم، ولكن لابد من حضورك مبكرًا بدًا لاستلامه على مسئوليتك.. غدًا إن شاء الله، ولكن لو تأخرتِ.. ستكون هناك إجراءات معقدة و...

قاطعته قائلة:

- أليس من الممكن أن يخرج اليوم حتى نتفادى تلك الإجراءات المعقدة في الغد عند وجود زميلك..

نظر إليها مفكرًا وقال:

- لا أدري.. ولكن لدي حلًا آخر، هل تقومين بالتوقيع على تعهد باستلامك زوجك على مسئوليتك الشخصية؟

- نعم سأحضر ورقة وقلم لتمليني ذلك التعهد..

ودخلت المرأة ثم عادت مرة أخرى بورقة وقلم ووقفت استعدادًا ليمليها جاسر الإقرار، وقتها كاد جاسر أن يفقد عقله من شدة حرص المرأة، وتمنى لو كسر الباب الحديدي وهشم رأسها، ولكنه أردف قائلًا:

- هل تعطيني القلم دقيقة من فضلك .

ومدت يدها بالقلم ولكن الفتحة كانت أقل من المسموح بها لإخراج القلم ووقتها اضطرت أن تفتح الباب الحديدي، فاقترب جاسر في هدوء من الباب ومد يده ببطء حتى تناول العصا المطاطية دون أن تشعر..

أما هي فقد فتحت مزلاج الباب الحديدي ومدت يدها ببطء.. وكان هذا تمامًا ما كان يريده جاسر.. فقد أخذ القلم منها وتظاهر بالنظر إلى الأوراق وفجأة وفي لمح البصر كان قد دفع الباب الحديدي بالحيز الذي يسمح له أن يقفز داخل بهو الشقة واضعًا يده على فم المرأة التي شُلَّت من المفاجأة.. وحاولت التملص منه.. ولكنه أغلق الباب بقدمه وهو لا زال كاتمًا صوت المرأة وهو يضغط على رأسها بكل قوة قائلًا:

- لن أمسك بسوء، عليك فقط بالهدوء، وإلا سأضطر إلى التخلص منك، سأرفع يدي الآن ولن تخرجي أي صوت.. اتفقنا ؟

ولكنه بمجرد أن رفع يده جرت المرأة في الشقة صارخة، فما كان من جاسر إلا أن تناول العصى المطاطية التي كانت قد وقعت منه أثناء الاقتحام وناولها على رأسها ضربة أفقدتها الوعي..

اقترب منها سريعًا خوفًا من أن يكون قد قتلها، واطمأن حينما وجدها تتنفس.. فحمد الله على أنها لم تمت ولم يسمعها أحد من الجيران..

دار في أنحاء الشقة سريعًا، ولكنه لم يجد أي شيء يقيدها به.. أتته فكرة أن يخرج سريعًا إلى الشرفة ليجد أي حبال غسيل، وبالفعل.. تأكد أن ليس هناك أحد في الشرفات المجاورة يراه.. فدخل إلى المطبخ وتناول سكين وقام بقطع الحبال حتى يقيد المرأة.. وما إن انتهى من القطع حتى ألقى بالسكين إلى الشارع حتى لا يكون هناك أي أثر لبصماته.. ثم عاد سريعًا إلى الداخل وحمل المرأة بصعوبة حتى أجلسها على الكرسي، وقام بتقييدها جيدًا وقام بتقييد فمها بإيشارب كان في الجوار.. حتى إذا فاقت لا تستدعي الجيران بصراخها..

كان عليه أن يبحث جيدًا في أرجاء الشقة قبل أن تفيق ويجرب عليها تجربة السلخ هي الأخرى.. كان الأمر يثير في نفسه نشوة ما، لكن كان عليه أن يبحث أولًا..

دلف إلى غرفة النوم واتجه بتلقائية إلى خزينة الملابس ونظر خلفها، ولدهشته الشديدة ورعبه وجد أن هناك حقيبة ما.. أكانت بذلك الغباء حتى تخفي الحقيبة في ذات المكان الذي أخفته فيه في الشقة القديمة؟

وضع الحقيبة على السرير وجلس بجوارها.. وامتدت يده لتفتحها ولكنها كانت مغلقة بأرقام سرية..

دبت النشوة مرة أخرى في أوصاله، وقام بتحطيم القفل وفتح الحقيبة.. وذُهِلَ مما رآه.. فقد كانتا البرديتين الناقصتين تمامًا..

وأخيرًا اكتمل العقد..

شعر وكأن هناك طبولًا تدق في رأسه وضحكات شيطانية.. شعر براحة غريبة جدًا منذ دخول بدزميران حياته لأول مرة.. كان عليه أن يتحرك سريعًا وأن يجمع شمل الفتات وينهي هذه اللعنة فورًا.. نسي كل شيء كان عليه فقط التحرك وبسرعة .

خرج إلى الصالة مرة أخرى حيث كانت المرأة لا تزال في غيبوبة.. شعر بالندم على فعلته ولكن كان عليه أن يفعل ذلك، فإن لم يفعلها فلم يكن قد دخل أبدًا..

شكر المرأة على غبائها في إخفاء البرديات.. واقترب منها وفك قيدها سريعًا.. وتناول عصاه المطاطية وتأكد أنه لم يلمس أي شيء بأصابعه.. ثم نزل سريعًا ليستقل سيارة مجدي..

* * *

كان جاسر يدير السيارة لينطلق حينما أفاقت المرأة ودوى صراخها يشق سكون الليل ليصل إلى مسامعه وهو ينطلق بالسيارة.. وقد تناول هاتفه ليتصل براشد.. وقد شعر بنشوة غريبة:

- راشد.. لدي لك صفقة العمر.. كل شيء قد حللته لك.. قابلني صباحًا عند آدم.. سأنتظرك في تمام الثانية عشر..

- عن أي موضوع تتحدث يا جاسر؟ فلتخبرني الآن..

- ليس الآن.. سأخبركم جميعًا بكل شيء.. أنت وآدم ومنى.. فلتخبر الجميع بضرورة انتظارى غدًا.. أفهمت.. لا تتأخر وإلا ستفوتك قضية الموسم..

رد عليه راشد بحيرة:

- أنا لا أفهمك..

- ليس مهمًا.. عليك فقط أن تأتي.. لأسلم لك البرديات الملعونة.. ولأسلم لك قاتل اليهودي..

- أي يهودي، وأية برديات؟

- فلتفق يا راشد.. أقصد إيزاك ذلك اليهودي.. والبرديات المسروقة من مقبرة ميدوم..

- بالتأكيد أنت تهذي.. كيف ذلك والشرطة نفسها لم تستدل عليه بعد؟

تجاهل جاسر قول جاسر وهو يردف قائلًا:

- فلتكتب أولًا هذا العنوان.. ولتلقوا القبض على مجدي معاذ قاتل إيزاك..

- مَن؟ مجدي معاذ؟

- نعم.. اكتب هذا العنوان، وستجد رجلًا مقيد فلتقبضوا عليه حتى أوافيك غدًا.. وسأخبرك بكل شيء.. وسأعطيك ما لم تكن تحلم به

ولندين لي إلى الأبد بترقيتك الجديدة.. لا تنسَ.. غدًا في الثانية عشرة.. ولتخبر الجميع..

* * *

كانت عشرات الأفكار تدور برأسه ولكنه كان يشعر بسعادة لا توصف لحصوله على كافة البرديات الآن.. الآن سوف ترحل اللعنة عن القرية.. الآن سوف يستريح الشيخ إلهامي في مرقده الأبدي.. والأهم من ذلك أن بدزميران سوف يرحل عن رأسه وإلى الأبد..

اقترب من منزله.. وهبط من السيارة محتضنًا الحقيبة الجلدية الصغيرة.. كان الوقت يقترب من الثانية صباحًا.. كان الجو مظلمًا لانقطاع الكهرباء عن المنطقة، تمامًا كما كان أول يوم عاد فيه بالبرديات من الخارج..

فتح شقته وعلى الرغم من الظلام الكاحل فيها إلا أنه ولدهشته كان يشعر أنه يرى جيدًا، وكأن عينيه قد أصبحتا مثل عيون القط التي تنير في الظلام..

كان يشعر بدقات قلبه تتسارع.. وهمسات بدزميران تملأ رأسه.. دخل إلى غرفة مكتبه سريعًا باحثًا عن قلم أحمر سميك الخط كان لديه.. وما لبث أن وجده.. دخل غرفة بدزميران.. اقترب من الشاشة المعلقة على الحائط.. أنزلها وقام بفتح ظهرها ليخرج باقي البرديات.. جمع البرديات الخمس ووضعها في حلقة دائرية على الأرض وقام بكتابة رموز فرعونية على الأرض وعلى الجدران..

بدأ في كتابة رموز لا يدري كيف هي ولا كيف تحركت يداه لتخط تلك الرموز كل ما يعرفه أنه ظل يكتب ويكتب ويكتب حتى امتلأت جدران الغرفة بخطوط الكتابة الهيروغليفية..

قاربت الساعة على الخامسة فجرًا حين انتهى من كل ما يكتبه.. جلس بوضع القرفصاء على الأرض.. ضاغطًا بيديه بقوة عليها.. وبدأ في التضرع..

يا من تسكن خلف الأبواب المغلقة..

إني أنتظرك..

يا من أشعر وجودك كطيف داخل عقلي..

إني أنتظرك..

يا من توجد خلف الجدران..

فلتأتِ عبر الزمان..

لتقتص لعنائك منّي..

إن خذلتك يومًا..

أو أقلقت مرقد تلك الكهنة..

يا من محوا ذكراهم فداء للآلهة.. فلتتمجدوا للأبد..

يا(أم تب وا سو)

مولاي امني نخت.. لتتبجل في سماء الفردوس الأعلى..

مولاي تب رع.. لتتبجل في سماء الفردوس الأعلى..

مولاي واخموس.. لتتبجل في سماء الفردوس الأعلى..

مولاي سوتي.. لتتبجل في سماء الفردوس الأعلى..

أنا عبدك «خاي».. فلتضف اسمي في سماء المجد..

اهتزت الغرفة بجاسر والذى لم يشعر بأي شيء من حديثه.. كان كأنه آلة تحولت فقط لتقول طلاسم فرعونية دون أن يدري، فكان لا يسيطر على عقله أولسانه أو يديه..

شعر بوجود بدزميران في سماء الغرفة.. بتلك الهيئة السوداء الغير محددة الملامح.. وتلك العين النارية التي تكاد تحرق من يتطلع إليها.. لم يرتعد ولم تزداد دقات قلبه بل تكلم:

- مولاي بدزميران.. لقد أتيت لك بمطلبك.. لقد حققت لك ما كنت تريده مني.. لقد جمعت لك كل ما فُقِد من المقبرة.. كان هذا اتفاقنا وعليك أن تنفذ ما أخبرتني به.. فلترحل اللعنة عن كل من أصابته.. فلتزول اللعنة عن القرية.. عن مجدي.. عن أحمد.. وعنِي.. سأظل وفيًا لك.. سأقوم بعمل كل ما تطلبه مني لرجوع البرديات المقدسة لحفظ سر تحوت الأعظم.. والتابوت سأتولى مسئوليته.. سأتحدث إلى مساعد الأجنبي المتبقي على قيد الحياة.. سيعود هو الآخر يا مولاي.. سيعود هو الآخر..

ظل جاسر يتكلم ويتكلم ويتردد كلام بدزميران في رأسه حتى انتهيا من حديثهما الأخير..

* * *

اقترب النادل في صمت من المكان الذي اجتمع فيه جاسر مع آدم وكانت منى تجلس أمامهما بجوار راشد.. كان الجميع وكأن على رؤوسهم الطير من حديث جاسر الذي ظل يتكلم لأكثر من ساعتين وهم يقاطعونه في كل كلمة قالها..

كان الجميع لا يصدقون حرفًا مما يقوله لهم .. بل ظن الجميع أنه قد أصابه مس من الجنون، ولكن بعد أن أظهر لهم البرديات.. وبعد أن أخبرهم بكل حديثه مع مجدي وفايزة وإيزاك وأحمد وهند.. حتى مع الشيخ إلهامي.. لم يصدق الجميع أنه خاض تلك التجربة بمفرده..

لم يخبرهم بالطبع عن بدزميران لسبب ما في رأسه.. ربما لو أخبرهم لكان مصيره في المصحة العقلية، ولكنه آثر الصمت حول هذا الموضوع تمامًا.. كان حديثه فقط عن تلك البرديات وسرها واختفائها..

أشار إليه راشد قائلًا:

- لا أدري ماذا أقول لك يا جاسر ولكن.. سيفتح بالطبع تحقيق اليوم مع مجدي وسيتم مقارنة بصماته مع البصمة التي وجدناها على حزام القتيل إيزاك.. وسيتم مراجعة كافة أوراق التحقيق بخصوص تلك المقبرة..

التفت إليه جاسر قائلًا:

-بخصوص البرديات هذه هي.. فلتأخذها في تلك الحقيبة، أما بخصوص التابوت والمومياء.. فعليَّ أن أهاتف ذلك المدعو ماتسون مساعد «ديفيد» في القاهرة، وسأحصل لك على عنوانه بالتأكيد إن وافق على التعاون معنا، وإن كنت لا أظنه سيوافق وسيخبر سيده، ووقتها عليكم

إحضار أمر الضبط والإحضار لإرجاع تلك المومياء لذلك الكاهن المجهول.. وعليك فقط أن ترسل أي فرد من الشرطة لاستلام سيارة مجدي أيضًا، وبالتأكيد سيكون هناك آثار دماء إيزاك..

أومأ راشد برأسه قائلًا:

- عظيم جدًا يا جاسر.. أخبرني متى تستطيع أن تحضر إلى المديرية لأخذ أقوالك.. ساكون معك في كل خطوة.

أومأ جاسر برأسه وهو يقول:

- أعطني فقط يومين للراحة، فلابد أن أرتاح قليلًا مما حدث لي في الأيام السابقة، ولا تنسَ أني فقدت إصبعي نتيجة هذه الحادثة.

ردت عليه منى وهي تنظر إليه في حنق:

- آه منك يا جاسر.. لقد كنت من أخبرك من البداية بأمر تلك الجثة الغريبة وكذلك تلك المغامرة، ولكنك خضتها وحدك، دون حتى أن تشركنا لنقف معك في أي خطوة..

ابتسم جاسر قائلًا:

- التمسي لي العذر يا منى.. لقد كنت أخشى عليكِ.. الموضوع كان كبيرًا جدًا علينا.. لعنة وقتل وأناس مهووسة بتلك البرديات الملعونة، وأخشى أن يعود ماجد من السفر ويجدك وقد أصابك مكروه ما بسببي.

- ولكن هناك يا جاسر أشياء أخرى غير مفهومة..

- سأشرح لكِ كل شي مرة أخرى يا منى.. في وقت آخر أكون حين أرتاح وأتعافى قليلًا..

التفت إليه آدم قائلًا:

- سيتضايق ماجد جدًا عندما يعود ويعرف، لأنه لن يصدق ما قلته ولو حتى حلفت له بأغلظ الأيمان.

اعتدل جاسر في مقعده قائلًا في هدوء:

- لا يهم يا آدم.. لا يهم، ما يهمني الآن أن تلك اللعنة قد انتهت طالما البرديات وصلت إلى يدٍ لن تستخدمهم بالسوء..

قام راشد من مجلسه ممسكًا بالحقيبة الجلدية الصغيرة والتي تقبع البرديات داخلها قائلًا:

- سأضطر لترككم الآن لأن عليَّ أن أذهب إلى مديرية الأمن لتسليم تلك البرديات، ومحاولة حضور التحقيقات مع مجدي وسوف أحاول تأجيل استدعائك بحجة مرضك كنتيجة لحادث إصبعك.. أشكرك جدًا يا جاسر..

- العفو يا صديقي العزيز..

قالها جاسر وهو ينهض هو الآخر بدوره وهو يكمل:

- وأنا أيضًا يا صديقيّ، اعذراني فأنا متعب وسأعود إلى المنزل مغلقًا جميع هواتفي حتى أفيق.. ميعادنا هنا بعد ثلاثة أيام إن شاء الله.

نظر إليه آدم قائلًا في إشفاق:

- ألا تحتاج لشيءٍ يا جاسر؟

- شكرًا يا صديقي..

ثم أردف قائلًا:

اسمحا لي الآن فأنا متعب وأود أن أعود لأرتاح..

ودَّع جاسر الجميع ودلف إلى سيارته.. كان عليه أن يعود إلى منزله مارًا على المستشفى لتغيير الضمادات على الجرح، ليبدأ ليلًا في تنفيذ ما اتفق عليه مع بدزميران في الليلة السابقة..

ولآخر مرة..

* * *

نهاية الكينونة بداية الفناء..

ونهاية الفناء بداية الكينونة..

كل ما على الأرض يفنى، فبدون الفناء لا خلق جديد..

يأتي الجديد من القديم..

فكل مولد لجسد حي مثل نمو النبات من الحبة يتبعه فناء..

من التحلل يأتي البعث..

حسب دورات ملائكة السماء.. وقوة الطبيعة.. والتي تأتي كينونتها من كينونة آتون..

الزمن مدمر للإنسان،

أما الكون فهو عجلة دوارة إلى الأبد..

تلك الأشكال الأرضية التي تروح وتأتي هي خيالات..

فكيف يتأتى لشيء أن يكون حقيقيًا وهو لايفتأ عن التغير المستمر؟..

تحوت..

جلس الجد العجوز وهو ينظر بلامبالاة على هرم ميدوم الذي يلوح في الأفق البعيد والتفَّ حوله أحفاده الذين لم يتجاوزوا العقد الثاني من العمر وهو لا يزال يحدثهم عن سر الكتاب:

- بعد مرور شهر كامل على تلك الواقعة واستقرار النسختين.. النسخة التي كانت في مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» وتلك النسخة الأخرى والتي انتهى الكهنة الاربعة من نسخها في الزمن المحدد ووصولهم سالمين إلى منف.. كان الكاهن «نفرو» لا يزال يتلو صلواته داخل المعبد المقدس وقد فت في عضده وأحزنه كثيرًا وفاة كبير مساعديه «امنى نخت».. على الرغم من أن وفاته كانت طبيعية فقد كان الكاهن العجوز يعاني من مرض عضال في القلب كان صعبًا معه شفاؤه..

لم يكن بكاؤه لمجرد أنه فقد من سار معه على نهج التعاليم المقدسة وخدمة آلهة المعبد الجنانزي لأكثر من أربعين عامًا أمضوها سويًا.. ولكن ما دفعه للبكاء هو القرار الأخير الذي اتخذه بنفسه بصفته كبير الكهنة برفع أسماء كبار مساعديه من أسماء الكهنة المقدسة وعدم سرد أسمائهم في سجلات الكهنة المقدسين، وإخفاء كل أثر لهم في الحياة الدنيوية..

وقد وافق الجميع عن طيب خاطر على إخفاء آثارهم، وذلك خدمة لتعاليم تحوت المقدسة، لأن ما حدث خلال الشهر المنصرم كان يدفعهم إلى ذلك..

فقد بدأت الأحداث في منتهى الهدوء عندما وصل الكتاب إلى يد الأمير، ووصلت النسخ منه إلى المعبد الجنانزي، وبدأ كل منهم في متابعة التعاليم ودراستها والتعلم منها، ولكنهم اكتشفوا كائنات أخرى مكلفة بحراسة

الكتاب المقدس، ومنهم من ظهر للكاهن «نفرو» الذي حدثه بكل احترام واتفقا على ضرورة إخفاء تلك التعاليم للأبد بأي صورة كانت..

بينما الأمير كان لا يزال يجدّ في تعاليم الكتاب مطلقًا العنان لخياله الخصب، فهو لم يفعل أي شيء بتلك التعاليم أو بمعنى أدق لم يستطع فعليًا الاستفادة منها كما كان مصورًا له.. رغم قراءته كافة التعاويذ السحرية المقدسة، ولكنه فشل في تنفيذ أيٍّ منها، كأن هناك من يمنعه من الاستمرار في استخدام تلك الكلمات.. تلك الكلمات التي خرجت من فم الآلهة، وقام تحوت المعظم بسردها للأجيال القادمة.

قاطع الجد أحد أحفاده قائلًا:

- ولكن يا جدي لماذا احتفظ الكهنة بالنسخة ولم يضعوها ضمن أسرار المعبد كما تم الاتفاق من قبل؟

- يا بني لقد وجد الكاهن «نفرو» أن الأمر اكبر بل وأخطر بكثير مما كان متوقعًا، وأن ما فتحه داخل المقبرة كان شيئًا لابد من إخفائه إلى أبد الآبدين خوفًا من أن تمتد إليه يد قد تستخدم تلك التعاويذ في غير موضعها.. أو حتى استخدامها بطريقة خاطئة.. وعند مناظرته لذلك الكائن وجد أن الأمر ليس هينًا كما تصور.. وكما كان الأمير يظن أنه يستطيع نصرة الحق والخير.. كان لا يعلم أن كل ذلك بميزان.. وأن إلهنا الأعظم هو من يدير تلك المقادير، ولن يكون لبشري مهما كان نسبه أو سلالته حتى ولو كان من نسل الآلهة أن يتدخل في عمل القدر، ولذلك كان على الكاهن «نفرو» أن يتخلص من الكتاب بطريقة واحدة، هو أن يدفن الكتاب المنسوخ مع من نسخه كما أخبره الكائن، وذلك حتى لا تصيبه أي من اللعنات في رحلته الأبدية ومنعًا لأي سوء قد يحدث بعد

ذلك.. فيدفن مع الكاهن «امنى نخت» الجزء الذي قام بكتابته وهكذا، وشاءت الأقدار أن يكون «امنى نخت»هو أول من مات من الكهنة، وبالتالي كان على الكاهن «نفرو» أن يدفن في مقبرته الجزء المقدس الذي قام بكتابته.. وكان عليه مهمة أكثر إيلامًا، ألا وهي دفن الكاهن في مكان مجهول في مقبرة مجهولة وليس مقبرة مقدسة كعادة كبار الكهنة، وذلك حتى لا تمتد إلى المقبرة أي من الأيادي الآثمة، وتم محو اسم الكاهن «امنى نخت» من كافة السجلات التي تحوى أسماء كهنة المعابد الفرعونية في كافة أنحاء البلاد، وبعد ذلك تم عمل مراسم بسيطة بعد أن تولى مساعدو الكاهن وبعض من يأتمنهم من صغار الكهنة على إعداد جسد «امنى نخت»، وتم عمل مقبرة في مكان ما هناك بجوار هذا الهرم..

- وباقي الكهنة؟

- كما حدث مع «امنى نخت» حدث معهم تمامًا، وفي نفس المكان بالقرب من الهرم في مكان ما.. وكان الكهنة الأربعة في اتجاهات الشرق والشمال والغرب والجنوب، وكل مقبرة لا تبعد كثيرًا عن مقبرة الكاهن الآخر، ولا أحد يعرف السر في ذلك إلا كبير الكهنة «نفرو»، الذي لم يخبره أحد طوال حياته.

- يا جدي ألا تعلم بالفعل؟

ضحك الجد وربت على كتف الشاب الصغير:

- يا لك من خبيث.. الخريطة دائمًا في رأسي وستظل هنا ولن يعلم أي شخص أماكن دفن كبار الكهنة حتى آخر يوم من حياتي..

- ولكن يا جدي إذا كانت تلك هي تعليمات الكائن للكاهن «نفرو» بضرورة إخفاء النسخة المكتوبة بهذه الطريقة.. فلماذا لم يخبره بإخفاء النسخة الأصلية أيضًا؟

- عندما أخبر الكائن الكاهن «نفرو» بأن عليه فقط أن يتولى مسئولية الجزء المنسوخ وأن عليه إخفاءه بهذه الطريقة، أما الكتاب الأصلي والبرديات فأخبره أنه هو من سيتولى مسئوليتها..

- كيف يا جدي؟

- كان ذلك بين ذلك الكائن وبين الأمير «خا أم واس» ولا أحد يدري على وجه التحديد ما الذي حدث، ولكن الذي رأيته أن الأمير أصبح في خلال أسابيع قليلة من أمهر وأفضل من حكم منف، فقد استطاع أن يوحِّد جميع الفصائل التي كانت قد بدأت في الخروج عليه، واستطاع أن يتجه إلى عِلم الآثار، وأصبح من أفضل مرممين الآثار في العهد الفرعوني، ولم يستطيع أحد أن يصبح في مثل مهارته واستطاع أيضًا أن تكون لديه بعض القدرات السحرية الخارقة.. بمعنى أدق لقد تحول في خلال عام إلى شخصٍ آخر مفعم بالحيوية ولكن بقيت قدراتِ الكتاب السحرية التي كان يحلم بهامحدودة إلى حد كبير جدًا..

كلنا في ذلك الوقت تفاءلنا بمستقبل مصر على يديه إلا أنه في صباح أحد الأيام قرر اجتماعًا للكهنة في البلاط الملكي، أتذكر ذلك وكأن هذا الحديث جرى منذ يوم فقط..

سرح الجد بنظره وهو يتحدث متذكرًا ذلك الاجتماع .....

اعتدل الأمير «خا أم واس» أثناء اجتماعه الذي دعا إليه الكهنة متحدثًا إليهم:

- لقد جمعتكم اليوم يا كهنة معبد آتون المقدس وإلهنا الأعظم لأن غدًا هو اليوم المتمم لسنة كاملة منذ أن أصبحت تعاليم تحوت المقدسة بين يدينا، وأنتم ترون أن الحياة قد تغيرت إلى الأفضل، ولكن تبقى قدرة آتون فوق قدراتنا جميعًا، لذلك فقد جمعتكم جميعًا للنقاش حول أمر الكتاب، وخاصة ما استجد في ذلك، وأريد أن أرى ما لديكم من آراء.

ردَّ الوزير« حور» :

- نحن معك يا مولاي الأمير ولك منا النصح والإرشاد .

- لقد رأيت بالأمس كابوسًا في منتهى الغرابة ولذلك جمعت كبار كهنة المعبد وأتمنى أن أجد عندكم حلًا وفق ما قررته في ذلك الموضوع .

تحدث الكاهن «نفرو» قائلًافي اهتمام :

- فلتقص علينا الكابوس يا مولاي الأمير فإن كان إشارة من الآلهة سوف نفعل ما تمليه علينا .

- بالأمس يا «نفرو» وبعد أن أويت إلى فراشي متعبًا لم أعِ وقتها هل حدث ذلك أثناء نومي أم كنت مستيقظًا، لكن ما حدث يجعلني أتأكد أني كنت أحلم.. إذ كيف مرت من كل الحرس حتى وصلت إلى مخدعي..

قال الوزير «حور»مندهشًا:

- تقول مرت يا مولاي؟ أي أنثى تلك التي تجرأت حتى تصل إلى مخدع مولاي الأمير؟ وكيف مرت على كل هؤلاء الحراس؟ لابد أن في الأمر خدعة ما؟

ردَّ الكاهن نفرو :

- مهلًا يا مولاي الوزير فلندع الأمير «خا أم وا س» يخبرنا بما رآه ليلة أمس.

- نعم هي أنثى ولكنها ليست كأي أنثى.. كانت ممشوقة القوام كإله الجمال، زرقاء العينين شعرها بلون الليل الكاحل وجسدها في بياض القمر.. لم أشعر بها إلا وهي على مخدعي وظلت تهمس في أذني بكلام لم أسمع مثله قط.. وأنا كالأسير بحديثها.. كانت تطلب مني أشياء في منتهى الغرابة ولكني أطعتها في كل شي..

كانت تسير وسرت وراءها حتى خرجت من غرفتي عن طريق سرداب في الغرفة نفسها أنا لست على دراية به.. وخرجت من السرداب على البهو الخارجي ومررت على غرف الحراس ولم يشعر بي أي شخص.. وسارت وسرت وراءها وأنا كالمسحور حتى وجدت نفسي في غرفة «أوزير» ولدي الوحيد وولي عهدي وحاكم مصر من بَعدي.. لم أشعر إلا وأنا في يدي خنجر أعطته لي.. وبكل سهولة ذبحت أوزير.. كانت تضحك وأنا مغيب تمامًا.. ثم أخذتني حتى وصلت معها إلى غرفة زوجتي وابنتي وكما فعلت في «أوزير» فعلت بهما.. ذبحتهما بكل جرأة ودون ذرّة تردد.. كنت أتلذذ بالقتل لأرضيها.. ولكن عندما وجدت مشهد الدماء تغطي ملابسي ذهبت في غيبوبة عميقة لم أفق منها إلا على أيدي ايداس خادمي.. فقمت مفزوعًا أبحث كالمجنون في الغرفة حتى وجدت ذلك الباب السري الموجود بغرفتي..

والآن بماذا تفسر ذلك أيها الكاهن نفرو؟ ما تفسير ذلك يا كهنة المعبد المقدس؟ أفي الأمر إشارة ما من الآلهة؟ أغضب عليَّ رع المعظم؟.. لم أرتكب أي خطأ باحتفاظي بذلك الكتاب المقدس.. أشيروا عليَّ ماذا أفعل؟

ردَّ الكاهن «نفرو»:

- يا إلهنا الأعظم.. أي إشارة أسوأ من ذلك يا مولاي؟ تلك إشارة أن رع قد أرسل لك تحذير لاحتفاظك بتلك التعاليم والتي يجب أن تُدفَن يا مولاي..

- لقد أصبت في قولك أيها الكاهن «نفرو».. أنا أيضًا شعرت أن ذلك تحذيرًا من الآلهة حتى لا ألقي مصير الأمير «نفر كا بتاح» مع اختلافنا في القصد من الاحتفاظ بالكتاب المقدس.. إن تعاليم الكتاب أصبحت في رأسي تمامًا.. والآن يجب أن يذهب الكتاب إلى حيث كان.. فأنا لست أملك القدرة لأتحدى رغبة الآلهة.. ولا أستطيع أن أرى زوجتي وبناتي وابني الوحيد قتلى بيدي هاتين.. لقد ذقت مرارة فقد سي«أوزير»من قبل.. لذلك قررت الآتي:

أولًا: سوف أقوم بنقل بعض نصوص الكتاب في المقدمة لتصبح تعاليم يقتدى على آثارها حُكّام مصر ومن يأتي من بَعدى وليحتفظ المعبد بتلك التعاليم المقدسة..

ثانيًا: سوف نقوم بنقل كل ما أخذناه من مقبرة الأمير «نفر كا بتاح».. وليدفن الكتاب تمامًا في الصندوق كما أخذناه..

بدا الارتياح على وجه الكاهن «نفرو» وهو يقول:

- نعمَ الرأي يا مولاي الأمير.. هو كذلك لقد كنت لأشير عليك بنفس الرأي، ولكن هذه الإشارة أتت إليك أنت وحدك لتفعل الصواب.. وهذا هو عين الصواب يا مولاي..

- إذن فلتكن على أهبة الاستعداد أنت ومن تختاره لتلك المهمة المقدسة، وسوف أرسل معكم خمس فرق حربية بكامل عتادها على أن تبقى هناك

إلى الأبد فرقة لحراسة مقبرة الأمير «نفر كا بتاح» والآن سأذهب في رحلة لمقابلة فرعون الأعظم.. إن والدي يبدو أنه قد عاودته آلام العظام وقد أرسل إليَّ كثيرًا، وعليَّ أن أذهب لملاقاته..

- فلتبلغه تحياتنا يا مولاي وإن كنا نتمنى أن نأتي معك لملاقاته..

- أنت تعلم يا «نفرو» أن لديك مهمة في غاية الخطورة، فلتنجزها وتلحق بي هناك سأبقى فترة من الوقت مع أبي .

نظر الجد إلى أحفاده وهو يكمل :

- وذهب «نفرو» يا أولادي من القصر واستعد الجميع للرحلة المقدسة لإرجاع كتاب تحوت ولكن بعدها بليلة وقبل رحيل الموكب، استدعى الأمير الكاهن «نفرو» على إنفراد وهمس إليه بشيء غريب جدًا .

- ما هو يا جدي؟

- أخبره أن روح الأمير «نفر كا بتاح» أتت إليه هذه الليلة ترجاه أن يأمر بالبحث عن جثتيّ زوجته وابنه في مكان غرقهم بالقارب بل وأرشده إلى المكان بالضبط..

- وماذا حدث بعد ذلك يا جدي؟

- بالفعل اهتم الأمير نفسه بذات الحلم، وبدلًا من أن يذهب إلى أبيه فرعون المعظم رمسيس الثاني قاد الحملة بنفسه مع أمير جيوشه للذهاب إلى قبر «نفر كا بتاح»، وعرج على مكان القصر القديم بجوار النيل وظل يبحث في المكان الذي أرشده عليه «نفر كا بتاح» لمدة سبع ليال كاملة حتى عثر أخيرًا على بقايا القارب الذي غرقت فيه زوجة الأمير وابنه وظل البحث حتى وجدهما مدفونين في قاع النيل وبالطبع كانا رفاتا، ولكن الأمير «خا أم واس»أمر كبار كهنته بتكريم ما تبقى من جثتيّ

الزوجة والابن وإعطائهما جميع المراسم الملكية للدفن.. وبالفعل أخيرًا دفنت رفات الزوجة والابن إلى جوار جثة الأمير «نفر كا بتاح»، وأيضًا وضع الكتاب المقدس في نفس الصندوق في ذات المقبرة ثم أغلقه وأغلق باب المقبرة في وسط الجبل بحجارة شديدة البأس، قاموا بنقلها إلى باب المقبرة حتى يتم إغلاقها للأبد..

- وهكذا انتهت أسطورة الكتاب المقدَّس يا جدي بين النسخة الاصلية وبين النسخة المكتوبة بخط كبار الكهنة ؟

- نعم يا ولدي لم يتبقَ سوى بضع وريقات نقلها الأمير «خا أم واس» وهي تعتبر مجرد أحلام وردت لتحوت أو تنبؤات للمستقبل البعيد..

- وأين كنت أنت يا جدي وسط تلك الأحداث؟

- كنت أتابع ما أراه فقط وكنت أسمع من والدي.. ولا تنسيا أني كنت منبوذًا في البلاط الملكي بعد ما قاله الكاهن «كاجمني» عنّي، فمن وقتها والكل لا يرتاح أبدًا لذلك الصبي «خاي».. فيما عدا صديقي العزيز أوزير..

- نعم يا جدي.. نسيت ذلك الاسم.. لم نسمعه أبدًا في البلاط الملكي..

- إن لذلك قصة أخرى يا أبنائي ولكن أتذكرون ذلك الشعور الذي انتابنى وأنا أتحدث مع«أوزير»ذات مرة، حينما شعرت أنه لن يكون أبدًا حاكم مصر ولا حتى والده الأمير «خا أم واس» سيحكم مصر .

- وقد حدث ذلك بالفعل يا جدي؟

- نعم يا ولدي وأنا نفسي لا أدري ما تلك الحالة المرضية التي كانت قد أصابتني في صباي وجعلتنى أشعر بأحداث قادمة كانت أغلبها صحيحة ونادرًا ما تخطئ إلا في شيء واحد فقط .

- ما هو يا جدي؟

- سأخبركم إياه في حينه يا ولدي.

- إذن ماذا حدث للأمير «خا أم واس» وولده؟

- بعد رحلة الدفن التي قام بها الأمير ذهبت ووالدي لملاقاة الملك رمسيس الثاني مع وفد من كبار الكهنة، ومن وقتها أعجبت بمولاي الفرعون وطلبت من والدي أن أظل دائمًا في خدمته وخدمة المعبد هناك.. ووافق والدي بعد أن توسط الكاهن «نفرو» لدى كبار كهنة المعبد هناك حتى أنال بقية تعليمي، وبالفعل مكثت هناك حتى كبرت في السن .. عشت أحداثا كثيرة.. عشت انتصارات كثيرة.. وأوقات شدة..

ثم أتاني نبأ وفاة الأمير «خا أم واس» بدون سبب وأنا في المعبد .. كلنا جزعنا من ذلك الخبر.. ابن مولاي الفرعون وولي عهده وقرة عينه مات.. كانت أول مرة أرى دموع الفرعون المعظم.. وفجعت بعد ذلك بوفاة مولاي الفرعون المعظم رمسيس الثاني..

كنت أراه إلهًا قويًا.. على يديه رأيت العدل يسود البلاد.. على يديه رأيت مصر في أزهى عصورها.. على يديه انتشرت المعابد الفرعونية لعبادة الإله الواحد.. على يديه انتشرت الحضارة الفرعونية وأصبحت في أوج عظمتها.. وهذا يعود بي إلى الهاتف الذي كان يلح عليَّ بأن مولاي رمسيس كان ظالمًا وكان يضطهد الأقليات الدينية في عهده وأنه قام بما يسمى...

توقف الجد عن الكلام فجأة ليمسك برأسه في ألم قائلًا:

- آه يا ولدي.. لا داعي لهذا الحديث فيبدو أن هناك شيئًا ما كلما ذكرت هذا الموضوع يصيبني بقشعريرة مفاجئة وألم في رأسي.. كل ما أقوله لكم إنه ربما سيأتي عليكم زمان ما تتهمون الفرعون الأعظم بما ليس فيه.. فلا تصدقوه.. وأخبروا أبناءكم بذلك.

- وماذا حدث للأمير ولي العهد؟

- لا أعلم، ولكن علمت من أبي أن الأمير «خا أم واس» وُجِدَ ميتًا في غرفته بدون أي شك في موته، وكان الأمير يعاني من خطب ما في الآونة الأخيرة كما أخبرنا الكاهن «نفرو» .. وبالفعل تم عمل المراسم الملكية لدفن الأمير..

- ومات الأمير «خا أم واس»وانتهت أسطورة الكتاب المقدس؟

- نعم.. وقتها أصيب الفرعون الأعظم باكتئاب شديد ولبث في بيته لوقت طويل وأرسل في استدعاء الأمير الصغير«أوزير» ليكون في رعايته، ولكن الأمير الصغير أيضًا قد اختفى إلى الأبد..

- اختفى؟

- نعم لم يعثر له على أي أثر إلى الآن.. ولا أحد يدري أكان حيًا أم ميتًا.. وبعد سنين عدة.. مات الملك المعظم.. وانتقل إلى آبائه في جنات الآخرة، وتولى حكم مصر الأمير «مرنبتاح» وكان متقدمًا في السن عندما تولى الحكم فكان في حوالي الستين أو السبعين من عمره.. فقام بعدة حملات عسكرية في بداية حكمه لفرض الأمن في أنحاء البلاد، وبالفعل أصبحت مصر في ذلك الوقت من أقوى البلاد، وقام بعدة غزوات خارج البلاد لتأمين مصر من غزوات شعوب البحر وتحالفات القبائل..

- ومات «مرنبتاح»..

ابتسم الجد قائلًا:

- نعم مات يا ولدي، وها نحن في حُكم مولانا الملك سيتي، وأنا لا زلت شاهدًا على كل تلك الأحداث..

- إن قصة رمسيس الثاني وأولاده وأحفاده في منتهى الغرابة يا جدي..

- نعم يا ولدي العصر كله كان غريبًا في النهضة الرهيبة التي شهدتها البلاد على يد رمسيس وولديه..

- جدي لم تذكر لنا الكهنة الثلاثة المتبقين، أين ذهبوا ومنهم جدنا الكاهن تب رع.. لقد درست كل أسماء كهنة المعبد ولم أجد لنا أي أصول هناك .

- يا ولدي ذلك اختيارهم.. طريقهم إلى الآخرة كان مجهولًا وذلك فداء لتعاليم الآلهة، لقد مات الجميع.. مات الكاهن سوتي أولهم مقتولًا على يد بعض قُطَّاع الطرق الذين دخلوا بيته ليستولوا على ما خفَّ حِمله وغلا ثمنه، وتم دفنه سرًا قريبًا من هرم ميدوم.. وبعدها بشهور مات أبي «تب رع» في المعبد المقدس وهو يتلو صلواته بسبب قلبه المتعب دائمًا.. وتم دفنه وأنا قمت إلى مقبرته ودفنت بها كل ذكرياتي أنا أيضًا.. ولحق بهما بعد عدة سنوات الكاهن «واخموس»الذي مات نتيجة لإصابته بمرض في معدته.. وكل هؤلاء يا أولادي تم دفن سرهم معهم.. وتم محو أسمائهم من السجلات المقدسة؛ حتى لا يتبعهم أحد وتظل أماكن مقابرهم مجهولًا للأبد.. كسر أصبح لا يعلمه إلا أنا فقط بعد وفاة الكاهن «نفرو»..

وفي عهد الملك رمسيس الثاني وفي أواخر أيام الكاهن «نفرو» كنت أنا من أقوم برعايته، وقد علمني أشياء كثيرة جدًا كنت أجهلها وأنا لا زلت أذكره بكل خير إلى هذه اللحظة .

- يا جدي لماذا تخبرنا بهذه الأشياء؟ لقد مرَّ وقت طويل جدًا على تلك الأحداث ولم نرَك تحدثنا أبدًا عن ماضيك؟

- يا ولدي العزيز.. إنها النهاية.. أشعر بدنو الأجل قريبًا، وكان لزامًا عليَّ أن أخبركم عن أصولكم وأخبركم أن أسرار الكتاب المقدس هنا في قلبي وفي

رأسي.. وأني أشهد الآلهة أني لم أخن قَسَمي قط وخدمت المعبد المقدس على أفضل وجه، وأصبحت مفخرة لأجدادي، وأتمنى أن أكون قد أحظيتهم بذلك الشرف .

- يا جدي لا تحدثنا بمثل هذه الأشياء، إننا نراهنك أن عمرك سيطول عنا.. ابتسِم دائمًا كما عهدناك ولا تتحدث هكذا.

- يا ولدي إنه العمر، كل ما أريده أن تتذكروا تلك الكلمات دائمًا وأن تفخروا بي.. ولتصلّوا من أجلي..

* * *

بعد هذا الحديث بأربعة أيام كان العجوز «خاي» يمر على كافة أنحاء المعبد بعد أن تلا صلواته اليومية بداخل المعبد الجنائزي، وكأنه يودعها الوداع الأخير، وقد دلف إلى غرفة كبير الكهنة لينظر إليها ويتذكر كبار كهنة المعبد الأربعة الذين ضحوا بتاريخهم مقابل الاحتفاظ بسر الكتاب المقدس.. وتذكر «نفرو» وتعاليمه..

وأثناء مروره على حديقة منزله كان أولاد أحفاده لا زالوا يلهون في الحديقة تمامًا كما كان يلهو منذ عشرات السنين مع أوزير.. «أوزير» الذي لا يعلم أحد أين اختفى.. رفع ناظريه إلى غرفته القديمة وابتسم.. ثم تناول تلك الحقيبة الصغيرة التي كانت في ركن ما في الحديقة ودون أن يشعر به أحد أخذها وفي ذهنه ذلك الخطب الهام..

وفي مكان ما.. حيث كانت أقدامه تحفظ هذا المكان تحديدًا.. كان يسير مسرعًا في اتجاه شروق الشمس محدثًا نفسه وكأنه يسير إلى حياته الأبدية الخالدة:

- يا إلهي الأعظم.. لقد أقبلت الشيخوخة وبدأ خرفها.. وسرت الآلام في الأعضاء وتبدى الهرم وكأنه شيء جديد، وذهبت القوة وحل محلها الضعف والهزال، وصمت الفم وتوقف عن الكلام، وغارت العينان، وأصبحت الآذان صماء، وأمسى القلب كثير النسيان.. لا يذكر ما حدث بالأمس، وغدت العظام تقاسي من تقدم السن، وتوقف الأنف وأصبح ساكنًا لا يتنفس.. وصار الجلوس والوقوف كلاهما شاقًا، وتحول الحسن إلى سيء ولم يبقَ لشيء أي طعم..

توقف أمام منزل قديم ونظر حوله، وعندما لم يجد أي شخص يتبعه فتح الباب ودلف إلى إحدى الغرف، ومنها ظل يتلمس الجدران حتى وصل إلى باب سري فتحه وأغلقه بمزلاج كبير خلفه.. وبدأ في السير في الممر والذي كان لا يزيد عن ثلاثين سنتيمتر اضطر العجوز أن يقطعه في صعوبة وهو يستند إلى جدار السرداب وهو يمسك حقيبته الثقيلة حتى وصل إلى غرفة مربعة الأركان..

أزاح السجاد الموجود بأرضية الغرفة فظهر تحتها فتحة صغيرة تكاد تكفي شخصًا ضعيفًا جدًا ليمر.. وبالفعل نزل منها ثم أغلق الكوة والتي كانت من خشب الأبنوس، وكان قد رفعه بصعوبة شديدة حتى يغلق الكوة التي نزل منها.. كان الضوء لا يزال يتسرب من مكان ما ولكنه كان يتحسس خطواته وهو يسير الهوينى على درجات السلم الحجرية حتى وصل إلى باب فتح مزلاجه وفتحه..

كان الظلام دامسًا في الداخل، ولكنه أغلق الباب خلفه ثم أخذ يتحسس موضع المزلاج حتى أغلق المزلاج بشدة.. وكأنه سيمكث للأبد.. ثم أخرج حقيبته ليخرج منها نوعًا من الكهرمان السائل موضوع في زجاجة لتضيء

الغرفة من الداخل.. وبمجرد أن أضاءت الغرفة فتلألأت سُرّ العجوز قائلًا:

- "أبي العزيز.. لقد افتقدتك"..

ووضع حقيبته على أرضية المقبرة، واقترب بكل هدوء من تابوت الكاهن «تب رع» وبدأ يتلو صلواته في خشوع مقدس..

- يا أبي إن الموت أمامي اليوم.. كالمريض الذي أشرف على شفاء.. أو كالذهاب إلى حديقة بعد المرض..

يا أبي إن الموت أمامي اليوم.. كرائحة زهرة السوسن أو كجلوس الإنسان على شاطئ السكر..

يا أبي إن الموت أمامي اليوم.. مثل مجرى الماء العذب وكسماء صافية ومثل عودة الرجل الغريب إلى بيته..

يا أبي إن الموت أمامي اليوم.. كمثل رجل يتوق إلى رؤية منزله وآبائه جميعًا بعد أن أمضى سنينًا عدة في الأسر..

أشهدك يا مولاي أني لم أخن القَسَم المقدس.. وأني ضحيت بتاريخي في خدمة المعبد المقدس وسر إلهنا تحوت..

وظل يتلو ويتلو حتى فرغ من جميع صلواته.. ثم اقترب من جدار المقبرة التي كانت غير منقوشة في أغلب جدرانها.. فلم تكن هناك أي نقوش إلا نقوش اللعنات المقدسة التي تستحضر الأرواح الشريرة لتطول كل من تسول له نفسه تدنيس تلك المقبرة الطاهرة..

اقترب «خاي» من أحد الجدران ووضع المصباح الزجاجي وبدأ في النقش لفترة طويلة جدًا، حتى هو لا يتذكر هل انتهى من نقشه البسيط خلال

ساعات أم خلال أيام.. وكان يقتات على بضعة لقيمات صغيرة في حقيبته وجرعات بسيطة من المياه كانت معه..

وما إن انتهى من النقش حتى وقف أمامه متفاخرًا.. بتلك الكلمات الخالدة التي نقشها بيديه على الجدار.. كانت كلمات بسيطة ليس لها أي دخل بالمقبرة أو بصاحبها.. ولكنه كان سعيدًا أن عبَّر أخيرًا عن فكرة ظلت تدور برأسه طوال سنوات عمره..

أمسك سكينه وذهب مرة أخرى إلى تابوت أبيه وكان هناك نقشٌ على التابوت..

(يا من محوت ذكراك فداء للآلهة.. فلتتمجد للأبد يا (أم تب وا سو)

وكطفل يلهو بلعبة صبيانية أمسك سكينه وحفر حرف بجـوار الكلمة لتصبح (أم تب وا سو خ)

ابتسم بعد هذه الفعلة ورقد إلى جوار التابوت ليحتضنه قائلًا بهمس:

- أبي.. أخيرًا أستطيع أن أرتاح إلى الأبد.. إلى جوارك..

وأغمض عينيه في سلام وهو يتذكر لهوه في حديقة القصر ذلك اليوم البعيد بجوار كل من أحبَّه في يوم من الأيام..

* * *

كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساءً عندما كان جاسر على مشارف هرم ميدوم..

وهنا حيث بدأت أول خطوات المغامرة والتي قادته إلى أعماق المجهول.. وجعلته يدخل عوالم لا قبل له بها.. ويقابل أشخاصًا وشياطين وجنًا لم يكن يحلم في يوم من الأيام برؤيتهم حتى في أحلامه.. تجربة سيظل يتذكرها طوال حياته، خاصة وأنه سيحمل تذكارًا أبديًا في يديه..

استمر في قيادته حتى وصل أخيرًا لذلك المكان المجهول الذي تقع فيه تلك المقابر.. كان عليه أن يتذكر تحديدًا تعليمات بدزميران الأخيرة وينفِّذها بكل دقة إن أراد إن تزول اللعنة..

كان على بعد مسيرة خمسة كيلو مترات خارج القرية حيث تقع تلك المقابر المجهولة والتي يدفن فيها عابرو السبيل ومن ليس لديه أي مكان لدفنه والتي أقامها بعض أهل القرية..

وجيلًا بعد جيل بدأ الدفن يقل هناك مع توارث أهل القرية حكايات وأساطير عن المرأة المسعورة التي دفنت حية بهذه المدافن، والحيوانات التي يمسها الجن والتي تسكن دائمًا في هذا المكان مما جعل أهل القرية يبتعدون تمامًا عن حتى المرور بجوار هذا المكان.. وعلى الرغم من ذلك فعليه تنفيذ التعليمات حرفيًا..

كان جسده ينتفض كلما اقترب من تلك المقابر الملعونة.. فاقترب منها وغاص أكثر في كرسيه عندما توقف بسيارته أمامها.. كانت الليلة مقمرة مما أضاف على المشهد رعب ربما أكثر من الظلام الحالك.. ومن خلفه كانت تتصاعد أضواء خافته تأتي على مرمى البصر من بيوت القرية..

شعر بكآبة رهيبة عندما لمح على البُعد مئذنة مسجد مظلمة.. وعلى يساره كان الطريق السريع لا يزال ينبض ببعض السيارات المارقة والتي تضيء كشافاتها في تلك البقعة المقتطعة من الزمن الحالي..

كان المشهد كله أشبه بمشهد داخل فيلم رعب.. حيث تنقطع الأصوات وينعزل البطل عن العالم.. كان بمفرده داخل المشهد.. ولكنه كان يشعر أن هناك شيئًا ما جاثمًا على مقبرة قريبة وزاد من رعبه عندما تمطأ ونزل من على المقبرة التي كان يتخذها مرقدًا..

لعن في سره تلك اللحظة وتلك الإشارة.. فقد كانت الإشارة هي وجود كلب دائم لحراسة تلك المقبرة..

كانت المقابر متراصة بجوار بعضها البعض، ولكن هذه المقبرة كانت مسطحة أكثر وترتفع عن سطح الأرض قرابة المترين.. وليس بجوارها أي مقابر متراصة بل يمينها ويسارها فقط.. نزل الكلب الضخم عن المقبرة.. واقترب من السيارة مما جعل جاسر يتمتم بما يحفظه من آيات في تلك اللحظة..

كان الكلب ضخمًا بطريقة غير طبيعية.. أسود اللون تمامًا لا تكاد ترى ملامحه إلا من تلك العيون النارية التي كادت أن تحرق جاسر بسيارته.. اقترب أكثر فأكثر.. ثم أخذ يستنشق الهواء رافعًا رأسه إلى الأعلى ثم عوى بعواءٍ مخيفٍ يصم الآذان.. مما جعل جاسر يشعر أن قلبه يكاد يتوقف من فرط الخوف.. ثم جلس الكلب بجوار باب السيارة وهو ينظر لجاسر.. تلك النظرة التي لم يفهمها.. ولم يفهم ما يطلبه منه؟!

كانت تعليمات بدزميران الأخيرة له ألا يخشى شيئًا طالما هو سيدفن السر الأبدي.. فكل ما يفعله كان لحماية أسرار تحوت الإلهية والحفاظ على سر المعبد المقدس.. عليه فقط أن يكذب عينيه ويستمر.. فليعتبر نفسه داخل تلك الكوابيس الملعونة التي أدمنها رغمًا عنه في الفترة الأخيرة..

انتظر وانتظر حتى جاءت الساعة الثانية عشر.. كانت تلك الساعة المحددة له.. كيف؟ لا يعلم، ولكنه أقسم أمس على تنفيذ الأوامر مهما بلغت قسوتها ليتخلص من تلك اللعنة التي أصابته للأبد..

أخذ نفسًا عميقًا وفتح الباب بهدوء منتظرًا أن يهوي الكلب أو يقوم بأي حركة مفاجئة كان متوقعها، لكن لدهشته قام الكلب من أمام الباب ليخطو بضع خطوات إلى مقبرة أخرى ليجلس فوقها وهو ينظر إليه ويهمهم بأصوات غير مفهومة كأنه يحثه على التقدم..

التصق جاسر بظهره إلى السيارة واستدار صوب حقيبتها، والكلب ينظر إليه في هدوء حتى لف حولها وفتح الحقيبة.. وأخرج حقيبة قماشية بداخلها الصندوق الأبنوسي فتحها ليطمئن للمرة الخامسة على محتويات تلك الحقيبة..

تناول مصباحًا كبيرًا كان إلى جوارها.. أخفى الحقيبة القماش مرة أخرى في داخل السيارة وتناول عتلة حديدية.. ثم أغلق سيارته جيدًا.. وسار في حذرٍ حتى اقترب من باب المقبرة، ووضع العتلة ما بين القفل المهترئ من الزمن وبين العتبة الحديدية..

وما هي إلا دفعة واحدة حتى كسر القفل.. فوضع العتلة الحديدية بجوار باب المقبرة الذي كان عبارة عن فتحة حديدية مربعة تقريبًا أربعين سنتيمتر وكان يتسع فقط ليدخل بقدمه الواحدة تلو الأخرى..

لمح الكلب يبتعد عنه مرة أخرى مشجعًا له على الاستمرار..

لم يدرِ كيف أصبح داخل هذا المكان.. بل لا يدري كيف قويت قدماه ليقف وسط المقابر.. لم تكن تلك شجاعة منه.. بل هذا ما أُجبرَ علية.. وما فرضه عليه ذلك المسخ المسمى بدزميران..

تقدم خطوة بعد خطوة.. وبصعوبة بالغة فتح الباب الحديدي مُصدِرًا ذلك الصوت المعدني البارد.. وقتها تردد في الدخول إلى ظلام القبر.. لم يكن هناك سواه في ذلك الوقت المتأخر من الليل.. وهذا الكلب الذي يجلس قريبًا منه على حافة مقبرة أخرى.. ينظر اليه بعينين ناريتين.. عينان لا ينتمي صاحبهما إلى الكائنات الأرضية.. مما زاد أكثر من دقات قلبه وشعر معه بقشعريرة ورعشة في يديه بصورة مستمرة..

كان أعزل إلا من ذلك المصباح الكهربائي وتلك العتلة الحديدية التي هو متأكد أنها لن تسمن ولن تغني من جوع في الداخل.. نظر إلى سيارته ورغم أن هاتف لديه قرر الذهاب إليها ومغادرة المكان إلا أن قدميه أصرتا على الدخول لتنفيذ ما اتفق عليه بالأمس القريب.. كان مجبرًا.. فما وصلت إليه حالته في الأسابيع الأخيرة جعلته كان على وشك القتل وليس إكمال المهمة..

مد قدمه أولا مضيئًا المصباح الكهربائي بداخل المقبرة.. كان بالطبع بالداخل ظلام دامس لمقبرة لم يدخلها أحد قرابة الخمسين عامًا..

دخل في الظلام.. كان الجو كئيبًا مظلمًا رطبًا.. تفوح رائحة الموت في كل مكان.. وأكفان بيضاء لجثث لم تتحلل في شتى أنحاء القبر..

كان يجول بمصباحه الكهربائي ويرى أشياء كان لابد أن يكذِّب عينيه.. منها ما هو جالس مستندًا برأسه إلى الحائط الداخلي أو تخترق الجدار ربما إلى الخارج لعدم وضوح هيئة الرأس.. اكانت لإنسي أو جني لا يدري ومنها ما هي جالسة تستند بظهرها إلى جدار القبر تمشط شعرها.. ومنها من تمسك بكفن لجثة طفل وتبكي إلى جواره وللأسف كانت تلك الإشارة..

تقدم إليهما زاحفًا على يديه وقدميه في رعب قاتل وعندما وصل وجد الجثتين إلى جوار بعضهما البعض.. امتدت يده ليحمل جثة الطفل ليبحث تحته.. وبكل الرعب وضعه بعيدًا وهو لازال يرتجف.. ولكن شيطان المسخ في رأسه يأمره أن يتأكد أن تلك الجثه للطفل المطلوب..

نظر حوله كانت هناك أكفان لأطفال صغيرة لا يدري مَن دفنها أو متى أو لماذا لم تتحلل؟ لكن المكان الذي وضع عمدًا فيه كان لا ينتمي إلى القوانين الأرضية المتعارف عليها، فكان عليه أن يغمض عينيه فقط ويقنع نفسه أنه بداخل كابوس..

كان عليه أن يتأكد أن الجثة للطفل فقرر أن يفتح الكفن.. كان يتصبب عرقًا من قمة رأسه وحتى إخمص قدميه..

لم يكن يشعر بنفسه وهو يحل الكفن الأبيض المهترئ.. وقتها بدأ في سماع همسات في أذنيه لصراخ يأتي من بعيد وهمهمات تنطق باسمه بلغة ليست بشرية.. ولفحات من الهواء الساخن تصدم وجهه وكان

شياطين الجحيم تراقب ما يفعله وتنفث غضبها في وجهه.. كان يشعر أن الأموات جميعًا جلوسًا ينظرون إليه في تلك البقعة الملعونة..

وأخيرًا فتحه.. ووجه ضوء مصباحه إلى الجسد.. لم يشعر بنفسه إلا وهو يصرخ ويزحف متقهقرًا بظهره إلى حافة القبر، وللأسف لم يكن ناحية باب الخروج.. بل كان في الجهة المقابلة.. لم تكن جثة طفل على الإطلاق، بل جثة لشيء مشوه.. لم يكن لديه أيدي أو حتى أرجل ووجهه يدل على أنه ليس آدميًا.لماذا أقنع نفسه أنه داخل مقبرة آدميه منذ البداية؟

نعم فقد كانت نسخة من المسخ كانت ممتلئة بذاك الشعر الأسود.. يكاد يقسم أنها بدأت في التحرك نحوه زاحفة على بطنها عندما ألقاها من هول الصدمة.. ووقتها رأى أن الأموات قد بدأوا في تقليدها.. وتعالت الهمسات والضحكات..

تأكد وقتها أنها فعلًا مقبرة لتلك المسوخ.. حاول أن يزحف خارجًا.. لكن وصل إلى مسامعه عواء الكلب الذي دخل وأطل برأسه داخل المقبرة وكأنه يبتسم لتختفي تلك النظرة النارية الغريبة من عينيه لتتحول ملامحه إلى شيء أشبه بالإنسان المشوه.. وأصدر ذلك العواء مرة أخرى وذهب..

وفي هذه اللحظة سمع صوت إغلاق الباب الحديدي من الخارج.. أصبح القبر في ظلام دامس.. اختفى ضوء مصباحه الكهربائي.. بل لم يجده بجواره من فرط رعبه وهو يزحف.. أخذ يبحث في هيستريا عنه.. أخذت يداه تبحثان في تراب القبر يمينًا ويسارًا دون جدوى، وقتها أقسم إن هناك أيادى وأقدام حية تحاول أن تمسك به..

تتحرك الجثث..

تتعالى الضحكات..

يعلو تراب يخنقه..

ثم..

أمسكت أيدي طفلة بقدمه بمنتهى القسوة.. زحف على يديه وقدميه سريعًا إلى الجدار المقابل.. وقبل أن يغيب عن الوعي.. تعثرت يداه بالحلقة المعدنية المطلوبة..

* * *

شعر جاسر أن هناك أنفاسًا ساخنة تلفح وجهه.. فتح عينيه في بطء حتى تعتاد ذلك الظلام الدامس.. وجد أنه لا يزال في تلك المقبرة الملعونة وبجواره المصباح الكهربائي.. لم يتذكر جيدًا سبب إغمائه لكنه مدَّ يديه وأشعل المصباح الذي أنار المقبرة ثانية..

نظر أمامه فوجد ذلك الكلب الضخم بجواره ينظر إليه بتلك العيون النارية.. أخذ يلوم نفسه، أي غباء جعله يستقر في تلك الزنزانة مع هذا الحيوان والذي فوجئ أنه يقترب بهدوء منه.. أخذ جاسر يتحسس بيديه بحثًا عن تلك العتلة الحديدية مما أثار زمجرة غاضبة خرجت من الكلب الذي اقترب أكثر فأكثر واضعًا رأسه أمام رأس جاسر مباشرة وهو ينظر في عينيه.. وبدأت الأفكار في رأس جاسر تتداعى..

- فيداخ.. انت فيداخ؟ نعم.. نعم أنا أعرفك.. أنت من كنت مع الشيخ إلهامي.. كيف ذلك؟

تركه الكلب خارجًا، وقتها كان على جاسر أن ينهي هذا الموقف وينهي ما جاء لإتمامه.. بحث عن تلك الحلقة المعدنية التي كانت يده قد أمسكت بها قبل إغمائه، حتى وجدها ووضع أمامها المصباح..

خرج جاسر من المقبرة متجهًا إلى سيارته داعيًا الله أن تدور مباشرة.. فتح الحقيبة ليمسك قطعة حبل غليظة تمتد قرابة العشرين مترًا.. قام بربط طرف الحبل أسفل سيارته في خطاف معد للسحب ثم عاد مرة أخرى بطرف الحبل إلى الداخل.. اقترب من الحلقة المعدنية وربط بها الطرف الثاني جيدًا.. حتى يتم سحب تلك الكتلة الخرسانية المثبت بها الحلقة المعدنية..

خرج إلى سيارته محاولًا إدراتها فدارت من أول مرة ثم بدأ يتحرك بها قليلًا كانت ترفض التحرك في البداية.. ولكنها تحركت رويدًا حتى سارت حوالي مترٍ.. فسمع جاسر من خلفه صوت ما كأنه كسر صخري.. هبط سريعًا من السيارة آخذًا في يده تلك الحقيبة القماش، والتي تحوى ذلك الصندوق الأبنوسي..

حل جاسر طرف الحبل ودخل به مرة أخرى إلى الداخل.. وقتها رأى فجوة في أرضية القبر تتسع لهبوطه على سلم حجري لحجرة يقع أسفل القبر..

تناول مصباحه في هدوء والحقيبة القماش وبدأ يهبط في هدوء إلى الأسفل حتى هبط قرابة العشرين مترًا تلتها فتحة أخرى بباب خشبي يبدو أنه تهالك من الزمن.. دفعه بهدوء فتطايرت أجزاء من الباب الخشبي محدثة كمية هائلة من الأتربة..

أخذ يسعل بشدة ولكنه ما إن وقع نور مصباحه على الحجرة من الداخل حتى فغر فاه فجأة بسبب النور الساطع من الداخل نتيجه لانعكاس ضوء مصباحه الكهربائي..

كانت مقبرة فرعونية من أجمل ما يكون.. تابوت فرعوني كبير في المنتصف وبجواره كان هناك العديد من الصناديق الأبنوسية وعلى الجدران تراصت تلك النقوش الهيروغلوفية التي تصيب اللعنة كل من سيقلق مقام ذلك الكاهن المقدس.. دار جاسر مشدوهًا إلى روعة ألوان النقوش الموجودة وكذلك الآثار الخالدة الموجودة بجوار التابوت، والمحرَّم عليه أن يمد يده إليها تبعًا لذلك القسم المقدس مع بدزميران..

اقترب من التابوت ووجد ذلك النقش مكتوب عليه:

(يا من محوت ذكراك فداء للآلهة.. فلتتمجد للأبد يا (أم تب وا سو خ).

دار حول التابوت من الناحية الأخرى ليكشف بقية الجدران لكنه توقف مذهولًا مما رآه مرسومًا على جانب من الجدار.. اقترب منه أكثر وبدأ في القراءة:

((أعلم أنك ستأتي. .في يوم ما ستأتى.. لتدفن أسرار الآلهة.. لقد كنت أشعر بك في حياتي وكنت تأتي عبر الأزمان في عقلي.. وعلمتنى ما كنت أجهله.. كل ما أرجوه منك أن تحافظ على مرقدنا وسرنا المقدس.. للأبد..

أخيك.. أنت.. «خاي»)))

وقف جاسر مشدوهًا.. كيف.. أكانت تلك الأحلام والرؤى الفرعونية حقيقة إذن؟ أكانت أوقات غيبوبته المستمرة تنقله عبر الأزمان إلى ذلك الماضي الفرعوني؟ تذكر كلمة بدزميران له في البداية:

((يكفي أني سأطوي لك زمانك.. يكفي أني سأعطيك شربة من ماء النيل الطاهر.. سأجعلك تقهر ثوابتك.. سأجعل كل أشيائك المعلومة.. مجهولة سأجعل كل الغيبيات ثابتة لك.. تكفي ما ستراه بعينيك.. سأطوي لك صفحة الزمان لتمر أمامك وكأنها لحظة بين عينيك.. سترى ما تعجز عن تصديقه.. لتتكلم بلسان أبناء الآلهة.. لكنني سأطمس على عقلك حتى لا تبوح بسر الكهنة المقدس..)).

كل شيء مرَّ بخياله الآن.. كل شيء.. تفسير كلام بدزميران.. حاول أن يكمل تفسير ما كان يشغله لكنه تذكر أن عليه إكمال ما بدأه قبل بزوغ الشمس..

عاد مرة أخرى إلى التابوت واضعًا عليه الحقيبة القماش ليخرج الصندوق الأبنوسي.. لكنه لمح هيكلاً عظميًا بجوار التابوت.. لم يشعر جاسر بنفسه إلا وهو يهبط إلى جوار الهيكل المكوم وهو يحتضن جانب من التابوت.. نظر إليه مليًا لمدة دقيقتين وهو يشعر بغصة في حلقه..

مدَّ يده إلى يد الهيكل.. لمسها برقة وكأنه يربت على يديه وسالت وقتها دمعة من عينيّ جاسر حتى دون سبب.. حتى هو اندهش من هذا التأثر..نظر في ساعته.. كان متبقٍ على شروق الشمس قرابة الساعة ولذلك كان عليه أن ينهي فورًا ما بدأه.. فتح الحقيبة التي معه ليخرج

ذلك الصندوق ثم فتحه ليرى محتوياته للمرة السادسة منذ أن ركب سيارته متوجهًا إلى هذه المقبرة..

ولم يدرِ سر الخوف المستمر.. كان كل ما يخشاه أن يكون قد أخطأ وقام بإبدال البرديات الأصلية مع تلك البرديات التي سلمها لراشد على أنها البرديات التي كان الجميع يبحث عنها..

وقتها علم فائدة تلك البرديات الأربعة، والتي حصل عليها من الشيخ إلهامي لسبب حتى هو لا يعلمه لكنها الأقدار..

وعن طريق تلك البرديات المجهولة خدع راشد والجميع وأوهمهم أنها السبب في حدوث كل تلك المغامرة، أما البرديات الأصلية فكان عليه أن يخفيها ويضعها في تلك المقبرة لكاهن آخر ويغلق المقبرة إلى الأبد..

أغلق جاسر الصندوق ووضعه بجوار صندوق آخر،فتحه فوجده يحتوى على برديات مشابهة لنفس البرديات التي معه.. وإن كان عددها أكثر بكثير..

تأكد أن كل شيء على ما يرام.. كان يريد أن يظل هنا لأكبر وقت ممكن لكن كان عليه أن يتحرك سريعًا..

اقترب ناحية باب الخروج المتهالك.. ألقى نظرة أخيرة على ذلك الجسد المسجى في عطف بالغ، ثم خرج صاعدًا على السلالم الحجرية حتى وصل إلى تلك الفتحة الحجرية..

كان عليه الآن مهمة أكثر صعوبة، وهي محاولة إغلاق تلك الفتحات، وعبثًا حاول مرات ومرات حتى نجح أخيرًا في إغلاقها ولكنها تسببت في فتح الجرح مرة أخرى، ولكنه لم يكترث مقابل ما فعله..

نظر حوله داخل المقبرة لم يجد أي أكفان بيضاء أو أي شارة تدل على وجود أي جثة من قبل.. لم يندهش.. بل كان عليه أن يستمر وفعلًا قام بكسر تلك الحلقة الحديدية، وردم بعض التراب على حواف الصخرة فأصبح من المستحيل الكشف عنها..

خرج من المقبرة سريعًا باحثًا عن ذلك القفل الجديد الذي اشتراه من القاهرة قبل مجيئه، ثم أغلق المقبرة.. للأبد..

بحث جاسر عن الكلب لم يجده.. فاطمأن أكثر أنه تم زوال اللعنة.. ركب سيارته متجهًا إلى المقابر العادية، فقد كان عليه أن يلقي التحية على شخصٍ وقف إلى جواره دون أن يعرفه كثيرًا، لكنه شعر أن عليه أن يطمئنه أنه نفَّذ وصيته الأخيرة..

ركن سيارته وترجل منها حتى اقترب من بعض الفلاحين ليسألهم عن المقبرة المنشودة فأشاروا إليه على بُعدٍ وهم يتعجبون من هيئته المزرية والتراب الذي يغطيه.. سار في خشوع حتى وصل إليها ثم أخرج مصحف من بين طيات ثيابه، وبدأ يقرأ سورة يس للشيخ إلهامي..

* * *

في داخل أحد مخازن التابعة لمديرية الأمن، والتي يتم حفظ الأدلة الجنائية بها.. وقف ذلك العسكري مشدوهًا وهو يكلم زميله هاتفيًا قائلًا:

- لا أعلم يا حسين، ولكن منذ وصول تلك الحقيبة إلى المديرية ويوجد شيءٌ غريبٌ يدور.. الكهرباء بدأت تقطع كثيرًا.. وكلما خرجت من المخزن وعدت مرة أخرى أجد كل الأدلة الموجودة أعلى الأرفف وقد وقعت على الأرضية، ولا أعلم السبب.. سوف أضع المذياع بآيات القرآن هنا ليلًا ونهارًا.. على الأقل في ورديتي..

ظل العسكري المناوب يتكلم ويتكلم ويهمس قليلًا ويضحك وتناسى الموضوع..

لكنه لم يشعر أبدًا بذلك المخلوق الغامض الذي ينظر إليه بعينين بيضاوين، والجالس أعلى الرف الموجود به حقيبة البرديات..

تمَّت بحمدِ الله

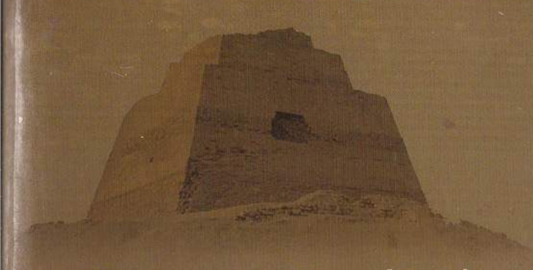
عمرو م. مرزوق

٢٣/٩/٢٠١٤

* * *

الكتب والمراجع

- معجم الحضارة المصرية القديمة.. جورج بوزنر - سيرج سونرون – جان يويوت
- السحر والماورائيات في مصر القديمة.. كريستان جاك
- الحياه أيام الفراعنة.. ت. ج جيمز
- الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء.. محرم كمال
- هرم الأسرار.. الان ف الفورد
- مقالات فرعونية.. الكاتبة صفاء محمد
- مصر القديمة الجزء الثاني.. سليم حسن
- موسى وهارون.. ا/د رشدي البدراوي
- كتاب الموتى الفرعوني (عن برديه انى).. برت أم هرو
- الخلود في التراث الثقافي.. د سيد عويس
- مثلث العظمة – نبوءات هيرمس.. (الحكيم تحوت)



ومدّ شيئا أسود اللون غير محدد الملامح لا أعرف إن كانت يده أو شيئًا ما لمسني.. وقتها سَرَتْ رعشة قاتلة في عقلي وجسدي، ووجدتُ نفسي فجأة كأني أمام فراعنة يحاسبونني على أخطائي، ومنهم من كان يعدّ لي أدوات التحنيط إلى جواري.. لقد كان كابوسًا لا أتذكره ولا أريد أن أتذكره.. كل ما أتذكره أني رأيتهم أمامي كما أراك تمامًا.. واقتربوا مني وأمسكني أحدهم.. فلم أشعر بشيء وكأني ذهبت في غياهب الموت..


ISBN 9789776436947

